



سُلَيْمَانُ الرَّائِدِيُّ

ملفوظات جديدة

سليمان الراجحي

منظومة حياة

صورة حية لرحلة حياة

سليمان بن عبدالعزيز بن صالح الراجحي

الناشر دار الزاوات للنشر

بريد إلكتروني: zazan.2@hotmail.com

0548848553 - 0543418584

دار الزاوات للنشر، ١٤٣١هـ

٥

محرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الراجحي، سليمان بن عبدالعزيز بن صالح

سليمان الراجحي منظومة حياة / سليمان بن عبدالعزيز بن صالح الراجحي

- الرياض، ١٤٣١هـ

... هذا: ٢١ × ٢٩ سم

رقم: ١-١-٥٧-٩٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١ - الراجحي، سليمان بن عبدالعزيز بن صالح ٢- مذكرات أ. العلوات

١٤٣٣/١٤٩٢

٩١٢,٣٥٣١

رقم الإيداع: ١٤٣٣/١٤٩٢

رقم: ١-١-٥٧-٩٠٠-٦٠٣-٩٧٨

حقوق النشر محفوظة لمؤسسة سليمان بن عبدالعزيز الراجحي الخيرية.

للاستفسار أو مزيد من المعلومات يرجى الاتصال على:

مؤسسة سليمان بن عبدالعزيز الراجحي الخيرية

ص.ب. 25759 الرياض 11476

المملكة العربية السعودية

الرياض: هاتف: 012411600 فاكس: 012704342

القصيم: هاتف: 063920000 بريد إلكتروني: info@rf.org.sa

تصميم الغلاف: شركة زد للإعلان والعلاقات العامة

الطباعة: مطابع الناشر العربي

سليمان الراجحي منظومة هلال

رواية وإملاء الشيخ سليمان بن عبدالعزيز الراجحي.

الطبعة الأولى: ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م

ريم هذا الكتاب مخصصة لمؤسسة

سليمان بن عبدالعزيز الراجحي الخيرية

تقدير

نسجد بكل التقدير والامتنان عظيم شكرنا إلى
كل من تعاقد وبادر وحاول أن يصنع شيئاً إيجابياً
لهذا الكتاب.

اعتراف

هذا الكتاب محاولة جادة تتسم بالموضوعية،
يسجل تجربة رجل انصف بالمصامبة وقوة
الإرادة والحكمة والصبر والتميز. خاض أشد أنواع
الكفاح وضم أنظاره - منذ وقت مبكر - على هدف
ال تنمية فبدأ مشروعه الجبار المصروفية الإسلامية
ولم يكن المشروع أمر سهلاً بل كان عملاً مضيئاً
استغرق أكثر من سنتين عاماً تجاوز حجم الإنجاز
إلى حجم الطموح وجمد آمال الأمم بصوت الله
وتوثيقه له حقائق ماثلة.

9	مقدمة الطبعة الأولى
10	القوة والرؤية
13	البكورية .. 1348هـ / 1929م .. المتشدد والامتداد
19	الرياض .. الاشتراكية والتكوين
23	الحديث إلى الرياض
27	التوصل
29	اكتشاف المدينة
33	صور من شوارع الحارة الخلقية
36	أبي وورقة التيث وطبيبها المدينة .. ومناظر أخرى مهمة
39	معلم المدرسة ومناظراتها
43	البصرة الأولى .. بضم حلات على ظهر خيشة
46	الغناء موسم الأرز المجفف .. الثمرة الأولى
48	العلم من بانعات الزبدية
52	الاستاذ عبدالله ومدرسة الحياة الأولى
56	حكايات منتصف النهار
58	أبو العيمد تاجر البطيخ
62	العودة إلى الرياض لأواخر العام 1362هـ / 1943م
68	الزولم .. حياة جديدة
70	الصبي الصراف
74	أخبار رحلة مباركة
77	الكويت .. المعركة التجارية الأولى
79	محطة وقود بريدة
83	ذكريات أوليات سعيدة
87	حكة المكرونة .. مرة أخرى

المحتويات

91	مكان مسجد عكاشة
95	مرحلة الحسابات الخارجية
101	جدة .. الكنزة .. بيت خاص وتوسم جديد
105	الانفصال
108	مصارحة في وست بادن ..
111	شكك العائلة الجديد .. شركة الزاجعي للصرافة والتجارة
114	حوك العالم من أجل فكرة
119	شركة الزاجعي المصرفية للاستثمار .. القصة الكاملة
124	الاتصالات وسنوات الانتشار
130	مواجهة لتقادي الزيم
132	بيت عمليت
134	خصتي مع الزراعة
138	الوطنية الزراعية .. التصميم .. الفكرة
141	الوطنية الزراعية بالتصميم .. الصورة الكاملة
148	دواجن الوطنية .. تحويل الطماطر إلى أريلم
155	الوطنية الزراعية - البسيطاء .. القصة
162	الوطنية الزراعية .. البسيطاء .. تفاصيل الصورة
170	شجرة من أجل العودة إلى الطبيعة .. الهدف كاملاً
180	وادي الدواسر .. عناد الأرض
185	الزوييات الفيلز .. المخاطر .. التحدي
198	التعلم من التجارب
202	الوطنية الصناعية .. معالم الصورة
205	الوطنية الصناعية .. تفاصيل المعالم
215	الاستثمار في الخارج .. والأمن الغذائي
219	أوروبا ... أول مرة

227	لحدث .. للتعرف العائلة
230	زولم في كاهك والعمر خرامة مساويك
234	أصناف .. طعرات ورحلات أخرى
237	معارفات في بيروت .. ومسابقات في شامباي
242	الوقت الربيع والخسارة
247	يوم في حياتي
252	السيدة الأولى
257	أبي كما عرفته
260	أبي .. وأنا
267	هذا جزاء الإحسان إلا الإحساناً
271	الحياة مع أربع
273	التعدد وإدارة التفاهم
278	صالح والمواته
283	معاً إلى هدف واحد
286	تلك هي طريقتي
289	ليعب الذكر كالأنثى
292	على الخطى
295	نعم هم أنفسهم
299	نحتاج إلى أن نكون معاً
302	تحولات الأمت واليوم
305	أخيه .. أكرمه
308	هنا نعم .. أما هنا فلا
310	هذا هو الطريق الوحيد
312	اكتشاف المعمل .. واستثمار اللاشيء
315	أين أضع أموالني .. كيف يفكر رجال الأعمال؟

العمل والالتزام .. فهم المضمون	318
معايير العمل والحياة	321
دروس رحلة قديمة	324
أحب أن يأتي معلمي إلى بيتي	327
الطبرات الأجنبية .. إستراتيجية التعامل	333
بناء الثقة .. الخيط الذي يقود إلى الحل	337
التجربة والرسالة	341
لماذا عليّ ظلم ثوب الأمس	343
الأعمال الخيرية .. حقيقة	347
فقط .. أبداً	350
.. ما نقصت صدقة من مال	353
أبواب جديدة	358
فكرة المستحق التنظية	362
الأوقاف .. سلوات من أجل النظام	366
الخلاصة	371
صدر الصورة	381
سلوات	389
مؤسسة سليمان بن عبدالعزيز الراجحي الخيرية	395
جامعة سليمان الراجحي	401
تنويع	405
قصة المصرف الإسلامي : مصرف الراجحي	410
الأوقاف الخيار الشجاع	415
النصور	423
مصادر الصور	441
هذا الكتاب	442
الخطوات المنهجية	446

مقدمة الطبعة الأولى

الإرادة الإنسانية قادرة - بإذن الله - على تحويل الأحلام القصيدة إلى واقع مشهود - كما أنها قادرة أيضاً على جعل أمك اليوم حقائق ماثلة غداً.

هذا ما حدث مع والدنا الشيخ سليمان بن عبدالعزيز الراجحي حفظه الله. فقد ولد في زمن كانت فيه الحياة بصورة عامة تعيش فراغاً اقتصادياً. بك وكوفاً حضارياً، إذ لم تكن التنمية في ذلك الوقت. كلمة متداولة ولكنه استنظام - بتوفيق الله - أن يعطى رغباته مطلوباً عملياً فاشحاً.

كان يأخذ نفسه بالكفاح المتواصل.. وكانت كل فكرة في سقف العالم هدفاً له.

ولم يكن ذلك أمراً سهلاً. بك كان كفاحاً عضلياً استغرق سبعين عاماً.

وهذا ما استدعى تسجيل هذا الإنجاز.

الهيئة المشرفة على الكتاب

القوة والرؤية

عندما خضت من الثمانين، فكرت في تحوير هذه التجربة، خشية أن تضعف الذاكرة، فالجيك الحاضر يعرف الكثير عن هذا الحاضر، ولكنه لا يعرف كيف كانت البدايات والبدايات الخاصة.

* لا شك أن في التجارب متغيرات ودروس وعبر ونجاح وفشل وأخطاء والقائمون على التجارب معروضون أكثر من غيرهم للنقد لأن التجربة لا تستعدي بقانون قديم أو عرف سابق، وإنما تستعدي بأمل شجاع متوجه نحو المستقبل..*

لقد مررت في بداية حياتي بأيام عصيبة شديدة القسوة بدأ لي كل شيء مستحياً فقد كنت خائراً متوخداً أبحث عن طريق وكنت لا أدري أين أضع خطواتي أنزع خطوات وأضع أخرى اعلي أجد لي موطئ قدم، كانت الصغيرة وأنفك الغربة والعباك الممتدة على كتفي الطريق الوحيد لتحقيق خلاصي وخلاص أسرني من الظلم، ليس لدي الوقت الكافي لكي أجرب كل الطرق ونسب لدي العلم الأكيد أن من سلك تلك الطرق قد وصل، ولقد كنت وأنا أظوف مضارعة الظروف هناك متجول في أرض الصغيرة أقلب نظري في وجوه أولئك الأثرياء المعطلون الذين المتروطين الذهب قد تضعف يضم هلات منهم أو من أحدهم لي أو لغيري هناك جديدة عند ذلك أتركت فلسفة اليد القوية وغيات التعاضد الخيري لقد أحدث المشهد تحولاً عميقاً في حياتي

مزيج مدعف من القوة والعاطفة^{١٠} ورهت أسأ نفسي ما الذي يجعل هذا الرجل خيراً من هذا الرجل وبدأت أفكر في حالة المستضعفين وبدأ لي أن أفكر الناس لن يجدوا الانصاف من المجتمع وكانت هذه إحدى القضايا التي شغلت تفكيري ولكت باتري بأن بديك سوف أغير حياتي^{١١} وكان ذلك الموضوع الرئيسي في تفكيري لم تشدني الحزاسة بسبب حالة الفصل التام بين حياة الطالب وحياة الانتاج وأشياء أخرى لم تكن مقلعة لي عند هذا التطور أدركت أن خلاصي من الفكر في حشد العلاقات نحو المزيد من العمل فكرياً أرض الفرض وكنت متساوون في امتلاك الوقت ولم يكن أمامي سوى اللجوء إلى العمل المستمر.

لقد كشفت لي السنت أن الشدائد شاولي النفس وأن الفرض تكفي مع المصاعب وأن النجام تمررة الصراع وأن القدرة في تعريف الأوامر وتحطيم الخوف إن مأساة الإنسان في رهت إرادته للظروف الخاصة أو الوسط الاجتماعي أو الواقع الخارجي أو الحياة الحاشية لقد عازت كثيراً شوباً على حياتي حتى إنشعبت على سطحي ومضعت بي الأشياء كما أردت وتحرك بي الوقت كما أفكر لم أزر في اتجاه واحد سلكت الطرق الطويلة والأشواط المتعقبة ومضعت في الأشياء إلى نهايتها ولقد كنت وأنا وسط هذا الطريق أسمى إلى أحداث تحولات عميقة أطور التصورات وانعطف بالاحتمالات وأدغم بالمبادرات والتغافل مع المحملات ولندخل مع التجارب وجاء حصاد التجارب ثرياً.

وبرغم التغيرات النوعية والتحولات التي أحدثتها في مساري التكويني ودخولي لمجالات جديدة في الحياة ونعاضم قدراتي الاقتصادية إلا أن المصروف الإسلامي كان نقطة تحول حقيقي في حياتي بك من أعنف نظام

التحول، وأكبر انعطاف عرفته في حياتي لقد كان الزمن مناسباً لي ففي الوقت الذي كان فيه الألف المصرفي الإسلامي مجرد احتمالات كنت اجتزت طريقاً طويلاً في استكمال النظريات الشرعية والنظم الإدارية لقد كان المصرف الإسلامي شأني الأولى فافقت منه بحماس وضحيت بمعظم وقتي في سبيله وكلما تقدم الزمن سوف تتعاظم القدرة المصرفية الإسلامية وتصبح تياراً اقتصادياً مهيماً على الاقتصاديات العالم لقد كنت شغوراً وشاكراً لله سبحانه وتعالى على تحقيق هذا الإنجاز..

فهذه السيرة الذاتية هي خلاصة تجاربي في الحياة .. فلم أنقل شيئاً منها من كتاب. ولا استعنت فيها بأراء غيري من الناس. وأعتقد أن من حق الجيل الذي يأتي بعدنا أن يطالع على تجاربنا. وأن يستفيد من خبراتنا إذا وجد فيها ما يفيد. وهذا خير ما نقدمه له من هدية.

إننا لا نستطيع أن نعلي عليه آراءنا إملاءً، وليس ذلك من حقنا. وإنما نستطيع أن نقدم له النصم والموعظة؛ فخير النصم - بعد كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم - ما أعطته الحياة نفسها. وأبلغ الموعظة ما اتصل بتجارب الحياة ذاتها.

والناس وإن اختلفت مشاربهم وعقولهم وطباعهم، فإنهم يلتقون على كثير من حقائق الحياة، ويجتمعون على كثير من الرغبات والمخاوف والأهداف.

أرجو أن تكون قد أسديت بهذا الكتاب خدمة للمكتبة العربية والإسلامية والله الموفق.

سليمان بن عبدالعزيز الراجحي

الرياض ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م

1

اليكبرية .. 1348 هـ - 1929 م

المشهد .. والامتداد

تخديداً لأحد من عائلتي، ولا حسني لها، نعرف تاريخ ميلادي^(١).
غير أن الجميع اتفقوا على العام ١٣٤٨ هـ / ١٩٢٩ م كتاريخ ميلادي
وريثي للحياة.

إنه منتصف القرن الرابع عشر الهجري الموافق لنهاية العقد
الثاني من القرن العشرين الميلادي. وبدايات الكساد الاقتصادي
الشهير الذي هز العالم عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى. وأحق
بمؤسساته المالية أفدح التكرسات في التاريخ الاقتصادي الحديث
والتي ربما لم يكن أحد من سكان القرى المنائية على كتيبان رهال
الجزيرة العربية يعرف عنها الكثير بالرغم من تذوقهم لمراراتها في
كل تفاصيل حياتهم.

كان الجميع في اليكبرية^(٢) يعدون أيامهم على مشهد الشمس.

(١) ذلك الوقت لا يوجد شهادات ميلاد.

(٢) اليكبرية إحدى محافظات منطقة القصيم، تتألف من أحد عشر مركزاً إدارية، وتبعد عن «

يسافرون معها خلال الفضاء، وحينما تغيب يعرفون أن يوماً قد انقضى، وينامون في انتظار طلوع الفجر. وفي اللحظة التي تشرق فيها الشمس من جديد تتحرك الحياة ويسافرون معها من الشرق إلى الغرب في أرضٍ فاصٍ فيها كل شيء ..

كان أبي عبدالعزيز بن صالح الراجحي قبل تلك السنوات قد ولد في البكرية عام ١٣١٨هـ^(١) ونشأً نشأة فقيرة وسط ظروف حياتية صعبة، وفحصى جزءاً كبيراً من طفولته في الرياض التي انتقل إليها في عام ١٣٥٠هـ و التي لم تكن آنذاك بحجم المدينة .

« مدينة بريدة حوالي ١٠ كيلومتر ويحدها من جهة الجنوب والجنوب الغربي وادي الزعة ويحدها من الشمال والشمال الشرقي نفود القصيم، ومن جهة الغرب والشمال الغربي جبل ساق، ويحدها من الشمال محافظة تبوك الجواء، ومن الشرق بريدة، ومحافظة عنيزة، ومن الجنوب الغربي محافظة الباحة، وجنوباً الطراء، ورياض الطراء، وهي ذات موقع استراتيجي بالنسبة لمحافظة القصيم وهي محافظة أهدأ بأسياب التطور اختبرت في عام ١٩٩١-١٩٩٩م التغيير الصحية الأولى في المملكة العربية السعودية كما وضحت مع د. سعد العبدية لمحافظة الأمم الواقعة في الباهات.

١٧ تذكر بعض المصادر التاريخية أن بدايات تاريخ أسرة الراجحي في منطقة القصيم ارتبطت مع بدايات نشأة البكرية، بين عامي ١٢٢٥ - ١٢٦٠هـ بعد أن نازح جدهم الأول ناصر الراجحي من القويحية إلى عنيزة ثم العقالية التي استقر فيها لقبول كاث البكرية ذاك الوقت أرضاً خصبة سكنها رواد من أهالي عنيزة بذاك اسم البكرية، وهو فيها بشراً إلا أنه باعها إلى عيسى ومحمد بن عثمان العريزي التميمي أرباباً بعيها ... إلا أن أهل العقالية اعترضوا على ذلك باعتبارها مزارعاً لغواشيم إلا أن العريزي، وأن في تلك الزمنية مكاناً مناسباً للسكن، ووجد في الراجحي طير مناصر له في تخطيط حله، فاتفقوا على إهداء الأرض وتقسيم الإعارة. وقرر الراجحي بخراً واسعة لتعتبر .. ذاك الوقت .. من أكبر الأبار في نجد، فاستقرت أسرة الراجحي في البكرية إلى يومنا هذا ومن آثارهم القويحة بئر الرواجم ومسجد الرواجم وقد بناه الشيخ محمد بن سليمان بن ناصر الراجحي عام ١٢٣٥هـ، وقام بزمجيره الشيخ سليمان بن عبدالعزيز الراجحي، ومنصوره الرواجم، وقد بناه الشيخ محمد ناصر الراجحي عام ١٢٣٥هـ، ومسجد الشيخ محمد بن محمد الراجحي أنذاك بناه عام ١٢٣٢هـ، أعدت ضريح الشيخ علي بن محمد الراجحي البسيفاء منطقة الجوف .. انظر التغيير في عالم بن عبدالعزيز كتاب البكرية تاريخها، جغرافيتها، وادها.

وكان قد قضى وقتاً ليس باليسير في تلقي علوم القرآن والأحاديث على يد عدد من المشايخ آنذاك، وحينما أحس بقدرته على إفادة الناس بعلمه خرج متطوعاً في البراري.

هناك وسط بيوت الشعير التي تشبه لون الصخور الحارقة جلس والذي شهوراً بعلم الشياطين^(١) أمور دينهم وبصلي بهم، ويعقد قرانهم قبل أن يتوجه إلى الكهنة التي ولدت فيها والتي سكن فيها والذي ربحاً من الزمن مع والدتي عائشة بنت سليمان الراجحي.

وفيما كنت أخطو الخطوات الأولى كنت أستمع طرقاتاً من حكايات العائلة التي تمتد جذورها الأولى إلى ما وراء أزمان بعيدة من القومية الواقعة وسط نجد حيث خرج ذات يوم من أيام عام ١٢٨٥ هـ / ١٧٧١م جدنا الأول ناصر الراجحي وأخوه فنتوخ إثر خلاف حاد بينهما وبين أبناء عمومتهما^(٢).

وحيثما اقتريا من عنيزة واصل فنتوخ رحلته إلى حيث انتهت به في الوشم فيما دخل ناصر عنيزة وقت صلاة العصر، فاجه إلى أحد مساجدها، تلك هي ربما كانت الرواية الأولى التي سمعها أفراد الجيل الأول من عائلتي والتي نسجت عليها بقية القصة.

كان ناصر محظوظاً في ذلك اليوم حينما فادته أقدار الله

(١) الشياطين، فرام من قبيلة العتيبة.

(٢) تشير الروايات العشوائية المتداولة إلى أن الجد الأول، جبريل، نزع من سفراء إلى القومية في منتصف القرن الثاني عشر الهجري واستقر في القومية وفي إحداهن استقرت ثلاث من أقطاب من القومية ناصر، وفنتوخ أما الثالث وهو هريش فقد بقي في القومية.

للعمل في مزرعة أحد الذين قابلهم عند باب المسجد. تقول الروايات المتوارثة: إن ناصرًا كان رجلًا اجتماعيًا نشيطًا. ولعل هذا ما ساعده في بناء نفسه وعائلته..

وفيما بين عنيزة والخراء ثم الهلالية أخيرًا عاش ناصر الذي امنهين التجارة فترة طويلة تمكن خلالها من الزواج وعلى مدى سنوات حياته التي امتدت طويلًا رزق ناصر بثمانية أبناء كان سليمان أحدهم حيث أنجب سليمان محمدًا. ثم أنجب محمد سليمان. ثم أنجب سليمان صالحًا. ثم أنجب صالح والدي عبدالعزيز.

كان ترتيبه الثالث من بين الأشقاء الأربعة. فقد كان صالح أكبرنا حيث ولد في البكرية عام 1341هـ/1921م. يليه عبدالله الذي ولد عام 1345هـ/1925م في البكرية. ثم أنا 1348هـ/1929م. فمحمد الذي ولد في البكرية عام 1349هـ/1930م.^(١)

(١) استكمل محمد حياته بالتعليم ثم لازم أخوه الأكبر صالح فاشتغل عنده فتوسعت أعماله مع توسع تجارة أخيه رافع توسم أعمال أخيه المصروفية مؤسسة صالح العبد العزيز الراجحي حيث ساند أخيه في إدارة المؤسسة تحولت في عام ١٣٣٦ هـ إلى مؤسسة صالح بن عبدالعزيز الراجحي للمصارف والتجارة وفي عام ١٣٣٨ هـ انضم مع اخوانه في شركة الراجحي للمصارف والتجارة والتي تحولت فيما بعد إلى شركة الراجحي المصروفية للاستثمار ولقد كان محمد العضد الأيمن لأخيه صالح في الكثير من أعماله حيث يعتبره بمنزلة والده.

وكنا صالح وعيادته وأنا نعمل مع والدي في متجره الذي افتتحه عقب عودته من البراري، وهو لم يكن متجرأ كبيراً. بل كان مجرد مكان صغير لبيع السكر والشاي والتبغ وبعض مستلزمات البيت في ذلك الوقت ..

ذات يوم قرر أبي بيع المتجر والتوجه إلى الزراعة. كان ذلك في بلدة الهلالية الجاورة للبكرية. اتفق أبي مع صاحب إحدى هذه المزارع على الزراعة بطريقة الزراعة بأن يقوم والدي بزراعة الأرض ثم بيع نتائجها ونفسيهم الأرباح بطريقة معينة.

وضع والدي كل ما يملك من مال في هذه الأرض. لكن إرادة الله فوق كل شيء، فقد تكاسلت الأبل التي كنا نعتمد عليها في الزراعة. ونصاغت ولم نستطع الاعتماد عليها. فقصر والدي ذبح الأبل وتوزيع لحومها على سكان الهلالية. بينما أخذنا نحن جزءاً منها. وهكذا أصبحنا بين يوم وليلة لا يملك أي مصدر رزق.

وظل أبي يفكر كثيراً أولاً في تسديد ما عليه من ديون. ثم ثانياً في إيجاد مخرج مما آلت إليه أمورنا.

كان أبي قوي الشخصية شديد القرب من الله سبحانه وتعالى وكان كثير الحمد والشكر. لم تهزّه هذه الأحوال كثيراً. ولم تصدّه عن مواصلة الكفاح.

ذات يوم قرر والدي التوجه إلى الرياض. بعد أن استنخار الله سبحانه وتعالى ودعا جُلّ وعلا. كان ذلك في منتصف عام ١٣٥١هـ/١٩٣٢م

تقريباً. كان عمري آنذاك أربعة أعوام، بينما كان صالح أخي الأكبر يبلغ الحادية عشرة من عمره. أما عبدالله فلم يكن قد تجاوز الخامسة.

كان علي أبي أن يقرر بسرعة: إذ لم يكن له في الرياض التي قضى شطراً من طفولته فيها كثير من المعارف، ثم إن أحوال العائلة بكاملها إلى هناك يعني ضرورة توفير الكثير من الاحتياجات وهو لم يكن يملك يومها لمواجهة شتى.

اختر أبو الخيار الصعب، فقد قسم عائلته قسمين. تركني أنا وأخي محمد مع والدتي في البكيرية. بينما رافقه أخوأي صالح^(١). وعبدالله^(٢). في رحلتهم المجهولة إلى الرياض.

(١) ولد في البكيرية عام ١٣٢٦هـ/١٩١٧م ونشأ في كنف والده الشيخ عبدالعزيز بن صالح الراجحي ووالدته الزينة عاتقة بنت سليمان الراجحي تاجر بصالح والده في طلب العلم الشرعي وداوم على قراءة القرآن سائر إلى الرياض ولزم جماعة الشيخ محمد بن إبراهيم وحضر على الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم والشيخ محمد الأمين الشنقيطي حفظ القرآن ميلاً ودرس الأربعين النووية وعدة الأحكام والأصول الثلاثة وكتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب وحلّل للفرادة في مسجد بن وليد وعندهما أتم دروسه اكتشف أن التجارة خير في عروقه وأول اليوم والشراء ومن ثم اتجه إلى القصافة في وقت صيف وظروف لا يمكن وصفها بأنها مادية وتخرج في مجالات أخرى كالغزل والزراعة إلى أن أصبح أحد رجال الاقتصاد المشهورين بالرياض. وهو في طلب الوقت وجد ما يلائم مغبته فبكرة وأول السمات التي يتميز بها أنه متواضع رغم التعامل مع التهذيب معاني محفوف الطلف خاضع التديب ومن الشخصيات النشطة في هذا الطور وما بين ثلثي الكتاب قراءات في حياة الشيخ صالح الراجحي.

(٢) ولد في البكيرية عام ١٣٤٥هـ/١٩٢٥م وتربى في كنف والديه والتحق في بداية حياته بمدرسة محمد بن سنان ثم تحول إلى سوق العمل فاشترك في تلك المصالح ثم مع أخيه الأكبر صالح ثم انضم ككاتب بالقرن مع المصطفى يوم فيه الخطوة والهدوء والشك في ثم اتجه إلى بيع الأسمنت ومواد البناء والأخشاب وفي أواسط حياته عملت تجارته فاصبح من كبار تجار مواد البناء وفي عام ١٣٨٠هـ انضم مع أخواته في مؤسسة الراجحي للصناعة والتجارة وتحولت فيما بعد إلى شركة الراجحي للصناعات للاستثمار والمعروفة باسم مصرف الراجحي. وفي السيرة يعطى اللطائف عن حياته.

2

الرياض .. الاغتراب .. والتكوين

لم تكن الرياض التي وصلها ركب عائلي القسومة يومها سوى بيوت طينية متناثرة على مساحة صغيرة من الأرض ويحدها من بعض جوانبها أسوار لها أبواب تُوصد مع مغيب الشمس غير أن ذلك لم يكن يعني أنها مدينة مينة وبلا حياة .

كان الملك عبدالعزيز - رحمه الله - قد جعله الله تعالى سبباً في بعث الحياة في أوصالها عقب اتخاذها عاصمة لدولته التي وتحتها.

كانت العمليات التجارية في أسواقها - على صغرها - تجري على قدم وساق. وكان ثمة عدد من المدارس التي تُدرس علوم القرآن والحديث متناثرة في أرجائها. وفي إحداها وتحتيداً مدرسة الإخوان أو (مدرسة ابن سنان)⁽¹⁾ كما يطلق عليها العامة. أدخل

١٥ لم يبدأ بعد التعليم النظامي الحديث أو المدرسة الحديثة بمواصفاتها المعروفة. التعليم النظامي. إختيار المتأخر..

أبي أخوي صالحاً وعبدالله. لينهلا من علومها الكثير. ويحفظا فيها القرآن الكريم. وكان في تلك المدرسة عدد من الإخوان الذين تعرف عليهم صالح وعبدالله. مثل علي بن عبدالله بن شاكور. ومحمد بن سنان وغيرهما ..

لم يكن لأي واحد منهم مصدر للرزق. فقد وصلوا جميعاً إلى هنا باحثين عنه . كانوا فقراء يسبحون في أرض الرياض. وكان علي أبي أن يحقق ما جاء من أجله.

عاونه الحنين إلى مهنته الأولى التجارة. فجمع من المال القليل. وجاء بصندوق من الخشب "سَخَّارَة" ووضع فيه مشالِح وأشياء أخرى قديمة ومستعملة بنادق وبشوت وغيرها بما كان يراها ذات جدوى . اشترها بعناية من هنا وهناك بأسعار لم تكن تتجاوز الريالين لبيعها في مكانه الذي اختاره جوار جامع الديرة بريالين وربع أو ريالين وقرشين. وأحياناً أخرى كان يلجأ إلى الحراج عليها . وهكذا مضت به الأيام الأولى في المدينة التي اختارها.

أما صالح وعبدالله فقد واصلوا بجد تلقي العلوم والفقه في مدرسة الإخوان. وفي سبيل سد الرمي لجأ إلى أحد قصري الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - وهو الأول (قصر ابن مسلم). وكان الثاني (قصر خرمن) أو (تليم). وكان مخصصاً للبادية. وهناك سجلا مع من كانوا سبقوهم في سجلات القصر من أجل أخذ

رواتبهم اليومية. وهي مجرد وجبة من الأرز المطبوخ كل يوم في وقت محدد مع الوعد برواتب سنوية كانت تسمى (الشهره) تؤخذ مع إطلالة شهر رمضان المبارك من كل عام.

أما أنا ومحمد ووالدتي فقد كنا نعيش على الكفاف في البكرية بما كان يرزقنا به الله سبحانه وتعالى. وما كان يرسله أبي من بقايا أرزهم المطبوخ بعد أن يقوموا بتحقيقه.

كنا في كل يوم نترقب من خلف الأفق ركب الغادمين من الرياض لعل أبي أو أحد أخوتي قد أرسلوا معهم من الأرز المجفف شيئاً.

كانت أمي امرأة شديدة الصبر، شديدة التحدي، كريمة. كانت مع حالتنا هذا لا تضمن على جيراننا بما عندها، بل كانت تقوم بإعطائهم نصيباً من هذا الزاد المرسل.

كانت حيات هذا الأرز المجفف كثيراً ما تفرحنا أنا وأخي محمد ولطالما كنا نضعه في جيوبنا لتسلي به حينما نخرج من بيتنا الصغير، تماماً كما يفعل أطفالنا اليوم بقطع الحلوى والشيكولاتة التي تملأ جيوبهم ..

كانت ثلاث سنوات قد مرت على حالتنا هذه دون أن تحدث أية تغييرات أو تبدلات كبيرة في حياتنا.

كانت الأيام هكذا تمر. وأبي مع غارته يجاهد في ربح فرش أو

فرشبين، بينما صالح وعبدالله في مدرستهما يتهلان مزيماً من العلوم، ولا يقطع مشاهد أيامهم المتكررة هذه سوى بحثهم في الأمسيات عن بضعة أخشاب أو أعواد أو جذوع للتخل مرمية هنا أو هناك ليطبخوا بها طعامهم الغليل أو يدفنوا به أجسادهم الصغيرة من زمهرير البرد الفارس في ليالي شتاءات الرياض المظلمة، وذلك في بيتهم الصغير الذي استأجره والدي في حي دخنه.

وحينما أحس والدي بوحدته في هذه المدينة أراد أن يبحث عن امرأة تساعد، ويغض بها بصره، ويحفظ بها نفسه، فتزوج امرأة يعود أصلها إلى الأحساء^(١) وكانت امرأة كبيرة في السن ظلت معه مدة من الزمن ثم يرقه الله سبحانه وتعالى منها بأثناء فتشرفا بعد ذلك .

لكن هذه المرأة لم تكن الوحيدة التي تزوجها أبي غير أمي، فقد تزوج في حياته عدداً من النساء ورزق منهن بعدد من الأبناء الذين هم اليوم يمثلون إخواني غير الأشقاء .. أما إخواني الأشقاء فلم يزد عددهم سوى أننا رزقنا بأخت توفيت فيما بعد وهي صغيرة.

(١) واحدة واسعة تكلم شرق المملكة العربية السعودية وتبعد عن مدينة الدمام - ١٢ ميلاً عن الجهة الشمالية الشرقية وعن مدينة الرياض - ٣٩ ميلاً عن الجهة الجنوبية الغربية وعن شاطئ الخليج العربي - ٤ ميلاً عن الجهة الشرقية.

3

الطريق إلى الرياض

جاء أبي عائداً إلينا كان ذلك في عام ١٣٥٦هـ بعد غياب دام ثلاث سنوات ليبتئنا بالاجتماع ثانية. وكنا في شوق شديد لرؤيته ورؤيته أعزّني صالح وعبد الله. وكنا على استعداد للرجل معه أينما يريد ..

لدينا جمل واحد وعلى ظهره يجب أن نركب نحن جميعاً. كما يجب علينا أن نحمل عليه بعض مناعنا، رحي. وبیت شَعْر لا نتجاوز مساحته ثلاثة أمتار مربعة. إنهما يمثلان لنا المأوى والمأكل..

كان طريقنا إلى الرياض في ذلك الوقت طويلاً وصعباً، وخلال خطواتنا الأولى فيه بدأت بيوت البكرية الطينية الصغيرة تختفي شيئاً فشيئاً ومع وقع أخفاف الجمل الرتيبة على الرمال كنت أختلس النظر إليها حيناً بعد آخر غير عابئاً باهتزازات الجمل الذي كنت أجلس على قمة سنامه. لقد خلفت ورائي البيوت والشوارع الخرابية وعيون الأطفال الصغار أصدفائي.

وصلنا بريدة عبر طريق خَفُّ به أشجار النخيل في جانبه وهو

طريق الميسب . وهناك خارج المدينة حيث لا يسوت. وجدنا مزرعة صغيرة ظليله اخترنا مكاناً فيها لنسريح .. غمرنا الفرع لابتعادنا عن الشمس والغبار رغم أن الوقت كان ربيعاً ..

وفي انتظار السيارة إلى الرياض استمتعنا ببعض الوقت بصوت الماء الهائى الرقاق الجارى في المزرعة وبخشخشة الأوراق والخشائش.

وحينما قدمت السيارة التي ستحملنا اعتلينا ظهرها وسط عدد من الرجال والنساء الذين كانوا يجلسون فوق الأخشاب وجرائد النخيل والكثير من الأغراض. كانت السيارة من نوع (فورد) لوري تقوم هي وغيرها من السيارات برحلات منتظمة بين هذه المناطق والرياض ..

تركنا المكان على كره منا. ومرة أخرى دخلنا وسط الأغيرة والرمال. كان طريقنا صعباً. وكانت كثبان الرمال كثيراً ما تعيق سيرنا. وكان البعض من الركاب يضطرون في معظم الوقت إلى السير على الأقدام ومساعدة السيارة للخروج من مأرق الطريق الرملية. بينما كنا نحن الصغار نستمتع بالمشاهدة. وربما كذلك كانت النساء اللاتي يركبن معنا أيضاً ..

كنا قد أمضينا وقتاً طويلاً نسير فيه في الهواء الطلق. وحينما أرخى الليل سدوله توقفنا في أطراف مكان يسمى الركية ..

يبدو أن بعض الركاب وسائق اللوري قد فروا للبيت هنا وقت

السماء الصافية وما كان لنا نحن الصغار سوى الإصغاء لهم. إنها ليلة هادئة مظلمة ساكنة لا يقطعها سوى صوت أنفاس الناس وخشخشة جراند التخييل وبعض الشخير هنا وهناك ..

وفي اليوم التالي وأصلنا سيرنا مع أولى نياشجر الفجر الذي حمل إلينا هواء لطيفاً. وعبر الطريق الرملي الشاق قضينا نهراً طويلاً أضحى في منتصفه حاراً. وبين حين وآخر كنا نشاهد قطعاناً من الجمال جُول في البراري. وأحياناً كنا نشاهد بعض المزارع الصغيرة التي تنضج في أرجائها أشجار التخييل ..

في يومنا الثالث من مصيرنا لاحظت لنا خلف الكثبان أشباح بيوت عديدة إنها (شُقراء)^(١٤) بلدة صغيرة بيوتها مشيدة من الطين والخشب. ووسط سوقها المني بالباعة ولفتت سيارتنا التي أثارت العجب في نفوس الناس إنهم حديثو عهد بها.

ووسط هذه الجموع برز أمير شُقراء عبدالرحمن البواردي وتوجه إلى جميع من كانوا بالسيارة يدعوهم إلى العشاء.

لَبَّى الجميع الدعوة. بينما رفضت ذلك أمي. فقد كانت شديدة الحياء. وبطيبة الحال جلسنا نحن الصغار أنا ومحمد بجوارها في السيارة.

(١٤) هذا اليوم بلدان الوشم تقع على طريق الرياض الحجاز القديم تبعد عن مدينة الرياض ١٨٠ كيلة تقريبا.

لحظات وجاء إلينا المدد .. إناء من المشيب وعليه يد من خروف
وجريش وفليل من القرصان .. لم تصدق أعيننا ما تراء لقد مرَّ
علينا وقت طويل لم نشاهد مثل هذا الأكل. أما هذا المذاق اللذيذ
للطعام والمكان الذي نزلنا فيه ظل مطبوعاً في ذاكرتي.

مرة أخرى عاد أفراد الرحلة يتجمعون في ذات المكان: فقد حان
وقت الرحيل مجدداً. وعادت السيارة ترمجر وترسل دخاناً أسود حاراً
تفسد به هواء شقراء الغني. وطوال الطريق الطويل إلى الرياض
كنا ننعم بلذة الطعام الشهوي الذي احتفظت والدي بجزءه وغير
منه .. لقد كان رذاً رائعاً في وسط تلك الرمال الخارقة ..

4

الوصول ..

أخيراً بلغنا غايتنا .. أسوار الرياض .. بيوتها الطينية..بيتنا
الطيني الصغير في حسي دينة المليء بأشجار التخيل البانعة
والبيوت المسقوفة بجذوعها وجريدها.

البشر هم البشر. والبيوت هي البيوت. والشوارع ليست هي
الشوارع. والناس في كد وعمل. والشمس في سمانها تكشف كل
شيء. وكذلك القمر في ليلها البهيم الذي سوف يأتي.

أبطلت سيارتنا العتيقة من سرعتها. وغاب لبعض الوقت دخانها
الأسود الكليل وخف صوتها المبحوح. ومد الجميع أعناقهم للرؤية
وارتسمت على الوجوه الغيرة علامات الراحة.

ها هو بيتنا إذن. وحسب ندخله علينا حمل مناعنا الذي لازمنا:
الرجل. وبيت الشعر. أما الغبار العالق بأجسادنا فيتبقي أن لا يزول
الآن في هذا الشارع الطويل بل في بيتنا الذي التأم فيه شملنا.

ولدفائق تعانفت أعيننا. كما هي كذلك قلوبنا. كان الضرح
بادياً في وجوهنا نحن الصغار. وعلى وجه أمي التي هدا روعها
باحتضانها لصغيريها الآخرين..

ولدفائق أخرى ظللنا نتطارح الأخبار. نخبر أيام السنين الطويلة
ولا ننسى حكايات ألعابنا ومشاكساتنا. خير من هنا وآخر من
هناك، غير أن أحدهما حمل لنا عنواناً لما ينتظرنا. وما يجب علينا
فعل..

أخبرنا صالح وعبدالله عن معاناتهما في جمع ريالين من
الفضة لتسديد إيجار البيت الذي نزلنا فيه، والذي ستمتفاسم
غرفه معهما نحن القادمين الجدد. فعند غياب أبي هدد صاحب
البيت إخواني بالخروج ما لم يقوموا بتسديد الإيجار السنوي للبيت
ريالين من الفضة أو كما كان يسمى حينها بالريال العربي. ومن
أجل توفيره جاهدا طويلاً وقاما ببيع الحطب الذي كانا يجمعانه..

وفي وسط الدفء الذي حلّ بنا بعد ما التأم شملنا قمنا
بالاسترخاء بانتظار يومنا الجديد.

اكتشاف المدينة...

لم أخرج في الصباح الأول لي في الرياض إلى الشوارع للتمتعه والاكتشاف؛ إذ ما زلت صغيراً وفقيراً بما يكفي للحرمان من هذه المنفعة.

لكن مشاهد الأدخلة المنبعثة من بين سقوف البيوت الطينية الجاورة نبهت أحاسيسي بأن الحياة في هذه المدينة ممتعة.

كما أن مشاهد المياه المخلوطة بطين الأرض وحببات المطر المتساقطة وشمسها الحارقة كانت أدخلت في النفس الكثير من الانشراح.

بعد أن مررت ليالي وأيام الدهشة الأولى كانت مشاهد الناس والفقر والغنى والعمل والحركة التي تميز المدينة وتحيطها من كل جانب توحّد في عقلي بشكل ما قوة الحياة فيها، وتجزني في الوقت نفسه للحلم بالعيش فيها بسعادة بالغة.

كما تعزز في مخيلتي صور النجاح وإمكانية تحقيقه.

إحدى أهم متع المدينة الحقيفيه التي شعرت بها وأنا لم أزل في أيام طفولتي الأولى هو خروجي في الصباح إلى المدرسة. والحق أن المتعة ليست في نهاية المطاف أو غايته وإنما في تفاصيل الطريق الموصلة إلى هناك. كانت حركة البيع والشراء وحبوبه الأسواق ومشهد الباعة وصيحاتهم هو أكثر ما يثيرني. ويجعلني مستمتعاً بهذا الخروج..

لم تكن الرياض في تلك الأيام سوى مدينة صغيرة تغطي مياه الأمطار.. حينما تتساقط.. طرفاتها وتتحول ترابها إلى أوحال تفوح منه روائح معتقة تبهشنا نحن الأطفال وتدعونا إلى الخوض واللعب فيه. تفرق تارة وتارة أخرى نغمر هنا أو هناك..

أهم ما يميز المدينة كان قصران أمر الملك عبدالعزيز -يرحمه الله- بينهما كمنسيفين. أحدهما (قصر خرمن)، وهو مضيف الملك عبدالعزيز. وقد كان في تلك الأيام يئن بالرحام والأفواه الجائعة. وبأنواع من البشر الفانمين من أصقاع البادية. وفيه كان يقدم أطباق الأرز الذي كان يشاهد المرء حياته وهي تنلأ وتتوهج مع أشعة الشمس الحارقة قيل أن تغيب في جوف هؤلاء الطيبين.

أما القصر الثاني فقد كان (قصر ابن مسلم) وهو مخصص لشيوخ الفياصل وطلاب العلم وفيه كانت الوجبات شهية. لا متراجها بقطع من لحم الغنم. أو دهن الشحوم المذايب.

وفي الحديقة كان هذان القصران يوفران للناس الكثير فهما
على الأقل مكانان منميران-

ذات يوم هوجئ سكان المدينة باختفاء شمسها وتواربها خلف
سحب سوداء من مخلوقات صغيرة.

كانت أسراب الجراد الكثيفة والتي قد مدت من جهات المدينة
الأربعة قد شاجأت الجميع، فقاموا إلى مطاردته.

أمر الملك عبدالعزیز - رحمه الله - بنصب القدور في الشوارع
والخارات، وحفر الحفر الكبيرة.

كانت اسراب الجراد كبيرة، وأصنافها عديدة، ولذا لجأ الناس الذين
خرجوا جميعهم إلى طبخ بعضها في هذه القدور، فيما قام
الآخرون بدفن ما تبقى منها في الحفر.

وبقدر ما كان هذا الحدث فريداً بالنسبة للكبار وخطوياً في الوقت
نفسه، بقدر ما كان مبهجاً لنا، ولطالما أعجبنا الركض خلفها
وأطربنا أصوات المنشدین الذين كانوا يحفزون الجميع على العمل.

لكن الأكثر غرابة وامتزاجاً والتصاقاً في عقلي مع ذكريات تلك
الحادثة هو ما شاهدته وشاهده الكثيرون غربي من غرائب هذه
الأسراب التي كانت تختار ضحبتها من أشجار النخيل بعناية
غريبة، ففي حين نط هذه الأسراب على بعض النخيل، ونقضني

عليه. تسلم أشجار أخرى وبساتين من هجومها.

وبالمسؤول عرفت كما عرف الجميع أن الأشجار التي سلمت كانت لأناس من أهل المدينة خرين. يدفعون زكواتهم وصدقاتهم باستمرار في حين أن الآخرين لا يهتمون بذلك. وقد كان ذلك درساً باكراً لي على أهمية الزكاة والصدقة والأعمال الخيرية.

وكان من بين هذه الأشجار والبساتين بستانا الشيخ عبدالله آل الشيخ والشيخ فضل العصيمي اللذين كانا يداومان على إصدار بيت الإخوان للخصص لطلبة العلم بكميات من التمور والوفير.

وكانا يمثلان بجانب قصري الملك عبدالعزيز أهم روافد المؤونة للكثيرين في الرياض.

6

صور من شوارع الحارة الخلفية ..

خارج جدران بيتنا في حي ابن غدير كان هناك عالم طفولي صغير يحيا ويتحرك بحبويه. وكنت أنا جزءاً منه. وكان أقصى مُتعة لي هو اللعب، ولا شيء سواه..

وفي سن الطفولة تلك تكونت لديّ أولى مشاهد الصداقة. أطفال من الحي الذي أسكن فيه وأخي محمد

وفي أوقات ما بعد الظهر وبعض الأمسيات وحينما نكون خارج المدرسة أو العمل كنت أليس لوبي الذي هو في الأصل اللوب الوحيد لأذهب إلى أحد الشوارع الجانبية. أنا ومحمد وبعض الأصدقاء لنمارس بعض الألعاب الخطيرة .

ونظل طوال وقت طويل نجهز قريقتنا أو لنقل جيشنا الصغير القوي الذي كان قوامه بضعة أفراد. كنت أنا وأخي محمد وعبدالرحمن الريس وعبدالله بن أحمد وإبراهيم بن غبيش جزءاً

أساسياً منهم وفي المقابل هناك من كان أكبر سنّاً منا، وكانوا بمثابة الوفود الذي يزيد النار ضراوة. إذ لم تكن مهامهم تتجاوز التشجيع وزيادة الحماس للاستمتاع بهذه الحرب غير المعلنة التي كان يمثلها لعبة الرمح.

في الحسي المجاور لنا كان أفراد "جيش" حارة الطرفية في العادة على أهبة الاستعداد للهجوم. وحينما نحن ساعة اللقاء نتقدم نحن من جهة الشرق أو الغرب في حين يتقدم "خصومنا" من الجهة المعاكسة.

وكما كانت الجيوش في الماضي تفعل، كنا نحن كذلك نفعل. نقف برهة من الوقت في صفوف متراصة في مواجهة (خصومنا) أو جلوس ونظل لبعض الوقت نتراسق بالكلمات ، كما كان يفعل شعراء الحرب في الجاهلية بعضاً من مفاخرنا وبعضاً من مذماتهم.

وحين يدعو الداعي إلى الحرب كنا نسمع كلمة "حامية" فنحصى الجباه. ويبدأ الضرب بالأرجل وبالأيدي في معركة يحمى وطيسها مع إصرار كل طرف على الفوز ورفضه لقوله كلمة "حال" التي تعني لن بقولها الهزيمة والفرار.

وفي بعض الأوقات كنا نحاول حمايه ساحه الشوارع من فرار الخصم فنقوم بمطاردة من يريد الفرار ودفعه إلى أحد الجدران

الحيطة بالشارع لإيقاعه ومنعه من الفرار.

لم تكن أعمارنا تتجاوز الثانية عشرة حينما كنا نقوم بذلك الألعاب الخطيرة. والتي كنا نسعد بها كثيراً بالرغم من خطورتها ولكننا بالرغم من ذلك كنا نظل بقية الوقت أصدقاء جموعنا شوارع الحي في أوقات متفرقة إذ تجرنا ظروفنا المعيشية إلى الالتفات إلى ما هو أهم وهو البحث عما يسدُّ الرُّقْ.

أبي وورقة التَّيْت وطبيبا المدينة.. ومناظر أخرى مهمة

في أيام الشتاء يحل المساء باكراً، حيث تغيب الشمس ويأتي الظلام، فننقطع عن اللعب ونأتي بيوتنا مسرعين.

في العادة تكون ثيابنا منسوخة مليئة بالأتربة وبالأوحال، وأيدينا تحمل ما علق بها من حلفات الركض والغفر ومع ذلك لم تكن نحسُّ بأية أوجاع أو أسقام، فالثياب تظل كما هي في العادة معلقة على أجسادنا وأيدينا كذلك.

في مدينة الرياض لم يكن هناك سوى طبيبين اثنين، وهو ما لم نشهد مثله في البكيرية التي قدمنا منها، وذلك أيضاً صورة أخرى رائعة لهذه المدينة.

كان الدكتور أحمد الطباع أحد هؤلاء الاثنين، وهو طبيب متخصص في علاج كل شيء وبأي شيء، لم يكتب على عيادته أنه متخصص في الباطنية أو الجلدية أو الأنف والأذن والحنجرة أو الأطفال أو العظام والنساء والولادة وأمراض الصدر والقلب لكنه في الواقع كان يمارس العلاج في كل هذه التخصصات، وكان على

استعداد لتوفير الدواء المناسب لأي مريض، لأنه لم يكن هناك سوى أدوية محددة ومعروفة وذلك كان هو الواقع حقيفة.

أما الطبيب الآخر فقد كان متخصصاً في علاج العيون، ولذلك ربما نأى الدكتور الطباع عن علاجها على الأقل احتراماً لزميله الدكتور أحمد حيدر، طبيب العيون الوحيد في الرياض.

في وسط هذه الأجواء من التفاؤل بمقاومة أجسادنا للأمراض - ويبدو أن تلك المقاومة كانت حقيفة - عدت ذات يوم إلى البيت بعد جولة من جولات اللعب وقد أصيبت عيني، كان مجرد ألم وغشاوة خفيفة، وقد ظننت أن أبي سوف يأخذني إلى عيادة الدكتور حيدر لمعالجتها، غير أنه لم يفعل ذلك، لأنني في الحقيفة لم أشاهده يوماً من الأيام يذهب إلى واحدة من هاتين العيادتين.

كان أبي على ما يبدو يحمل فكرة جيدة للعلاج خاصة أنه قد تعود على استخدام الطب الشعبي في مثل هذه الحالات.

فقطعنا الدروب الضيقة التي تحفها أشجار التخيل الخاصة بمزرعة ابن ريس حتى وصلنا إلى شجرة تينة صغيرة فقام أبي بقطع إحدى أوراقها وفيما أنا أنظر إليه لأرى ماذا يريد أن يفعل طلب مني الاقتراب منه فتح عيني بإحدى يديه فيما شرع باليد الأخرى التي تحمل ورقة التين في حك جفن عيني المصابة بقوة.

ولدفائق أطلعت الدنيا أمامي، وبدت أشجار النخل الكبيرة مجرد
ظلال سوداء تترامى بين الفينة والأخرى. فيما كان الدم يتزف من
عيني وأبي يواصل حك جفني.

وبعد دقائق توقف عن العلاج، وطلب مني الذهاب إلى بركة الماء
الغريبة. ويعيني الأخرى السليمة غسست الطريق ووصلت إلى
حيث الماء، فغسلت عيني وتوقف الدم. وزال الألم.

8

متم المدرسة ومضائقاتها..

لم تكن الدراسة التي كنت مجبراً عليها وكذلك أيامها تشعرني بكدوني الشخوصية^(١). كما لم تكن لحظات سعادتي التي كانت طفولتي ملبنة بها تكمن في جولات اللعب واللهو في الشوارع.

في الحقيفة وبالرغم من الفقر الذي كنت أعيش فيه، إلا أنني ومنذ وقت مبكر أحسست بالسعادة في هذه الحياة من خلال الأعمال التي كنت أقوم بها، أو كانت توكل إليّ. وهكذا لم أكن بأي حال من الأحوال في شوق إلى المدرسة أو مفارقتها.

كان شقيقي صالح على العكس مني تماماً تلميذاً مثلاً يقرأ باجتهاد. ولم يكن في المقابل يجد أيّ توبيخ أو عقاب من والدي أو حتى من أساتذته. في حين كنت ألقى الأمرين منهم في كل يوم.

(١) لقد اكتشفت في وقت مبكر أن مولحي وتدراتي تتجه إلى التجارة إن الفصح بيت حياة الصالح وحياة الانحلال في النظام التعليمية الحديثة أراء مضبوطة للوقت فلا اعتقد أن على الإنسان أن يتخطى عسرون عاماً أو قد لا يتخطى عشرين عاماً على ورقة ملبنة من أجل أن يتحرك في حرفة أو مهنة معينة. ولا أرى أن هذه السعادة أو البورقة تعب النظم في الحياة.

كانت مدرسة الإخوان بدخنة في الرياض التي أدخلت إليها هي المدرسة ذاتها التي يدرس فيها بقية إخواني. وكان من ضمن من يدرسون معي في تلك الفترة: الأمير سعد بن محمد والأمير عبدالله ابن محمد، وفهد النافع، وعبدالرحمن بن مرشد، وعبدالعزیز ابن شفري.

وكنا نسلمع بأوقاتنا كثيراً غير أننا كنا نلتزم بما هو مطلوب منا في المدرسة من عدم إثارة الفوضى والشاكل. وكنا في العادة نفرغ طاقاتنا تلك عند البوابة الخارجية للمدرسة وذلك في نهاية اليوم الدراسي فنظل لدقائق وقبل أن نخفض يمارس بعض اللعب.

والحقيقة أن ذلك لم يكن السبب الرئيس في العقاب الذي كنت ألقاه في كل يوم. فقد كان عدم متابعتي لدراستي زيادة على عدم الرغبة في التعلم هي الأسباب الرئيسة لذلك.

وفي العادة كنت ألقى العقاب من الجهتين من والدي في البيت، ومن أساتذتي في المدرسة. وقد كان الشيخان علي بن عبدالله بن شاكر ومحمد بن سنان هما القائمين على المدرسة. وكان أبي يحرضهما على ضربني با "الفلكة". وحينما لم يؤد عقابهما إلى النتائج التي يودونها قرر أبي والشيخ ابن شاكر تغيير الطريقة..

ذات يوم ناداني الشيخ عبدالله بن شاكر وأخذ بيدي، وطلب مني الذهاب معه إلى منزله. وهناك طلب مني أن أقوم بإعداد

القهوة التي كتبت بارعاً في فنونها.

في أثناء ذلك جهز الشيخ صحناً من الرطب فجلس وجلس
أنا في مقابلة نحسي من القهوة اللذيذة ونأكل من الرطب.

هل هذا هو العقاب؟

سألت نفسي هذا السؤال وأدركت (ربما تعب الجميع مني فأرادوا
توظيفي عامل قهوة عند أسنانا للدراسة!).

قبل أن تنتهي القهوة من الدلة كان العباس قد بدأ يذب
في أوصال الشيخ الذي كان يقضي سحابة نهاره في الصباح
والتوجيه. وبين نصف مغمضة قال لي الشيخ: (إني سأنام لبعض
الوقت، أما أنت فاجلس هناك، وأشار إلى أحد الأركان، وانفراً حتى
يحين وقت الصلاة).

كان الشيخ ذكياً، ويعلم مدى كرهى للدراسة، فأراد قبل أن
ينام أن يحفزني خاصة أنه يعلم كرهى في الوقت نفسه لمسلسل
العقاب الذي أطلقاه كل يوم أمام زملائي وأصدقائي.

قال لي: إذا درست جيداً فصلاً جعلك تنوب عني في تدريس
"الفراية" وذلك حينما أغيب.

فسألت الشيخ: (وماذا عن الأمر سعد؟)، فقد كان الأمر سعد

هو من يقوم بذلك المهمة في غيابي بما يعني تصادماً بيني وبينه..

قال الشيخ الذي طار النعاس من عينيه وربما كان يريد هذه النقطة بالذات بكنتك منافسته..

كيف؟

منافسته في الدرس¹⁰!

في الدرس الـ مرة أخرى وكأني أعيد نفسي إلى النقطة الأولى والتي أود الهروب منها..

وبينما أنا أفكر في فكرة الشيخ أردف قائلاً : من يحرز المركز الأول هو من يلوب عني..

وفيما عاد النعاس يداعب عيني الشيخ مرة أخرى ويجره للاستسلام كنت أنا أفكر في تفاصيل الصفقة..

نام الشيخ وجلست أقرأ. أو بالأحرى أحاول القراءة. وجاء الغد الذي عزمتم فيه على تحقيق الهدف الذي وددت من وراءه التخلص من العقاب المستمر الذي كان يثقل كاهلي. وكذلك (الشفقي) من أصدقائي وزملائي الذين كانوا يسخرون ويضحكون مني حينما أضرب..

وخلال أيام تمكنت من كسب الجولة. وصرت أنقذم على الأمير سعد، وجلست أضرب من كانوا يضحكون مني بالأمس.

البذرة الأولى .. بضم هلات على ظهر خيشة

فيما كنا نجهد ثلاثنا صالح وعبدالله وأنا في دراستنا كنا
نعمل في أوقات فراغنا في أعمال شتى حتى تساعد أسرنا في
توفير متطلبات العيش الكريم ..

ذات يوم توجه أخي صالح للعمل في مجال المرافقة وهي إذ ذاك
عمل بسيط لا يتطلب سوى افتراش خيشة على الأرض. ومن خلالها
تباع ونشترى الريالات والفروش والجنبيات الذهبية والهللات.

كان ثمة عدد من الناس يعملون في هذا المجال وكانوا يتخذون من
الطريق الممتد ما بين جامع الديرة وقصر الحكم أمكنة ثابتة لهم.

كان هناك ابن شليل وميلك الدوسري. كما كان هناك عبدالله
ابن ناصر الراجحي وسليمان بن عبدالله الراجحي. وكانت الريالات
في ذلك الوقت من الفضة. وكانت تساوي قرشين معدنيين. كما
كانت هناك الهللات التي كان يساوي القرش منها خمس هللات.
وهذه هي الأسعار الرسمية للدولة.

كان أخي صالح يقوم بشراء الريالات مقابل القروش بزيادة قليلة، ثم يقوم ببيعها بزيادة بسيرة أخرى، وهكذا كان يحقق بعض الأرباح التي تمكنه من مساعدة والدي.

وكنيت في أوقات فراغي أخته لمساعدته، فأتذهب إلى سوق النساء فأقوم بالشراء والتجميع. كما كان يذهب هو الآخر إلى الحرفيين في أوقات معينة للشراء. وذلك عندما يتسلم هؤلاء رواتبهم، وإضافة إلى ذلك كان يقوم ببيع وتبدل المفاتيح وتجهيزها لمن يريد.

ورويداً رويداً بدأت عملياته في الازدياد وكان لا يتوانى في الدخول في التجارة والبيع والشراء، وكان على اقتناع بأن الله سبحانه وتعالى سيرزقه ويبارك له في رزقه.

ذات يوم وبينما أخي صالح يحمل أدوات بضاعته كعادته متجهاً إلى وسط المدينة كان موكب الملك عبدالعزيز يمر وسط الطريق وكان صالح سائراً في الطريق. وحينما اقرب منه الموكب فذف الملك نفوداً من الفضة كعادته حينما يرى الناس في الطرقات.

مر صالح دون أن يأخذ شيئاً من النفود، فأوقف الملك سيارته ونزل منها، فأسرع البرقاوي إلى صالح يسأله، لماذا لا تأخذ من النفود؟ كان البرقاوي واقفاً أمام عريته التي جرها الخيول وعليها (الخصمي) وهو الرجل الذي يبلغ الناس بأوامر الملك أو ليفصح له الطريق ..

كان الملك عبدالعزيز - رحمه الله - ذكياً دقيق الملاحظة. فأنكره المشهود وأراد معرفة السبب، فكان جواب الأخ صالح غريباً للذين جاءوا وأخذوا النفود المرمية في الشارع ومثيراً لحاشية الملك أيضاً..

فقد أجاب أخي عن السؤال بقوله،

(أريد من الذي أعطى الملك أن يرزقني).

وكان عمر أخي صالح حينها لم يتجاوز سنة عشر عاماً.

فقال الملك عبدالعزيز، هذا رجل سوف يغنيه الله.

ثم تفرق الجمع وذهب صالح في طريقه، ومرت السنوات، وتحققت توقعات الملك عبدالعزيز - رحمه الله -.

أما أخي عبدالله فقد اتخذ طوقاً آخر بالإضافة إلى دراسته فقد تمكن من الحصول على وسيلة مكنته من نقل وحمل الأغراض والناقل للناس. وهكذا استطاع هو الآخر المشاركة في مساعدة أبي والأخيرة.

10

انتحاء موسم الأرز المجفف .. الثمرة الأولى

نحن الآن في عام ١٣٦١هـ/١٩٤١م وقد بلغ صالح العشرين من عمره، وحان الوقت لإحداث بعض التغيرات الكبرى في حياته، فقد أصبح الوقت مناسباً لكي يتزوج، صحبه والدي وتزوج أبي أيضاً، وكانت هذه الزيجة هي الخامسة في حياته.

وقد كانت زوجة أبي من أسرة العواد من البكيرية، ومنها جاء إخوتي غير الأشقاء عبدالرحمن، وعلي، وإبراهيم، ويوسف، وعدد من الأخوات، وكان قبل ذلك بعاصمين أي في عام ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م قد تزوج بامرأة من أهل الخريق من الهزاني، وكانت امرأة غاية في الطيبة والأخلاق، إلا أنها لم تنزق بأبناء من والدي ..

فتح الله على أخي صالح بعد زواجه، وزادت تجارته في الصرافة، لقد حقق له بعض الثروات، "تزوجوا ففراء يغنكم الله"^(١).

١٥) قال ابن كثير: «ولما ما يورثه كثير من الناس على أنه حديث فلا تصك له ولم أره بغيره قواماً ولا ضعيفاً وفي القرآن غنية عنه تفسير القرآن العظيم للإمام الطبري، عماد الحديث أبي الفداء إسماعيل بن كثير، المجلد الثالث صفحة ٢٨٠.

وأمام هذا الخير الكثير قام بمساعدة والدي في متطلبات البيت وفي المقابل اجتهد والدي في تسديد ما عليه من ديون. وكنا آنذاك نسكن جميعاً في بيتنا الصغير في حي ابن غدبر وكنت أنا وأخي محمد نتخذ بيت الدرج لئلام فيه، بينما أخذ والدي مع زوجته جزءاً من السطح فوق الروشن. وكانت أمي في ذلك الوقت قد سافرت إلى القصيم، أما أخي صالح فقد بقيت له قطعة صغيرة من السطح في الجانب الآخر.

لكن الأهم ما لبثت أن حملت لنا المزيد من الخير. فقد مكنتنا الله سبحانه وتعالى من مضاعفة مساحة البيت، وذلك حينما قُطِّعت أشجار النخيل الجاورة والتي كانت تتبع لآل بحير واستطعنا إحداث الكثير من الإضافات في البيت. كما قمنا بحفر بئر وذلك لتوفير المياه.

جاء الدور على أخي عبدالله ليتزوج، وأيضاً لم يذهب بعيداً فقد سكن هو الآخر معنا. لم يكن هناك أي شيء يمنعنا من التضامن والعمل مجتمعين.. وكان التعاون والتواد واجباً علينا جميعاً. وفي مقابل ذلك كنا نجتهد لمساعدة بعضنا كما كان كل واحد منا يعرف واجباته تجاه الآخر. كنا نحترم كبيرنا، ونوفر صغيرنا، وكنا لا نتوانى في أي نوع من المساعدة دون أي حسابات أو اشتراطات.

الحام من بالوعات الزبدة

لا شيء كان يجعلني أجلس مكتوف اليدين وسط قسوة هذه الحياة التي وجدنا أنفسنا فيها ..

وقد كنت مضطراً لحوض غمارها .. وأنا طفل صغير. لم تأسرنى الدراسة كثيراً. فقد كنت أكثر ميلاً إلى العمل في كل وقت. وطوال تلك السنوات الأولى لي في الرياض تنقلت في عدة أعمال مختلفة كان القصد منها المشاركة في توفير لقمة العيش لي ولعائلتي. في عام ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م كنت أُمراً كثيراً بجانب قصر الحكم وكنت ألاحظ أن نساء يجلسن في زواياه يبعن الزبدة، التي كانت قيمتها لا تتجاوز القرش.

فكّرت أن أخذ إحدى هذه الزوايا مكاناً لي لأبيع من خلاله بعض الأشياء. وقد رأيت أن من الأنسب عدم التنقل، فكنت أود بيع شيء آخر غير الزبدة. ولأن هناك حركة دائمة للبيع في ذلك المكان أحضرت صفيحة "نكة" مليئة "بالكيريوسين" وطرمبة وقطعة سبيخ لاستخراجها - ما زالتا موجودتين عندي إلى اليوم ..

شرعت في البيع. واستخدمت الفارورة كالمِعار للبيع. فهي تساوي الرطل أو اللتر. وكنت أضع ما أبعه بوسط الصفيحة (النكة)

وبنهاية كل عملية كانت الأرباح تصل إلى الفريش أو الفريشين.
وأذكر أني قمت في وقت لاحق بتنويع تجاريسي، فبدأت في بيع
الخلوى التي خصصت لها إناءً منفصلاً بعيداً بعض الشيء. وفي
نهاية اليوم كنت أذهب إلى البيت وكل ثيابي تفوح منها رائحة
الكروسين. حيث لا صابون عندنا لغسله. ثم إن ثوبي هذا هو
الوحيد عندي، فهو للدراسة والعمل والمناسبات وكان هو غطائي
الوحيد الذي يستر جسدي. لكن مع ذلك كنت سعيداً بما أحققه
من أرباح ومشاركة في مصاريف البيت.

طوال الأعوام ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م إلى ١٣٦١هـ/ ١٩٤١م كنت أنتقل
من عمل إلى آخر ومن مكان إلى آخر.. وكنت أبحث عن الفرص
الجيدة التي أستطيع من خلالها توفير ما يسد الرمق. وخلال
تلك الفترة عملت في مختلف المدن ففي سوق القيصرية عملت
ببيع الخطب والجلد. وكنت أنتبع الأبل إلى السوق. فأقوم بجمع ما
يفع منها من دمن وخطب. وكنت في أوقات أخرى أقوم بحراسه
(بسطات) المطبخ في أثناء ذهاب أصحابها مقابل نصف فريش.
وكان ثمة مواقف طريفة تمر بي في عملي بهذا المكان والذي انتقل
في وقت لاحق إلى حي دخنه..

أذكر أن بيتاً صغيرة كانت أمها تعمل في ضرب الدفوف بالأعراس
قد تسلمت علينا. فكانت تأتي إلى السوق فنقوم بأخذ جلد من
أحدنا دون أن تدفع أي مال. وحينما كنا نطالبها بذلك تشير علينا
بالصمت. فنضطر إلى السكوت. إذ كانت الشكوى من امرأة في
ذلك الوقت بعد عيباً كبيراً.

ومواقف أخرى مرت بي حينما كنت أعمل حمّالاً في سوق
المقبيرة. حيث كنت أقوم بحمل الأغراض التي يشتريها الناس من
السوق. وأقوم بتوصيلها إلى بيوتهم.

فأذكر أنني حملت لأحدهم.. وكان رجلاً غيَّراً جزاء الله خيراً.. وكانت
الأغراض عبارة عن كبدة ورأس ومفاديم "كراعين" وبطبخ وبصل،
فحينما وصلت إلى بيته في حي العبقلية رأى الرجل أن ملابسي
قد اتسخت بالدم الذي كان يسيل من الكبدة. فخبرني بين أن
يقوموا بغسلها في بيته أو يمنحني تلك مقابل ذلك فاخترت
التهلكة، فأنا في حاجة ماسة لها. أما الملابس فأمورها مقدور عليه
وبالفعل ذهبت إلى الجامع الكبير الذي كان في جانبه الشرقي
والغربي ركية ماء. وكانت عبارة عن بضع نخلات وبئر ماء وحوض
صغير يصب فيه الماء. وبها مكان معزول. فقممت بأخذ الماء بالذلو.
وصبته على ثوبي وغترتي دون أن أخلعها. وحتى بجفا اضطريت إلى
الركض جبهة وذهاباً ما بين الجامع والمقبيرة. وكان الجو بارداً وهكذا
فجئت حيلتي في تنظيف ثوبي والظفر بالهلهلة^(١).

وغالباً ما كنت أذهب إلى العمل كحمّال في أيام الخميس والجمع
أو بعد العودة من المدرسة والانتهاء من الأشغال الموكلة لي من
والدي وأخي صالح.

وكننت في الغالب أحصل في اليوم على قرش أو قرشين أشتري
بهما صاعاً من طحين أو كرشة أو رأساً لأجل المرقوق.

(١) حدث ليبت هذا بعض الناس في تسمية هذا الموقف إلى الشيخ صالح الراجحي بينما العبقلية
أن هذا الموقف حدث للشيخ سليمان الراجحي بداية حياته.

وفي عام ١٢٦١هـ/ ١٩٤١م انضمت مع محمد بن سلمة الذي كان مساعداً لـ محمد بن مسلم الذي يعمل في أحد قصور الملك عبدالعزيز برحمته الله للعمل كحمال أحمل روائع عماله والتي كانت عبارة عن طعام وهو في الغالب أرز مطبوخ مقابل ريال واحد في الشهر. وأتذكر أنه في ذات العام ١٢٦١هـ/ ١٩٤١م اشترى والذي أرضاً كانت جزءاً من نخيل تنبع لـ "آل ضافي". وقلولتي أنا وأخي محمد على بناء بيت عليها مساحته ١٥٠٠ فراغ مربع (٥٠×٥٠) وكان الاتفاق على مبلغ (مائة وخمسين) ريالاً. وقد أفرحنا هذا المبلغ كثيراً إذ كنا ننوي إعطائه لوالدتنا.

عينت نفسي كمعلم أو أستاذ للعملية حيث أقوم بتحضير كل أدوات البناء: الطين والأخشاب وجريد النخل وبراميل المياه وغيرها من الأدوات ولتجهيز الطين وتليينه قمنا بإحضار المياه من الآبار القريبة .. ثم شرعنا في البناء الذي امتد لثمانية أشهر تقريباً. وبعد أن انتهينا منه قمنا بتسليمه للوالد الذي لم يكن يملك في ذلك الوقت قيمة ما تم الاتفاق عليه. وبالتالي لم يستطع دفع المبلغ وقد علمنا درساً مهماً في ذلك الوقت حينما قال لنا: (أنت ومالك لأبيك)^(١). قبلنا ما حدث بصدر رحب. وتعلمنا أهم الدروس وهو الاعتماد على الله. ثم لذة الحرص على مساعدة الوالدين. ولم نتوقف أبداً بعدها عن مساعدته حتى إنه في وقت لاحق قام بشراء أرض أكبر من الأولى في حي الخسائي كانت جزءاً من مزرعة الأمير سعد بن عبدالعزيز.

(١) رواه ابن ماجه عن جابر بن عبد الله أن رجلاً قال: يا رسول الله إن لي مالا وولداً وإن أبي يريد أن يجتاع عاقي فلان، أنت ومالك لأبيك. روى الحديث ٢٢٩١ باب ما للرجل من ماله ولده.

12

الأستاذ عبدالله ودرس الحياة الأول

في سنوات تلك الحفبة الأولى تلقيت دروسي الأولى في الحياة وصقلتني - في الوقت نفسه - التجارب الكثيرة التي صيرت بها. وهي تجارب عملية اندفعت إليها برغبة خالصة لبناء شخصيتي التي أريد. صحيح أن ظروف الحياة الفاسية التي وجدت نفسي فيها كانت في كثير من الأحيان دافعاً أساسياً لخوض غمار هذه التجارب، إلا أنني في أوقات كثيرة كنت أندفع لها من أجل تحقيق معان سامية أحسست بضرورتها منذ وقت مبكر من حياتي.

كنت أحب - وأنا بعدُ طفل صغير - الاضطلاع بأدوار كبيرة. فكنت أعشق تنفيذ اللهام الصعبة. وفي الوقت نفسه مساعدة الغير أياً كان .

ذات مرة كلّفني أخي صالح بالإشراف على تنفيذ أول منزل له وهو في الحقيقة كان يريد مني بناءه.

وحتى أقوم بإجاز العمل بشكل جيد كنت أذهب إلى المقبرة
لجلب العمال واختيار أفضلهم وكان يطلق عليهم في ذلك الوقت
"الخرفية".

وكان يسمى رئيسهم المعلم أو الأستاذ أما من يساعده
فكانوا يسمون بالزورية. وكان يعتمد عليهم - بعد الله - في كل
شيء. وكان عددهم لا يتعدى الخمسة.

وكان هناك ثدرة في البنائين المهرة. لكننا حصلنا يوماً على أحدهم
وكان يارعاً للغاية في البناء. اسمه عبدالله. وقد كان خبيراً وعلى
درجة عالية من الصنق والتفاني في العمل. وكان يعاني صعوبة في
الكلام. وأذكر أنه كان ينعب نفسه كثيراً ويتفاني لأقصى درجة.
فكنت أطلب منه التخفيف على نفسه فكان يرد عليّ بقوله: "لا
يا ولدي الباقي منا يأكله الدود. لازم نشغل بأمانه".

وكان ذلك درساً لي تعلمت منه الجدية والأمانة والإخلاص في
العمل. أيّ عمل يوكل إليّ كما كان درساً في ضرورة التعلم من
الآخرين أياً كان مستوى هذا الآخر ..

وحتى أوفر الجو المناسب للأستاذ ومساعديه كنت أهتم بأكلهم
جيداً. وهذا كان شيئاً ضرورياً في تلك الأيام. وكنت معروفاً بالسخاء
مع العمال.

وكان الناس يبهون العمال لذلك حينما أتى لاختبارهم. فكنت أوفر لهم الجريش والأيدام. وأيام الخميس كنت أضيف لهم المزيد من اللحم وهكذا - وخلال مدة وجيزة تمكنت - وبالإشراف الدقيق عليهم - من بناء البيت. ولكن بقي على الانتهاء منه السبتر "الحجا أو التصفويين" وذهبت محاولاتي سدى حيث لم أجد استاداً يقوم بإكماله فالكمل يعتذر بالانشغال إذ كانت هناك حركة بناء واسعة في المدينة.

وحينما أعيتني الحيلة ذهبت إلى أستاذ يدعى السبيعي يلقب بالنسي. وهو من أهل نادق وطلبت منه الفزعة، فلم يعتذر - جزاه الله خيراً - فوعدني أن تبدأ عقب صلاة العصر ..

كان يجب علي أن أجهز الطين والعمال والمساعدين في أسرع وقت. وخلال وقت وجيز وبعد نَصَب استطعت تجهيزهم من جهات عدة.

وحينما بدأنا توسططهم فجعلت ظهري للمساعدين ووجهي باتجاه العمال الذين يجهزون الطين .. وهكذا بدأنا نعمل بجد وبسرعة.

كنت أقوم بأخذ الطين من العمال ورميه للأستاذ ومساعديه. وحينما حان موعد صلاة المغرب كنا قد أكملنا البناء. وبعد صلاة المغرب أكمل الأستاذ بعض الإضافات هنا وهناك. وكنت سعيداً

بذلك، وكذلك أخي صالح، والذي باعه بعد ذلك للأمير سعد بن محمد ابن عبدالعزيز بخمسين ألف ريال.

وبالطبع لهم أفر عن أرباحه التي حصل عليها من هذه العملية فلا شأن لي بذلك. كان فقط عليّ مساعدته دون أي مقابل. فهو أخي الكبير، وعليّ أن أطيعه، وأنفاني في خدمته ..

13

حكايات منتصف النهار ..

في الأيام الأولى لي مع أخي صالح في الرياض، وبحكم عمله في منطقة السوق الذي كان يأخذ معظم وقتنا إذ كنت أنا وأخي محمد نقوم بمساعدته.

كنا ومع دوامات الأعمال تلك تبني تسيجاً من العلاقات بين عدد من الإخوة والأصدقاء الذين كانوا يعملون في ذات المكان الذي نعمل فيه، وإن كان البعض يعمل في مجالات أخرى.

وكانت أوقات الاسترخاء كثيراً ما نجمعها وتأخذنا إلى أحاديث ممتعة وأفكار جميلة.

كنا نحن الأشقاء الأربعة: صالح وعبدالله ومحمد وأنا نكون نواة هذه المجموعة .

وكان يعمل مع أخي عبدالله موظف اسمه سليمان التوبجيري وقد كان طالب علم مجتهد درس القرآن الكريم والحديث والفرائض

والنحو. وهو على قدر كبير من الأخلاق والتدين. لذا كنا نلقبه بـ
"الشيخ". وبالإضافة إلى ذلك كان هناك في المجموعه سليمان
الحبيب...

ذات يوم اتفقنا على ضرورة الاهتمام بصلاة الجماعة التي كنا
في الأصل حريصين عليها. وقد كان الاتفاق بقصد الاجتماع
والصلاة في مكان واحد. وحتى لا يحدث أي عروقات لهذا الاتفاق
الذي وافق عليه الجميع رأينا ضرورة تطبيق عقوبة مناسبة على
من يتغيب عنها - وفيما نحن نبحث عن العقوبة المناسبة اخبر
الشيخ سليمان التويجري الذي عين رئيساً للمحكمة عقوبة رأينا
جميعاً أنها مناسبة..

وكان رأيه أن يقيم الغائب أو التغيب عن الصلاة وليمة من ريع
ذبيحة ومطازير وصندوق من الترتال وأن هذه العقوبة لا تشمل
الشيخ وأنا وأخي الصغير محمد لأننا كنا مجرد موظفين صغار
واخترنا بدلاً عنها الضرب..

وهكذا كنا نستمع بهذه النائدة الدسمة ونتمنى في دواخلنا
"مزحاً" أن يغيب أحد الكبار حتى نستمع بالأكل..

هذه الصداقة الأخوية قُدر لها أن تستمر مدة طويلة كنا
خلالها نترافق معاً إلى الحج نارف وتارة أخرى إلى البر..

14

أبو الهيمد .. تاجر البطيخ

ذات يوم من أواخر أيام عام ١٣٦١هـ/ ١٩٤١م وصل إلى أبي الذي كان مقيماً حينها في البكرية بسبب زواجه من أم أخي عبدالرحمن خطاب من أخيه محمد الذي كان يعيش في حائل .. وهذا نصه:-

من محمد الصالح الراجحي إلى عبدالعزیز الصالح الراجحي

سلام علیکم ورحمة الله وبركاته

(إن كنت نائم فاستنجد، وإن كنت مستنجد فقم .. وإن كنت قائم قأمش، وإن كنت تمشي فاركض، وإن كنت تركض طر، ولا أدري تلحق بي أم لا..)، انتهى نص خطابه، وفهم أبي أن ثمة أمراً عظيماً هناك، جمع أبي أمره وغادر، وترك كل شيء تحت تصرف أخي صالح، أمي وزوجته الجديدة وبقيت إخوتي، حيث قام بإحضارهم جميعاً فيما بعد إلى الرياض.

كان عمي مريضاً، وكان المرض قد اشتد عليه، وحتى يقوم أبي بعلاجه أخذته إلى المدينة المنورة وهناك وبعد مدة توفي عمي محمد - برحمة الله - حيث قام أبي بدفنه، ورجع إلى الرياض.

وحتى يقوم بالواجب كاملاً فُرر السفر مرة أخرى إلى حائل فقد كانت لعمي تركة يجب تصفيتها، فاختارني أبي للسفر معه للقيام على خدمته.

وفي حائل التي وصلناها في أحد أيام عام ١٣٦٢هـ/١٩٤٣م سارعت بخدمة أبي، فكنت أقوم بطبخ الطعام وتجهيز القهوة وما إلى ذلك.

وكنت اضطر إلى الذهاب إلى مكان يُقال له (سماح) من أجل جلب الماء في قِرتَه على ظهري، وأحياناً اضطر إلى طرق أبواب المنازل القريبة منا بغية السماح لي بأخذ الماء من عندهم.

ونظراً لقله المال عندما كنت أتوجه إلى قصر الأمير عبدالعزيز ابن مساعد أمير حائل يومها أطلب منه المساعدة، وكان جزاءه الله خيراً لا يتوقف عن ذلك، وبخاصة عندما علم أننا ضيوف عنده في مدينته، فكان يمدنا بالسكر والشاي والأرز والطحين وغيره من المستلزمات الضرورية.

كان هناك وقت فراغ، وكنت على استعداد للنهوض إذ كنت أحنُّ

إلى العمل وكسب الرزق.

في أحد طرق المدينة شاهدت يوماً مجموعة من النساء اللاتي يحملن بطيخاً على حمير لهن ففكرت في أن ثمة صفقة يمكن عقدها معهن.

كانت النساء يحملن البطيخ من مكان يسمى "عقدة". وفي انتظارهن كنت أفق في الطريق لأشتري منهن ما حملتهن خمسة إلى ستة حمير لأبيعها داخل المدينة بأسعار إضافية. وأطلقت على نفسي اسم (أبو الهيمد). وبدأت في تنفيذ فكري سريعاً.

النساء يحملن البطيخ وأبو الهيمد يشتري منهن تحت العميلة!! أما مكاسبه فكانت في حدود الفريش والفريشين بالإضافة إلى بطيختين لوالدي ولي. وهذا خير كثير وبركة. وحينما كنت أجمع ما يساوي الخمسة فريش كنت أذهب لشراء ربع خروف ليكون زاداً لنا لأسبوع أو عشرة أيام. حياة بسيطة هانئة لكنها لم تدم. فقد انتهى موسم البطيخ. وعاد الفراغ يطل برأسه.

أن يمر يوم أو يومان بلا عمل إنه شيء مل. وكان لا بد أن أتحرك. فرأيت في سوق المدينة صانعاً يستخدم الأولي الخالف في صنع المسامير بعد أن يهيئها في موافد الفحم.

إنه عمل بسيط سأقتل به فراغي وسأكسب بعض المال. وما

هي إلا دقائق حتى انفتحت معه "مائه مسمار بفقرش واحد"، مرت
بي الأيام معه لكنني فوجئت بأن والذي يشير علي بالبحث عن
عمل آخر أقل خطورة ففكرت الانسحاب، وحتى لا أغرق في الفراغ
علاوت البحث مرة أخرى عن عمل آخر.

كان في أحد زوايا الشارع القريب منا دكان صغير به رجل كبير
السن يقوم ببيع السكر والشاي. وبعض أنواع الطائرات الورقية
التي يلعب بها الأطفال.

أعجبني شكل الطائرة الورقية كما أعجبني مكوناتها. فكرت
شراء واحدة ومعاينة مكوناتها. ورقة مفصلة على شكل طائرة
لاصق من الشمع. وعصا صغيرة لتطيرها. فكرة بسيطة ربما تدر
علي بعض المال. قبل الشبخ المسن شراء ما أصنعه منها "طائرة
واحدة بنصف قرش". وبدأت التنفيذ وحفقت بعض المكاسب،
وهكذا مرت الأيام، وأكمل أبي ما جاء من أجله. وكان موعد الرحيل
إلى الرياض.

العودة إلى الرياض أواخر عام ١٣٦٢هـ/١٩٤٣م

كان الدكان الذي شيدناه سابقاً في منزلنا في حي ابن عذير ما زال ينتظرنني فقد وضع فيه أبي بضاعة بسمعة ريالات. حينما عدت إلى الرياض عدت للعمل فيه غير أنني اكتشفت عدم الاستفادة منه إذ كنت في أقل الأحوال أستطيع جميع رأس المال فقد كان أبي يقيد على الحساب الكثير من الأغراض الخاصة بالبيت لذا قررت الانسحاب والبحث عن عمل آخر قبل أبي بذلك. وسلم الدكان لأخي عبدالله.

في الأفق كانت تلوح فرص كثيرة للعمل. وكنت قد قررت ترك الدراسة والتفرغ لها. وهذا ما فعله أخي الأكبر صالح الذي اكتفى بجانب عمله في المصراقة بقراءة الحديث على جماعة المسجد..

وجدت عملاً مع ابن مرشد براتب سنه ريالات في الشهر. وكان العمل تلفيح النخيل. وكنت أقوم بالعمل بهمة وتشاط فأحبني صاحب العمل. وكذلك زوجته. وكانوا يخصصون لي العشاء وحدي

بعهداً عن العمال الآخرين الذين لم أكن أقدر على مجاراتهم في أكل الجريش الحار الذي كانوا يتخطفونه دون أن أبال نصيباً منه.

وكانت زوجته - جزاها الله خيراً - تهتني بي دائماً وتطلب مني البيت بجوار مربط الخمر بدلاً من النوم في العراء مع العمال إذ كان الجو بارداً. حيث لا فراش ولا ثوب غير ثوبي الذي ألبسه.

وحينما انتهى موسم تلقيح النخيل عدت إلى البحث عن العمل مجدداً. وأذكر أنه في أواخر العام نفسه ١٢٦٦هـ/١٩٤٣م كان الملك عبدالعزيز - برحمه الله - قد صادق على إنشاء مسجد لآل بحير وخصص لبنائه أربعين ألف ريال.

عرضت خدماتي على اللجنة المشرفة. فاختارني مع اثنين آخرين في مهنة (رمّاد). وهي مهنة تتطلب من صاحبها الذهاب إلى البيوت لتجميع الرماد الذي يوضع في الحافر حتى يكون عازلاً يمنع التصاق الطين بها. وكان الاتفاق معنا على ثلاثين ريالاً بواقع عشرة ريالات لكل واحد منا في الشهر. فكُرتُ أن أجر العمل وحدي فقلت للجنة المشرفة والتي كانت تتكون من والدي وعبدالرحمن ابن مرشد وعبدالعزيز بن غدير ومحمد بن بحير: إني على استعداد للقيام بتوفير كل الرماد المطلوب في البناء مقابل خمسة عشر ريالاً فقط شهرياً .. وافقت اللجنة بشرط إحضار كفيل يكفلني طالبت من والدي ذلك. فرفض - بالرغم من أنه كان في اللجنة

المطرفة وكان بيده الفرار - وكان ذلك درساً مفيداً لي ورأيت أن من الأفضل كفالة نفسي وألأ يعطوني أجري إلا بعد الانتهاء منهم.

وكان هذا يعني أن علي أن أبذل جهداً مضاعفاً لتنفيذ العمل في الوقت المحدد وهو عمل يتطلب مني الدوران على البيوت القريبة والبعيدة واحداً واحداً.

وحيثما بدأت في التنفيذ كان النسبوة في المنزل - جواهرن الله خيراً - يشترطون علي القيام بتنظيف المطبخ وكنسها ووضع الزهالة في بيت الخلا فوافقت على ذلك. وكنت كثيراً ما أجد في أثناء عملي هذا في المطابخ قطعاً من الخبز ملقاة هنا أو هناك فكنت أفرج بها كثيراً لأنها كانت تسد جوعي. وهكذا استمر العمل شهرين كاملين استطعت فيها تنفيذ كل ما طلب مني واستلمت ثلاثين ريالاً .

قسوة الحياة في تلك الأيام كانت كثيراً ما تجبرني على البحث عن ما يسد الرمق. وكان العمل هو السبيل الوحيد إلى ذلك. وحيثما لا أجد بهصبح الأمر لا يُطلق. حتى حيات النمر في تلك الأيام كانت كافية لسد جوعي. ومن أجلها كنت أضطر إلى قطع مسافات طويلة تحت حر الشمس حافي القدمين.

كان في وسط البطحاء بيت المبارك الدومري يقيم فيه عم لي اسمه محمد بن منصور الراجحي. حينما يأتي إلى الرياض. وكان أحد

القضاة المقربين من الملك عبدالعزيز - برحمته الله - حيث كان يكلفه بحل مشاكل البدو. وكنت حينما يأتي أنهب إليه بمقصود السلام عليه. وفي نيتي الأكل من الثمر الذي يقدم في مجلسه.

و ذات مرة فشلت محاولتي فيعد أن قطعت المسافة من حي الشميصي إلى البطحاء خافياً وجدت البيت مغلقاً ونمة ضيوف ووليمه بداخله ولكن لا سبيل إلى الدخول. وكان الجوع قد فتك بي.

وفي مغابيل البيت كان هناك (مدي) الأمام عبدالرحمن - رحمه الله - وحوله مجموعة من الحمر القاتمة من حلة القصص من نشرينم وكانت بحاجة لأن أبلل جسدي بالماء بعد هذه الصدمة الكبيرة. وبينما كنت أهم بغسل أرجلي شاهدت على طرف البركة قطعة خبز سوداء قليل من الماء وتكون جاهزة. فقطعة كهذه في وقت كهذا يجب ألا نترك. يجب أن نخضع بعنايته. وحينما تسريت في الشرايين هذا الجسد وعاد يبحث عن المزيد...

هل نسيت طعامها؟

إن طعامها ما زال في لساني إلى يومي هذا..

وعدت بعدها أبحث عن عمل - وبعد أيام قابلت ابن عمي منصور

ابن عبدالعزيز الراجحي. وكان يومها يعمل رئيساً للمكتب لدى ابن سعيد. حدثته عن حالتي وبأنني مستعد للعمل في أي وظيفة. قال لي: إن هناك بناءً يقال له: محمد الصميت يريد طباحاً. وكان ذلك في عام ١٣٦٢ هـ. فوافقت على الفور. وكان راتب اليومي ريالين.

وفي أثناء عملي شاهدني سليمان بن سعيد. فأعجب بنشاطي وحماسي في العمل. فطلب مني العمل معه كقهوجي ومشرط على النجارين في قصور الفوطه السبعة وبناء أم فليس براتب أعلي من السابق بخمسة عشر قرشاً.

صفت لي الحياة، وسارت بي هائثة.. لا شيء يعكر صفوها فقد كانت مليئة بالعمل والنشاط. وحينما أعود في المساء إلى بيتي لتناول وجبتي الوحيدة أعرج على أحد الخابز في الحي الواقع ما بين قصر الحمراء (القشلة) والقصور السبعة. فأتنظر صاحبه حتى يبدأ بالخروج على خبزه المبقضي والذي يبدأ بسست هلات. وحينما يصل السعر إلى ثلاث هلات أو أقل أقوم بطراء خبزتين لا أكثر.

مكنت في هذا العمل قرابة الأربعة أشهر. واستطعت خلالها ادخار ما يقرب من الأربعمائه ريال. فطلبت من مشغلي زيادة راتي إلى ثلاثة ريالات. وفي المقابل هددت إذا لم تنفذ مطالبي بالاستقالة. رفضوا الزيادة. وطلبوا مني الاستقالة. فاستقلت. وهكذا أصبحت مرة أخرى بلا عمل لكنها لم تكن كسابقاتها كان معي بعض من

اللال الذي يمكنني من المضي قدماً في الطريق-

في الطريق الرئيس بحي الربع، وهو المكان المكتظ بالفصص يومها. وخلف ديوانة السويلم استأجرت في عام ١٢٦٤هـ دكاناً صغيراً يسبعة ريالاً في السنة، أبيع فيه السكر والشاي والمفاتيح والكبريت وأنواعاً من الباليونات والحلويات التي كنت أشخريها من ابن سبار، وكانت غير معروفة لدى معظم الناس إلا كانوا يوردونها من البحرين.

وفي دكاني الذي عملت فيه حتى عام ١٣١٥هـ/١٩٤٥م استنطعت خفيق الكثير من النجاح. ولم يكن ذلك ليحدث لولا توفيق الله سبحانه وتعالى.

16

الزواج .. حياة جديدة

قبل التوجه إلى البكرية، في رجب عام ١٢٦٥هـ/ ١٩٤٥م، من أجل إتمام الزواج قامت بتصفية الدكان بمبلغ ألف وخمسين ريالاً - سلّمت أبي منها مئتي ريال، والباقي اشترت به بشتين أحدهما للوالد بسبعين ريالاً، والآخر لي بخمسة وخمسين ريالاً وأشياء أخرى وهدايا لأقربائي.

وحتى يكتمل الزواج لا بد من الوليمة، فنهبت إلى رجل يدعى حمود الفيحان - ما زلت أذكره جيداً - جزاه الله خيراً - فقام هذا الرجل بشراء نافذة كبيرة بسبعة وخمسين ريالاً، ثم قام بذهبها وبيع جلدتها وعظامها وشحمها، وحينما تبقى من لحمها ما يعادل العشرة ريالات قام ببيعها لي من أجل وليمتي، وتم الزواج بعد شهر رمضان، كان ذلك في البكرية، وحينما حل شهر ذي الحجة أنشأنا السفر إلى الرياض، فاستأجرنا إحدى السيارات أبي وأنا وسليمان النملة وعبدالله الخليفي وبعض من الجماعة.

وحينما وصلنا^{١١} مرات^{١٢} أدركنا عبد الأحمدي، فاشترى ثلاثتهم

(١١) بعدما بلغنا لفتهم التوشم فبعد من محطة الرياض ١٠٠ كم تقريبا.

خروجاً بـ تسعة رiales من أجل الضحبة كلفني أبي بدفع نصيبه
ثلاثة رiales وهي آخر ما كان لدي من أموالي الألف وخمسين ريالاً.

عندما وصلت إلى الرياض لم تكن أملك من المال شيئاً وما كنت
حينها وحيداً بل كانت معي زوجتي. وعندما رأى أخي صالح ذلك
عرض علي أن أعمل معه في محله الذي استأجره بدلاً من البيع
على الأرض. فوافقت براتب ثلاثين ريالاً في الشهر، وامتدت بي الحياة
العملية معه حتى عام ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م وفيها زاد راتبني إلى ستين
ريالاً.

وعلى الصعيد العائلي. وفي سنوات لاحقة من هذه الفترة
طلقت زوجتي الأولى التي أنجبت لي طفلاً وطفلة فارقا الحياة وهما
صغيران. وتزوجت ابنة عمي وذلك في عام ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م وهي
التي كنت متفقاً مع عمي على الزواج بها منذ أن كان عمرها
تسعة أعوام.

الضبي الصراف

امتد بي العمل مع أخي صالح أحد عشر عاماً من عام ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م وحتى عام ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م.

وخلال هذه المدة بقيت مخلصاً له في كل أعماله الخاصة بالصرافة ولرات عديدة ظلت أعمل حملاً في ذات المحل الذي كنت أميره من أجل التوفير لأخي الأكبر ولظالمًا كنت أقطع المسافات الطويلة من أجل إرسال أو استقبال بعض الطرود وما كان ذلك إلا لأجل التوفير أيضاً.

فقد كنت أحمل ما يصل إلى ٢٢ كيلو على ظهري لأقطع المسافة والتي تبلغ عشرة كيلومترات ما بين الصفاة والمطار. وفي مكة المكرمة التي ذهبت إليها حاجاً في عام ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م ظلت أمارس عمليات البيع والشراء وأنا حاج ..

أما في الرياض مركز عملنا فقد شئت بي الكثير من المواقف، أذكر أنه في عام ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م سافر والدي وأخي صالح وزوجتي

إلى الحج. بينما مكثت أنا في الرياض لإدارة الحل. كنا في ذلك الوقت نقوم بإرسال طرود من القضية بطريقة شبه منتظمة إلى الحجاز وكان الذي يقوم بعمليات التحميل رجل يسمى "سعيد". وكان يأخذ مقابل كل ٥ أكياس أو طرود ريالاً واحداً. وفي ذلك العام رفض سعيد ذلك السعر. وحدد ٤ أكياس للريال الواحد. وذلك لكثرة العرض وحتى لا أقوم بإضافة أعباء مالية جديدة ومن أجل التوفير لأخي صالح قممت بتحميل كل الطرود بنفسني ..

كانت عملياتنا تتم ما بين الرياض وجدة ومكة المكرمة. وكان أخي صالح قد ترك العمل في القاتح والأفغال، واتجه نحو التصرافه بشكل رئيس. وأصبح دالاً يتعامل في العملات. وكان الناس في ذلك الوقت يتعاملون بالذهب والقضيه كعملة .. فالجنيه الذهب زنه ثمانية جرامات كان يساوي أربعين ريالاً فضياً بينما كان الريال يساوي مائه وعشرة قروش.

كانت الجنيهات المتداولة في البدء إنجليزية، عليها صور بعض ملوك إنجلترا كجورج وإدوارد وفكتوريا. وحينما فتح الله على الملك عبدالعزيز باكتشاف البترول قامت شركة أرامكو بصك جنيه ذهبي بنفس مواصفات الجنيه الإنجليزي. وكذلك آخر كان يسمى مكسيكي يعادل خمسة جنيهات ذهبية أي أن وزنه كان ٤٠ جراماً. وكانت هذه الجنيهات الجديدة ذات قيمة متفارية مع الجنيه

الإنجليزي إلا أن الأخير كان أعلى بعض الشيء ومرغوباً أكثر لدى العامة، لأنه كان مقبولاً خارجياً، فكان الناس يستخدمونه لشراء البضائع من دول الجوار كفلسطين والعراق والكويت وغيرها ..

وفي وقت لاحق وقديماً في عام ١٢١٧هـ / ١٩٤٧م بدأ الناس يتعاملون بالأوراق النقدية كالجنيه السوداني والمصري والفلسطيني، وكذلك فعلت الدولة. فكان هناك الريال العربي السعودي الذي كان على جهته الأولى صورة الملك عبدالعزيز - رحمه الله - وفي الجهة الأخرى مكتوب عليه المملكة العربية السعودية، وهو يعادل الريال الفضي الفرنسي الذي كان يسمى مارتريزا بنفس حجمه. أما الجنيهات السودانية والمصرية والفلسطينية فكانت تعادل الجنيه الذهبي أو قريباً منه حسب ما تحددته تلك الدول ..

وكان الأخ صالح يشتري ويبيع ويتوسط ويقوم بعمليات الصرف من الجنيهات الذهبية إلى الريالات الفضية والعكس. وبأخذ مقابل تلك عمولات محددة، لا تتجاوز الفرش، وأحياناً نصف الفرش حينما تكون العمليات ذات قيمة كبيرة. عندما كان يتعامل مع كبار الصرافين كصالح الكعكي وسالم بن محفوظ وعبدالعزیز ومحمد بن عبدالله الجصيح وعبدالعزیز بن شقري وعلي وأحمد الجفالي وسليمان المقين وغيرهم وكنا في العادة نبدأ عملنا في الصباح قبل طلوع الشمس إلى أذان الظهر حيث نذهب لتناول الغداء الذي كان في الغالب بضعة ثمرات وجرعة لبن أو ماء، ثم

نعاود العمل بعد صلاة العصر وحتى المغرب، وكان أخي صالح يقوم بتسجيل كل معاملاته في دفتر خاص به بصطحبه معه في جيبه، يكتب فيه ما له وما عليه، ويقوم بتصنيفته وإجراء الحسابات عليه يومياً وأحياناً أسبوعياً حينما يتعامل مع كبار الصرافين والتجار -

أما أنا فقد كنت مجرد صبي أقوم بعمليات الاستلام والتحميل ومراقبتها، وكانت عمليات التسليم تتم بدأ بيد خاصة الذهب والفضة، وكنا نعتمد على بعض الجمالين الذين كانوا يقومون بعمليات التسليم نيابة عنا وكانوا أهلاً للثقة. كما كنت أقوم بجلب العملات الأجنبية التي كانت ترد مع الحجاج في مكة المكرمة كالإندونيسية والإيرانية والهندية وغيرها، وكنا نتعامل بها مع أشهر الصرافين في ذلك الوقت في مكة المكرمة كأحمد صيرفي - رحمه الله - وهاشم عمري وعبدالعزیز كعكي وصفر كعكي وأحمد باحطاب. وصالح بن حمزة صيرفي ومحمد وعبدالله السبيعي وشريكهما سليمان الغنيم

أخبار رحلة مباركة

ثلاثون ريالاً هو الراتب الذي كنت أأسلمه من أخي صالح مقابل الأعمال التي كنت أجريها له، وما أنني كنت متزوجاً فلن هذا المبلغ كلن لا يكاد يغطي نفقاتنا المتزايدة بسبب اتساع مستلزماتنا المنزلية. وأمام هذا الضغط بدأت أستغل أوقات فراغي لزيادة دخلي ..

كان هناك رجل يدعى محمد بن نصار، يقوم بشراء الأفضال من الكويت لبيعها في الرياض، فاتفقت معه أن يشتري لي معه من هناك كانت تسمى (سونتر)، وكنت أأسلمه راتب الشهرية كاملاً وأحياناً الشهرين، وكنت أكسب في كل بيعه في حدود الخمسة إلى الستة ريالات.

ذات مرة، وكان ذلك في عام ١٣٦٧هـ / ١٩٤٧م، تراكمت عندي الأفضال وكسدت، وكنت أود الذهاب لأداء فريضة الحج ففكرت في حملها معي لبيعها هناك ..

استأجرت أنا وعبدالله الخليفي وآخر يسمى الشميمري سيارة

وحملنا فيها مجموعة من الركاب. كنا نجلس فوق جرابيل البنزين حتى يتسنى لنا حمل المزيد من الركاب. كنت بجانب أفضالي أحمل أكياساً من الذهب والفضة لأخي صالح طلب مني تسليمها للسبيعي وكيله هناك.

طالت المسافة وامتدت خمسة أيام. وجهنا وصلنا إلى السيل الكبير (قرن المنازل) تعطلت السيارة للمرة الأخيرة (وقد كانت كذلك طوال الطريق) فاضطرت إلى البحث عن أخرى. فوجدت واحدة كانت تحمل بعض ممتلكات الدولة. أحرمنا وأخذت أغراضنا الخاصة. كيس به ثوب وغرة بينما تركت أكياس الذهب والفضة والأقفال في السيارة عند السيل على أن تلحق بي في وقت آخر.

وفي الشرائع المحطة الأخيرة للسيارة توسطت لدى المسؤول عنها وكان من أقربائي البعدين واسمه عبدالعزیز. فأركبني سيارة أوصلتني إلى مكة المكرمة .

قامت بأداء العمرة وجلست ضيفاً على محمد وعبدالله بن إبراهيم السبيعي أصدقاء ووكلاء أخي صالح في مكة المكرمة. وكانوا نعم الأصدقاء. فقد وجدت منهم ترحيباً بالغاً وخاصة والديهم . وفي أثناء ذلك وصل أبي من القصيم ومعه مجموعة من أهل البكيرية وقاموا باستئجار بيت لهم ربما تنتهي شعائر الحج.

وحتى يبدأ موسم الحج كنت أرافق السبيعي في دكانه وأشاهد

عمليات الصرافة التي تعلق قلبي بها. فتعلمت منهم الكثير. وفي الوقت نفسه شرعت في بيع الأطفال. وقد نجحت في تصفية كل ما لدي منها. ففقت ببراء أقمصته بعثها لاحقاً في الرياض عقب عودتي من الحج ..

ومن أجل أداء الحج ترافقت أنا ووالدي وعمي عبدالرحمن وآخرون هم: عبدالرحمن المانع وصالح بن عبدالرحمن الراجحي وسادس يدعى صالح لا أعرف أخباره الآن ..

استأجرنا جملين من رعاة الإبل يسمونها الرويكبي. وذهبنا إلى منى أولاً. ثم إلى عرفة. وكان الحجاج في ذلك العام قليلين. وبعد الزوال صعدنا إلى جبل عرفة. واستقبلنا القبلة. وبدأنا في الدعاء. وحينما أكملنا الوقوف بعرفة فقلنا بعد المغرب عائدین إلى مزدلفة ثم إلى منى التي أكملنا فيها حجنا. ومنها إلى مكة المكرمة التي أقمنا فيها أياماً امتدت حتى العاشر من محرم بقصد الراحة. أنا ووالدي. وبعدها سافر أبي إلى القصيم. بينما عدت أنا إلى الرياض لأستمر في العمل مع أخي صالح حتى عام ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م.

الكويت .. المهمة التجارية الأولى

نحن الآن في عام ١٣٧٠هـ / ١٩٥٠م وقد جمعت لديّ ما يقارب الخمسة آلاف ريال أو تزيد. وهي مجمل أرباحي من عمالي في الأبقال والأقمشة وغيرها. وفي سبيل تنمية طرقت باب أخي عبدالله الذي كان هو الآخر قد توسع في أعماله التجارية التي خصصها في مواد البناء كالأخشاب والأسمنت التي كان يأتي بها من الكويت والبحرين .

اقترحت عليه المشاركة قوافل وشرعنا فيها مدة غير طويلة قبل أن تنفض المشاركة.

وذات مرة قام أخي عبدالله باستيراد الشينكو من الكويت. وكانت رسومها الجمركية في ذلك الوقت لا تتجاوز الـ ١٠٪ فلما وصلت البضائع التي طلبها إلى (قرية) النفذ الجمركي حينها مع الكويت. كانت الحكومة قد قامت بزيادة الرسوم إلى ٢٠٪ لمن استورد أكثر من دفعة واحدة. وهذا ما انطبقت عليه الحالة لدى أخي عبدالله .

فرفض أخى عبدالله دفع الرسوم، ومرار الأيام تراكمت عليه الأرضيات وأصبح الأمر أكثر سوءاً .

أرسلني أخى صالح وأخى عبدالله إلى (قرية) النفذ الجمركي على الحدود مع الكويت لحل المشكلة. وهناك أقمت عند مخلص جمركي يدعى (مخلص). وأجريت عدة محاولات مع موظفي الجمارك ولكنها باءت جميعها بالفشل

حينها قمت بإرسال برفيه إلى الملك عبدالعزيز وصورة من البرفيه إلى الشيخ محمد بن إبراهيم - يرحمهما الله - وصورة بما أرسلت لأخى صالح. وكان ذلك في عام ١٢٧١هـ / ١٩٥١م. أوضحت فيها أصل المشكلة. وطلبت تخفيض الجمارك. وريثما يأتي الرد سافرت إلى الكويت لشراء بعض البضائع: أقمشة ومشالح. إذ كانت معي كل أموالني التي شاركت بها أخى عبدالله في السابق وهي خمسة آلاف ريال أو تزيد ..

أقمت في الكويت قرابة ستة أيام. وفي أثناء ذلك تلفيت خطاباً من أخى صالح يفيد فيه بأن الشيخ محمد بن إبراهيم أمر بإخراج البضاعة وإلغاء الأرضيات. على أن تدفع الرسوم. وحينما وصلت الرياض بعد ذلك أعطيت كل ما جئت به معي من أقمشة ومشالح إلى عبدالله الخراشي أشهر تجار الأقمشة في ذلك الوقت. وفي النهاية حققت أرباحاً وصلت إلى مائة وخمسين أو مئتي ريال.

20

محطة وقود بريدة

من البديهي ونحن نحقق هذا النمو الكبير أن تفكر في الانفتاح وطرق الأبواب الأخرى وبخاصة أن جميع العطيات في تلك الرحلة كانت تدفعنا إلى ذلك ..

ذات يوم من تلك المرحلة قررنا تأسيس أعمال جديدة. واخترنا إنشاء محطات الوقود. ورأى بقية إخواني ضرورة استنفاري للقيام بتنفيذ الفكرة.

اخترت بريدة وعفيف لإنشائها. ومن أجل تحقيق ذلك سافرت إلى هناك لشراء أماكن مناسبة. وخلال مدة وجيزة ظهر على السطح في المدينتين محطتا وقود كاننا هي بداية تاريخ محطات الوقود فيهما.

وحتى أتبين وضع المشروع الجديد. كنت أقوم بمباشرة جميع الأعمال الخاصة بالمحطتين بنفسي. بالإضافة إلى أعمال أخرى

هذا يتطلب مني السفر الدائم بين عدة مدن، تارة لإجاز الأعمال الخاصة بالصرافة، وتارة أخرى لتوفير الوفود اللازم للمحطتين الذي كنا نقوم بنقله من الرياض -

في السنة التي عرفت بسنة الهدم في منطقة القصيم تعذرت عمليات توفير الوفود من الرياض التي كانت المكان المفضل لنا بجلب الوفود منه، فاضطررنا بسبب ذلك إلى نقله من جدة

و ذات مرة وبينما كنت بعفيف، فمت بمرافقة سليمان الصالح السائق الذي كان يفود شاحنة الوفود للذهاب معاً إلى بريدة لتفريغ الوفود في المحطة الثانية وبينما نحن في الطريق أصيبت مروحة الشاحنة بعطب أدى إلى إحداث أضرار بليغة في الراديو. مما نتج عنه ارتفاع درجة حرارة ماكينة الشاحنة.

كان الطريق الذي نسير فيه والذي يربط بين عفيف والرس خالياً من كل أسباب الحياة، وحتى لا تعطل الشاحنة بسبب ارتفاع حرارتها كنا نضطر للوقوف بين حين وآخر وفي مقابل ذلك كانت درجات الحرارة في الجو في أدنى مستوياتها.

غابت الشمس ونحن لم نقطع من الطريق إلا بضعة كيلو مترات. ومع بواكير الإرهاق الذي بدأ يحل بنا أحسستنا بموجات البرد القارس والجموع الشديدة. وفجأة شاهدت من بعيد بيت شجر في الناحية الأخرى من الطريق.

وبعد قليل كنا بين أهل ذلك البيت الذين عرفوا ما نحن فيه فقاموا بإكرامنا، بشيء من تمر وجراء ولأننا كنا في حالة لا يعلمها إلا الله لم تكن هذه الأشياء مجرد طعام بل بدت أكثر من ذلك بكثير

وقبل أن نواصل السير فمت بإعطاء الشخص الذي أكرمنا ما جاءت به نفسي ومع تباشير الفجر كنا قد وصلنا إلى الرس التي وقفنا فيها لتناول بعض الطعام، ومن إحدى الحللات الصغيرة فمت بشراء قطعتين من البسكويت هي كل ما كان لديه. وبعضاً من السكر والشاي وإبريق صغير.

وقت أشعة الشمس التي كانت تطارد موجات البرد أشعلت النار ونصبت فوقها إبريقي. وبينما كنا نتهاى أنا وسليمان لابتلاع قطعتي البسكويت اليتيمتين مع الشاي جلس أمامنا فجأة أحد معارفنا وتناول في لحظات كل ما أعدناه لحفله قبل الجوع. وعدنا إلى ما كنا عليه.

اخرجت على سليمان تدبير أمر الشاحنة. على أن أتدبر أنا أمر الفضياء على الجوع. وخلال دقائق غحنا سوياً، والنهينا مجدداً أما هو فقد أصلح الشاحنة. وأما أنا فقد جلبت قطعة كبدة من قصاب قريب، لكن رجلاً آخر كان قد جاء في الوقت غير المناسب وتقاسم معنا الكبدة التي التهمناها نيئة.

لم يكن هناك منسع من الوقت لتضييعه في البحث عن الطعام مرة أخرى. واصلنا سيرنا، غير أن المفاجآت كانت تنتظرنا. ففي الطريق للتوصل بين الخبراء ورياض الخبراء غرزت الشاحنة في الأوحال التي خلفتها السيول والأمطار التي كانت تتساقط بكثافة. وهكذا تعطلت مرة أخرى. فاضطربنا إلى النزول وسط هذه الأوحال من أجل إخراج الشاحنة. ونطلب الأمر منا ساعات طويلة امتدت حتى العصر. وفي أثناء ذلك كانت تباينا قد تلطخت بألوان من الطين والأوحال واللباء الفدرة بالإضافة إلى إحساسنا بالبرد والجوع.

لقد كانت فكرة الاستثمار في محطات الوقود جديدة في تلك الأيام. لكننا اكتشفنا وبمرور الوقت عدم جدواها بشكل كبير وبخاصة أنها كانت قد أخذت من وقتنا وجهدنا الكثير. ولذا اضطربنا في وقت لاحق إلى التحلي عنها. أو بالأحرى بيعها إلى محمد صالح العمرو.

21

ذكريات أوقات سعيدة

بالرغم من المدة الزمنية القصيرة نسبياً التي قضيتها بالعمل في محطتي عفيف ويريد إلا أنها كانت حُبلى بالذكريات والأوقات السعيدة.

كان هناك الكثير من الأصدقاء والإخوة الذين نوطدت علاقتي بهم من خلال العمل. كالإخوان حمود الذياب ، ومحمد العمير، وحمد الصويلحي، وعبدالرحمن الحميد الراجحي وصالح الصريح، وصالح المحسن، وعبدالله الحسن، ومحمد بن علي الصويلحي، ومحمد الصالح العمرو الذي قام بشراء المحطة في وقت لاحق. كما كان هناك الشيخ عبدالله السديس فاضلي الحكومة بعفيف بالإضافة إلى إخوة آخرين..

كنا نقضي معهم أوقاتاً جميلة في البر ومنهم الإخوان، سليمان البكري، وإبراهيم الحضيف، ومحمد العبدالله الراجحي..

وبما أذكره من مواقف تلك الأيام أتني قدمت ذات مرة إلى عفيف فأراد الشيخ عبدالله السديس إكرامي . فاتفقنا على الخروج إلى البر . وحملنا معنا ما نحتاجه من لحوم وخضروات وغيرها . وتبرعت أنا بالطبخ .

وحينما وصلنا إلى هناك . اختار الإخوة ظل إحدى الأشجار للجلوس تحتها . فيما اخترت أنا والجفير الذي تبرع لمساعدتي ظل شجرة أخرى للطبخ تحتها . وفي أثناء تجهيزنا للطعام كنت أنا والجفير نأكل من قطع اللحم بين وقت وآخر .

وفوجئنا بعد وقت قليل بأننا قد قضينا على جزء كبير من اللحم والذي كان وزنه يصل إلى أربعة عشر كيلو .

في هذه الأثناء كان الجوع قد أرهق المصوم المجالس تحت الشجرة الأخرى . وبدأ الشيخ السديس بحثنا على الإسراع . لكنني كنت أجاهل نداءاته وأنظاها بعدم سماعه .

وحينما أعينتهم الخيلة قاموا بالهجوم علينا وكانهم علموا بالأمر . هربت أنا وهرب الجفير الذي قبض عليه وضرب ضرباً مبرحاً . أما أنا فظللت أهبم على وجهي وسط الأشجار دون أن يتمكن أحد منهم الإمساك بي . حينما حانت ساعة المغادرة رفضت الركوب معهم في السيارة واخترت الذهاب على أقدامي متجاهلاً

فخبرناهم لي من الذئاب التي كانت تملأ تلك المنطقة في ذلك الوقت.

وهكذا ظللنا نتحرك في خطين متوازيين هم على سيارتهم وأنا في الجهة المقابلة أمشي على رجلي وسط الأشجار والحشائش التي لا يمكنهم الدخول إليها. وحينما بدأت الشمس بالغيب أقسم الشيخ السديس بأنه لن يمسي أحد منهم فركبت السيارة معهم.

في اليوم التالي وقد كان الجميع على ما يبدو مصممين على ضربي. دعاني الشيخ السديس وبقيّة الإخوة إلى بيت سليمان البكري لتناول بعض التمر والجراد.

وهناك وبعد أن أكلنا طلب الشيخ من أحد الإخوة إمساكي وطرحي على الأرض. وحينما ذكرته بقصته بالأمس قال لي الشيخ إنه كان قد أقسم على أن لا يفرسي أحد بالأمس وأن نيته كانت أنه وفي سبيل الخروج من هذا العقاب الفخ على الإخوة أن اشترى لهم خروف. وهذا ما فعلته. لكني لم أنس وأثناء طيخي لهم مرة أخرى من الفضياء على أطايب اللحم وكنت على وشك إعادة مسلسل الرحلة السابقة لولا تدخل الشيخ وتعهدته بعدم الحكم عليّ مرة أخرى.

برغم مرور سنوات عديدة على هذه الحكايات إلا أنها ما زالت عالقة في ذاكرتي وذاكرة الكثيرين الذين لا زالوا على قيد الحياة والحقيقة أنها كانت تمثل صورة لما كنا عليه من أخوة وصداقة. ولا زلنا كذلك إذ لم يكن المقصود من تلك الممارحات سوى الترويح عن النفس وسط مشاغل الحياة العصبية.

مكة المكرمة .. مرة أخرى

ليست هذه المرة الأولى التي أצל فيها إلى مكة المكرمة ، فقد قدمت إليها مرات عديدة من قبل حاجاً ومعتصراً وباحثاً عن الرزق لكن هذه المرة جئت بها بأمر من أخي صالح للعمل والإقامة فيها .

كانت مكة المكرمة في تلك الأيام مزدهرة كما هي في كل وقت . وكانت المنطقة المحيطة بالحرم عبارة عن أسواق ومحلات تجارية تندر حولها البيوت . فعلى جانبي المسعى من اليمين واليسار بين الصفا والمروة كان هناك العديد من دكاكين الصرافة ، وفوقها كانت هناك أسواق مخصصة لبيع الأقمشة قريبة من منطقة جبار وعلى مقربة من باب السلام كان هناك سوق سويقة وهو المخصص في بيع الكتب بالإضافة إلى ذلك كانت هناك أسواق عدة كسوق أهل نجد الذي كان يباع فيه المسجاة والأقمشة والعطور .

حينما وصلتها أقمت هيفاً على أسرة السبيعي جراهم الله خيراً ، وكنت بالرغم من ذلك أقوم بتأفستهم في سوق الصرافة

حيث كنت أشترى العملات الأجنبية كالروبية الهندية والدنار الكويتي، وأرسلها إلى أخي صالح في الرياض لبيعها. وفي المقابل كانت تأتيني من الكويت ومن شخص يدعى عبد رب الرسول سبائك من الذهب الجاهزة فأقوم ببيعها للصاغة في مكة المكرمة بالريال. وعلى امتداد ثلاثة أشهر استطعت تحقيق أرباح وصلت إلى خمسة آلاف ريال، فقممت بتسليمها إلى الأخ صالح في الرياض ..

ثم عدت لمواصلة العمل حتى نهاية موسم الحج. وكنت طوال هذه الفترة أعيش أعزب، فقد كانت أسرتي تقيم في الرياض ..

كان يومي يبدأ منذ الفجر حيث أصلي في الحرم المكي أو في أحد المساجد القريبة مني. ثم أجه بعدها إلى الدكاكين الخاصة بالصرافين على جانبي المسعى.

وكنت أعتمد في غذائي على أحد الطاعم التي عثدت معها اتفاقاً خاصاً لا يتجاوز القرشين ونصف للوجبة في اليوم الواحد. وهو صحن إيدام بقرش وربع قرص خبز بقرش وثلاثة ماء داخلها نلج بنصف قرش والنشاي طوال اليوم أما العشاء فكانت أتناوله في قهوة عصمان حيث كنت أضع فيها فراشي وشدطتي. وأدفع مقابل ذلك ربع ريال. لأنني كنت أنام فيها. وأحياناً أنام في أحد المساجد القريبة من العقبة الكبرى. وكان عضائي فطعه طحينه

بقرش، وخريزة بقرشين، وحنة بتركه وحنة بقرش، وكانت تكاليف الإغاشة على أخي صالح .

وحيثما انتهى موسم الحج في ذلك العام ١٣٧١هـ / ١٩٥١م فقلت راجعاً إلى الرياض ومعى أرباح تراوحت بين الخمسين إلى السنين ألف ريال سلمتها لأخي صالح الذي رفع رائي بعدها إلى ١٠ ريالاً .

وفي عام ١٣٧٢هـ / ١٩٥٢م تزوج أخي صالح للمرة الرابعة وأخذ زوجته ونهب إلى مكة المكرمة وحج، وأقام في مكة مدة من الزمن، فأقمت أنا في الرياض لأدير المحل، وأقوم بنفس مهامى السابقة حينما كنت صبياً . واستمر الأمر كذلك حتى عاد أخي صالح بعد موسم حج عام ١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م فعدت مرة أخرى إلى الحجاز لأحضر - ويتوفى من الله - لأخي صالح أرباحاً تجاوزت الـ ٥٥ ألف ريال، وكنت خلال هذه الفترة أقيم في كثير من الأحيان ضيفاً على آل السبيعي في حدة التي انتقلوا إليها من مكة المكرمة، فكنت أنافسهم في عمليات الشراء والبيع كثيراً، وبالرغم من ذلك لم أرهم يوماً يتضايقون مني بل كانوا كعادتهم كرماء أصلاء.

وفي نفس هذه الفترة من هذا العام وصلني برفقه من أخي صالح تعلمني مرض الوالدة وشوقها لرؤيتي ورؤية ابني الكبري والتي كان عمرها حينها أربعين يوماً فقط .

وبعدها بأيام قليلة وصلني برفقه أخرى منه تعلمني بوفاتها

برحمها الله، وأذكر أنه حينما وصلتني البرقية حزنت حزناً شديداً فتوجهت إلى الحرم المكي وشرعت في الصلاة والدعاء لها، وكان محمد السبيعي - جزاه الله خيراً - قد لحق بي في المسجد ليشد من أزي وبصبرني على مصابي الجلل. وكنت علمت أنها برحمها الله لم تستطع رؤية ابنتي فقد وصل أهلي إليها بعد مفارقتها للحياة بقليل -

وطوال هذه الفترة التي امتدت إلى عام ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م كنت أقوم بجميع عملياتي المصرفية والتجارية من دون أن يكون لي دكان أو محل أمارس فيه عملي. وفي العادة كنت حينما أعود إلى مكان مبيتني وبعد العشاء أقوم بتدوين كل العمليات التي قمت بها خلال اليوم دون أن أستخدم أي آلات حاسبة لإجراء العمليات الحسابية حيث أعتد على ذاكرتي في إجراء جميع الحسابات وإلى اليوم والله الحمد.

دكان مسجد عكاشة

حينما رأيت أن أعمالنا قد بدأت في القمو ولأن ثمت أرباحاً مشجعة قد بدأت تتحقق فكنت في استئجار مكان مناسب وثابت لعملنا. ففمت باستئجار دكان صغير تحت مسجد عكاشة في جدة وقد استخرجت للمحل سجلاً تجارياً من وزارة التجارة باسمي للعمل في مجال التجارة والصرافة، وأحضرت في الوقت نفسه زوجتي، أم صالح، وأم عبدالله التي كنت قد تزوجتها بعد أربعة أعوام من زواجي بأم صالح. وبدأت العمل بقوة يساعدي في ذلك ابن عسي علي بن محمد الراجحي الذي كان قد أحضر هو الآخر زوجته. حيث سكنا جميعاً في بيت واحد .. وكان شاباً نشطاً.

وكننا ندلوم على شراء وبيع العملات بصورة منتظمة ونقوم بإرسالها في معظم الأوقات لأخي صالح عن طريق المطار مع الركاب المسافرين إلى الرياض. فكنا عادةً نأتي قبل الرحلة بوقت كافٍ وأحياناً نجلس في الليل، إذ كانت معظم الرحلات تغادر في

الصباح فنقوم بحفر حفرة في المتطفة الترابية القريبة من المطار ونقوم بدفن الأموال أو الذهب وننام فوقها أو بجانبها. وحينما يأتي الفجر نذهب للمطار. ونختار بشكل عشوائي أحد الركاب من ننسجهم فيه الخمر فنعطيه كيس النقود أو حتى سبائك الذهب ونطلب منه إعطائها للأخ صالح الذي كنا نعلمه بمواصفات الشخص هاتفاً إذ كثيراً ما كنا نستحي من سؤال الشخص عن اسمه. فيكتفي أخي صالح بالوصف -

كان التوفيق من الله بآننا - فطوال تلك الأيام لم يقم شخص واحد بخيانتنا كما لم يخطئ أحدهم في توصيلها سوى رجل واحد كان مسافراً للكويت عبر الرياض. فقام بإعطائها لأحد العاملين في محلات الراشد. فوضعها الأخير في شنطة سيارته. ونسيها وحينما طلب منه أخي صالح أن يتذكر أين وضعها لم يستطع أن يتذكر. عند ذلك طلب منه الأخ صالح أن يبحث عنها داخل السياره وعندما فتح شنطة السيارة وجدها داخل الشنطة.

وأنكر أيضاً أنه في وقت لاحق وحينما بدأنا بالتعامل مع البنوك الخارجية كنا قد أرسلنا طرداً من الشيكات السياحية بقيمة أربعة عشر ألفاً وستماته وتيف من الجنيهات الإسرائيلية لحساب حبيب بنك في لندن. وكان الموظف الذي أعطيناه المبلغ يعمل في الخطوط الجوية العربية السعودية. فوضعها في مكتبه في لندن ريثما تنتهي إجراءات الطائفة وفي هذه الأثناء قام مجموعة من

الخصوص. بسرقة الطرد. فأبلغ الموظف البنك بالسرقه. فبدأ في البحث عن شركة التأمين ولكننا لم نؤمن على معاملتنا

وحينما وصلني الموظف في اليوم التالي في جده قلت له لا تهتم إن الله لن يضيع حقوقنا. وبالفعل فبعد أيام قليلة وجد أحد أفراد شرطة لندن الطرد مرمياً في نهر التايمز فقد ذهبت سرقتهم سدى حينما وجدوها شيكات سياحية لا يستطيعون الاستفادة منها. وقام الشرطي بتسليمها إلى مبدئنا بنك الذي قام بدوره بتسليمها إلى حبيب بنك. إذ كنا نضع على الشيكات السياحية جهة الحساب ونختم عليها . وقام البنك بدفع المبالغ لنا على دفعات لأنها كانت مبلولة بالماء ففقد لنا في البدء ثمانيه آلاف. ثم القين. وهكذا حتى لبقت منها ستة وأربعون جنبها وجدت في وقت لاحق ..

وحادثه ثالثة كانت عبارة عن طرد به (٣٥) ألف جنيه نيجيري أرسلناها إلى البنك المركزي النيجيري بالعمله النيجيرية على أن نفيد قيمتها في حسابنا في لندن بالجنيه الإسترليني. وكنا نشترى هذه الجنيهات النيجيرية بسعر منخفض. فتحقق لنا أرباحاً كبيرة. وفي أثناء نقلها إلى هناك ضاع الطرد ولكن بعد خمسة عشر يوماً وُجد فقُبِذَ لنا.

تلك هي بعض الحوادث التي حدثت لنا أثناء عملنا في التحويلات

المصرفية، وهي حوادث بعضها وقع في فترات زمنية لاحقة للعام الذي نتحدث عنه وهو العام ١٢٧١هـ/١٩٥١م.

وحينما حل العام التالي، وكان معي من أموالى الخاصة ما يقارب المائة ألف ريال، قمت بإعلام أخي صالح بأمر الدكان الذي فتحت له دون علمه، وخبرته بين أن يأخذه، أو يشاركني فيه متأسفة، فارتضى المشاركة.

وهكذا بدأنا منذ عام ١٢٧٧هـ/١٩٥٧م العمل سوياً بنظام المشاركة وبرأس مال قدره مائتا ألف ريال، حيث قام بدفع نصيبه منها، وهو مائة ألف ريال، وانفقنا في الوقت نفسه على نظام العمل الجديد الذي كان منفصلاً عن عمله السابق، فكان مطلوباً منه عدم أخذ أي عمولات على أي عمل يقوم به لصالحى، في مقابل أن أخذ أنا عمولة لا تتجاوز ربع في المائة في أي أعمال أقوم بها لصالحه، لأن المشاركة كانت في محلي بجدة فقط وليس في الرياض.

وقد كانت هذه الاتفاقية غير مكتوبة، لأن الثقة موجودة بيننا . وهكذا بدأنا العمل سوياً، فكان يساعدني في العمل بالإضافة إلى ابن عمى علي بن محمد الراجحي، وعبدالرحمن العمودي الذي صار فيما بعد مسؤولاً عن فرعنا في مكة المكرمة . وهكذا بدأت أعمالنا في النمو بشكل كبير.

مرحلة الحسابات الخارجية

وابتداءً من هذا العام الذي بدأنا فيه العمل بنظام الشراكة أو قبله وتحديدًا في عام ١٢٧٦هـ/ ١٩٥٦م وحتى عام ١٢٩٠هـ/ ١٩٧٠م كان عملنا يتركز على عمليات استبدال العملات الأجنبية وقبول ودائع الناس.

في البداية كان الناس يقبلون علينا، ويضعون أموالهم لدينا على سبيل الأمانة دون أخذ مستند يثبت ذلك؛ لوجود الثقة بيننا وبين الناس.

وفي أوقات لاحقة، وحينما بدأت الأموال تتدفق علينا بكثرة من الناس قمنا بتسجيل أسمائهم وتحديد أرقام حسابات خاصة بكل شخص. ولم تكن العملية تلك تسمى حساباً جارياً بل هي مجرد أمانات بحق لنا تشغيلها مع إشعارهم بنوع النشاط وذلك من باب الأمانة. كما بحق لهم في الوقت نفسه أخذها وقت ما يشاؤون وفي

الغالب لم تكن تعاني من أية مشاكل في إرجاعها لأهلها حينما يطلبونها، فقد كنت قادراً على توفير السيولة اللازمة من العمل. وأحياناً من خلال البنوك التي بدأت تنتشر في تلك الأوقات، مثل البنك الفرنسي. وبنك لبنان المهجر، والبنك الهولندي، والبنك الأهلي. وبنك الرياض. فكان لي صداقات قوية داخل هذه البنوك خاصة البنك الأهلي مثل صداقات سالم بن محفوظ ومبارك باعازمة ومحمد باقبص وأحمد باحمدان وسعيد بن محفوظ وغيرهم. فكانوا يقدمون لي السيولة اللازمة دون أية فوائد كنوع من التعاون والتفقه بيننا. فلم تكن العملية تحتاج إلى إيصال أو غيره.

وقد كانت لي بحمد الله سمعة طيبة وتعامل راق مع معظم البنوك ليس على المستوى الداخلي فحسب بل حتى على المستوى الخارجي أيضاً.

فأذكر أنه في عام ١٢٨٨هـ/١٩٦٨م تقريباً جاءتني برقية من سبتي بتك تعلمني بمنحي تسهيلات قيمتها تصل إلى مليون دولار يمكنني الحصول عليها والتعامل بها كيفما ووقتما أشاء. غير أنني رفضتها بشدة خوفاً من أن تجرني إلى تعاملات غير سوية ثم إنني أحببت التعامل بأموالي الخاصة.

وقد قمنا في وقت لاحق بفتح فروع داخلية في المدينة المنورة وبريدة والدمام والخبر والأحساء وخميس مشيط ثم أبها وتبوك وبيشة.

وكان لأخي صالح فرع واحد في وادي الدواسر وجميعها كانت تعمل في مجال الصرافة من تغيير عملات أو إيداع أموال أو فتح حسابات ..

وموازاة ذلك بدأنا نتوسع خارجياً فبدأنا منذ عام ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م بالتعامل مع البنوك خارج المملكة العربية السعودية فقمنا بفتح حسابات لديها، وكانت لبنان أول هذه الدول ثم تبعتها سوريا والكويت التي كانت لأخي صالح حسابات معهم ثم البحرين وأمريكا، ومن ثم جميع دول العالم في وقت لاحق.

وتلك هي الفكرة التي يمكن أن نسميها بمرحلة الاستثمار الخارجي والحقيقة أنه لا يحتمل هذا المعنى الكبير فقد كانت مجرد فتح حسابات خارجية لنا في هذه البنوك نحفظ فيها ببعض المبالغ حين اقتراب موسم الحج ، وفي مقابل ذلك نقوم بأخذ قروض منهم لتغطية عملياتنا من بيع وشراء العملات حينما نحتاج إلى ذلك، وقد كانت هذه القروض غير مشروطة بأية فوائد كان مجرد تعاون بيننا وبينهم، وكانت مكاسبنا طوال تلك الفترة تعتمد على تشغيل ودائع الناس وعلى بيع وشراء العملات.

وقد كانت أعمالنا في بداية شراكتنا مصرفية بحتة نهتم فيها فقط بعمليات صرف العملات والذهب فنقوم بشراؤها وبيعها للناس اعتماداً على مواسم الحج وعلى مجموعة من التجار الذين

كانوا قد كثر نشاطهم وإقبالهم من مختلف الدول بالإضافة إلى الأعداد المتزايدة من السعوديين المسافرين إلى خارج المملكة العربية السعودية.

كان الناس إذا أرادوا السفر إلى الخارج يقبلون علينا لشراء عملة الدولة التي يرغبون السفر إليها. فنقوم بإعطائهم ما يريدون أو بواسطة حوالات على حساباتنا في البنوك التي كنا نتعامل معها في الخارج.

أما كيف نحصل على هذه العملات فنحن نقوم بشراؤها وجمعها من الداخل من الحاج الفاضل إلى المملكة العربية السعودية مقابل أسعار محدودة مستفيدين في ذلك من فرق الأسعار التي تكون في البيع والشراء . وكنا نعتمد كثيراً على موسم الحج حيث كنا نحقق فيه الكثير من الأرباح ..

فكنا نعد العدة له منذ شهر شعبان أو قبله بقليل. وكان هذا منذ عام ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م. أما قبله فكنا نعتمد على رأس مالنا، فنقوم بالاحتفاظ بالريالات السعودية خاصة الورقية التي يرغبها الحاج لسهولة حملها ونقلها من مكان لآخر. وكنا نستفيد من ودائع الناس في ذلك. بالإضافة إلى أننا كنا نقوم بحلب عملات أجنبية جنية نيجيري، وليرة سورية، وفرنك مدغشقرى، وروبية هندية، وغيرها من عملات سويسرا ولبنان. زيادة على ما كنا نحصل عليه

من الحجاج القادمين من مختلف دول العالم، فنقوم بشراؤها بالريال
لم نقوم ببيعها لهم حينما يهيمون بالمغادرة لبلادهم بعد الحج.
لأنها تكون في الغالب أرخص من بلادهم. والعكس تماماً يحدث
حينما نقوم بتجميع هذه العملات من الحجاج وإرسالها إلى بلادهم
غير بتوكها المركزية ثم غول لنا بالدولار أو الأسترليني على البنوك
الليبنانية والسويسرية. ونقوم بذلك عبر طرود نرسلها بالطيران دون
أن نؤمن عليها. وإنما نتوكل على الله سبحانه وتعالى.

وكنّا قبل اعتماد الاقتصاد السعودي على البترول نعاني
صعوبة في الحصول على الدولار. فكانت البنوك تقدم تسهيلات
في حدود العشرين إلى الثلاثين ألف دولار وكان السعر الرسمي
للدولار مقابل الريال هو ثلاثة ريالات ونصف. أما قيمته بالأسواق
فكانت ستة ريالات. وكانت البنوك تقوم في بعض الأحيان وخاصة
حينما نحصل على بعض الاعتمادات بالبيع علينا بستة ريالات
إلا رباعاً، فنقوم نحن ببيعها بستة ريالات في الخارج. فنستفيد من
هذا الفرق أي ربع ريال في كل دولار؟

بالإضافة إلى ذلك كنّا نحصل على مكاسبنا من بيع وشراء
الذهب في موسم الحج الذي يكثر فيه شراؤه. فكانا نقوم بشراء
الذهب من الكويت والبحرين ونقوم بشراؤه حين قرب موسم الحج
فنبيعه على الصاغة ..

وكنيت طوال هذه المواسم أقوم برحلات منتظمة إلى لبنان التي أربطنا بها ارتباطاً كبيراً في كثير من عملياتنا المصرفية. فقد تجاوزت رحلتي إليها الثلاثمائة رحلة - وكثيراً ما كنت أقوم برحلات يومية إلى هناك، فكنت أغادر الرياض صباحاً لأعود إليها في المساء مستفيداً من التذاكر السياحية المخفضة التي كانت تقدم لمن يريد الإقامة لمدة أسبوع، فأقوم بحمل بعض العملات لأبيعها هناك. وفي الوقت نفسه أقوم بشراء ما هو مناسب فأتي به معي إلى الرياض ..

وبين الرياض وبيروت كنيت أتناول وجباتي على الطائرة. الإفطار في رحلة الصباح المتجهة إلى بيروت، أما العشاء ففي رحلة المساء العائدة إلى الرياض. حيث لا وقت لدي للغداء. أما الشاي والقهوة فأأخذني ما يقدمه لي عملائي في بيروت - وكنيت لا أرى عائلي طوال هذا الموسم إلا قليلاً.

25

جدة .. الكندرة .. بيت خاص وتوسم جديد

في موازاة هذا النمو المالي في تلك السنوات الممتدة بين الأعوام ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م إلى ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م كانت عائلتي تنقل هي الأخرى معي من مكان لآخر داخل مدينة جدة حيث نبحث عن بيت خاص بنا. كما كنت في الوقت نفسه قد بدأت بالتوسع في عملي فدخلت مجال الاستثمار العقاري.

سكنت أنا وعائلتي أول مرة في بيت متواضع يتكون من ثلاث غرف صغيرة ومجلس لا تتجاوز مساحته ثلاثة أمتار في أربعة في حي الكندرة في جدة استأجرته أنا وابن عمي علي بن محمد الراجحي الذي سكن هو الآخر ومعه زوجته حيث كنا نعمل سوياً.

كان البناء قديماً والمياه لا تصله، فنضطر إلى نقله بـ (الزقة) وهي عربة ذات كهرات من الحديد عليها برميل ماء نجرها الحمير، فتصبّه في بناء خرساني مخصص لحفظ الماء داخل البيت، وكانت هذه الكمية تكفينا لمدة يوم كامل ..

وكنا نستخدم سيارة نقل صغيرة لجلب احتياجات البيت من لحوم وخضروات وغيرها، وكانت قيمتها لا تتعدى العشرة ريالات في اليوم بأي حال من الأحوال ..

كانت مصاريف الإعاشة والسكن لي ولعائلتي تقع على عاتق المتبركة في مقابل قيامي بإدارتها، وكنت في كل ذلك دقيقاً للغاية. ومن هذا البيت انتقلت إلى بيت آخر بالقرب من مسجدك ابن لادن، وكان هو الآخر بالزيجار.

واستمر الحال هكذا إلى أن مَنَّ الله عليّ بشراء أول بيت لي في حي الكندرة بمبلغ واحد وستين ألف ريال. كان ملكاً لابن شريم، ولا شك أن هذه القبلا قد أفرحت الجميع وبخاصة زوجاتي وأطفالي ليس لأنه ملك خاص فقط، بل لأنه كان كبيراً، فقد كان يحتوي بالإضافة إلى المباني على حوش وحديقة كبيرة، وفي أطراف البيت كانت هناك غرفتان مسقوفتان بالخشب اتخذتهما فيما بعد - حينها توسعت أعمالي - لإسكان بعض الموظفين الذين يعملون معي . وفرت لهم في الوقت نفسه كل الخدمات اللازمة، فكانت زوجاتي يضمن بإعداد طعامهم وتنظيف المبنى وغسل الملابس وتوفير كل ما يحتاجونه من خدمات. وكانت زوجاتي يعتمدن على أنفسهن في قضاء كل أمورهن حتى الملابس كن يضمن بخياطتها في البيت، فلا يذهبن إلى السوق. لأن البيت كان هو عالمهن الخاص

الذي يدرنه بتجاح ..

وفي ما بعد قصت بتوسعة المنزل: قأضفت له غرفتين ومطبخاً خارجياً. وبعد مدة قصت ببناء دور ثانٍ. وكانت كل مصاريف هذا البناء وفيه القيلأ قد أأخذتها من أخي صالح ومن الشركة. وحينما أردنا الانفصال بعد ذلك كان سعر القيلأ قد وصل للمليونين فكانت من نصيب أخي صالح ..

كنا خلال تلك الةة قد بدأنا نتجه إلى العمل في المجال العقاري وكان أخي صالح قد بدأ بالتوسع فيه مع شركاء آخرين. أما أنا فقد بدأت بالتوسع فيه رويداً رويداً. وكنا طوال هذه الطفرات الكبيرة التي أنعم الله علينا بها في غاية الترشيد - فباختصار كنا كالمسابق لم نتغير ..

كان أول دخولي في عالم العقار في عام ١٢٨٠هـ / ١٩٦٠م حينما قصت بشراء أرض في طريق مكة عند الكيلو (٢): فبنيت عليها بعد تفسيمها سناً أو نماني قلل. وواحدة أخرى كبيرة للعائلة. حيث صارت لي رجة ثالثة (أم عمر). تزوجتها في عام ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م وجعلت لكل واحدة غرفتين وحماماً. بالإضافة إلى مجلس كبير وغرفتين للضيوف ومسجداً. وأسكنت في هذه القلل الست أو الثماني بعض الموظفين الكبار معي في الشركة. مثل: عبدالله الدريبي الذي كان قد تزوج إحدى بناتي. وكان مسؤول الصندوق والعقار في الشركة.

كان بجوار هذه القلل أرض كبيرة مساحتها (١٠٠×١٠٠) متر تقريباً، كنت قد قمت بشرائها والاحتفاظ بها إلى منتصف التسعينيات الهجرية قمت بتخطيطها والبناء عليها لتكون سكناً جديداً للعائلة التي كنت، إذ تزوجت زوجتي الرابعة (أم فوار) في عام ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، فخصصت لكل واحدة من زوجاتي فيلا كاملة تقيم فيها من بداية عام ١٣٩٩هـ/١٩٧٨م قبل أن تنقل في العام التالي ١٤٠٠هـ إلى الرياض.

الانفصال

ما زالت الأمور تجري كما خططنا لها، والعمل يجري على قدم وساق، أرباح وفيرة وجاحات كبيرة، يوازينا نمو داخلي وخارجي وفروع جديدة في مكة المكرمة والدينة المنورة والفصيم والدمام والخبر والأحساء، وأخرى خارجية في لبنان والبحرين وسويسرا، وكانت جميع هذه الأعمال تدار تحت شكل الشراكة التي ارتضيناها والتي كنت أديرها باسمي "سليمان بن عبدالعزيز الراجحي".

كان أخي صالح في الرياض يواصل المسير لكن كانت مجمل أعماله خاصة به وباسمه، ولا علاقة لي بها؛ لأنها كانت خارج الشراكة، فكان لأعماله فرعان: داخلي في وادي الدواسر وآخر خارجي في الكويت. وأمام تدفق الأرباح والتوسع في العمل اتجه أخي صالح للعمل في العقار كما اتجهت أنا كذلك في ذات الاتجاه بجانب المصرف، وحينما توسع أخي صالح في العقار الذي شارك فيه بعض أقاربه، وتوسعت أعماله، وتوسعت أعمالي في المقابل.. رأيت أن أقوم بفض الشراكة وافق أخي صالح على ذلك.

وكان ذلك في جدة عام ١٢٩١هـ/ ١٩٧١م. جلسنا سوياً وقمنا بتصنيفه كل الأموال والعقارات التي داخل الشركة برضاء تام وبروح طيبة خصوصاً أن الثقة كانت كبيرة بيننا وما زالت إلى اليوم بحمد الله تعالى فدفعنا إليه حقوقه نقداً ودفع هو الآخر لي حقوقي بالشيكات، وانتهى كل شيء على ما يرام، وكان أصغر أشفائي. وهو محمد قد رأى ضرورة الاحتفاظ بالعقارات دون تصنيفها .

وابتداءً من عام ١٢٩٢هـ/ ١٩٧٢م أو قبله بقليل بدأت العمل وحدي تحت اسم "مؤسسة سليمان عبدالعزيز الراجحي"، وبدأت في التوسع، ففتحت بفتح عدد من الفروع في جدة وغيرها. وكنت في العادة لا أقوم بفتح أي فروع في منطقة الرياض حتى لا أحدث أي نوع من التنافس مع أخي صالح الذي كانت مجمل أعماله تركز فيها. كما أنني كنت أخبره بأي تعاملات لي مع عملائه الذين يقومون بالتعامل معي فقد كان أساس تعاملنا الاحترام المتبادل

هذا التوسع في العمل المصرفي صاحبه توسع في مجال آخر هو العقار الذي استطعت تحقيق الكثير من النجاحات فيه بتوفيق الله. واكتسبت خلال تلك الفترة سمعة طيبة لدى جميع عملائي في داخل المملكة العربية السعودية وخارجها..

ومن ناحيته أخرى، واصل أخي صالح عمله تحت اسم "مؤسسة صالح العبدالعزیز الراجحي" محققاً بعض النجاحات وكان قد توسع في شركائه، وفتح عدداً من الفروع في الخبر وجدة وأبسن مع شركائه مؤسسة مصرفية في الدمام، واعتمد في معظم أعماله على شركائه.

مصارحة في وست بادن ..

ظل أخي صالح ما يقارب السنة أعوام يعمل في مجال العقار مع شركائه. بالإضافة إلى عمله في الصرافة. وكان تمت أخبار قد وصلنني أن هناك نوعاً من المضاربات غير النظيفة كانت تُدار في فروع مؤسساته بواسطة شركائه. وأن تمت تعاملات ضيائية غير واضحة كانت تجري مع كثير من البنوك الخارجية. فقد كان أخي صالح يعتمد في إدارة معظم أعماله على شركائه. وكان يترك لهم الحبل على الغارب دون تدقيق ..

حينما علمت بهذا قررت أن أصارح أخي صالح. فهو شفيقي. وبهمشي أمره ..

وجاءتني الفرصة يوماً من أيام عام ١٣٩٧هـ / ١٩٧٦م إذ اجتمعنا سوياً أنا وصالح وعبدالله لإجراء بعض الفحوصات الدورية في إحدى العيادات المعروفة في ألمانيا واسمها "وست بادن". فقممت بإطلاعه على كل ما يدور من أخطاء. ومن تروّ وتراجع في مستنوى مؤسساته

وقد تمت له قائمة بأسماء البنوك والمصارف التي يمكن الذهاب إليها. والتأكد منها مباشرة عن جميع المعلومات التي قدمتها له.

بعد الانتهاء من الفحوصات الطبية في ألمانيا سافر أخي صالح إلى جنيف وزيورخ وعدد من الدول لمراجعة جميع الجهات التي نتعامل مع مؤسسته. وحينما التقينا بعد ذلك في الرياض وجدته متكدراً ومهموماً فقد ثبت له بالبرهان جميع التجاوزات والأخطاء التي رصدتها له ..

وأتت يوم من أوائل أيام عام ١٣٩٨هـ / ١٩٧٧م هاتفني طالباً مني الحضور إليه سريعاً، وحدث إليه في الحال. وهي كانت عادي معي. فوجدته متضيقاً.

طلب مني العودة مرة أخرى كما كنا من حيث الاندماج والمشاركة. فاعتذرت إليه منعلاً بتغير الظروف. فقد كبر الأبناء. وتغيرت الأحوال. وفتحت له اقتراحاً. في أن يتولى أحد أبنائه مراجعة البنوك الخارجية للوقوف على تلك الأخطاء فأخذ بهذا الاقتراح ونجح عن ذلك أن جاءته المعلومات هذه المرة مزعجة للغاية بعد قيام أحد أبنائه بمراجعة تلك البنوك مرة أخرى.

وبعد شهرين طلب مني الحضور ثانية. وعرض علي العرض ذاته: الاندماج والمشاركة. وألح ثم ألح فرفضت وخرجت.

كنت متمسكاً برأبي بعدم جدوى الموضوع، لكنه لم ييأس
فأرسل لي للمرة الثالثة. وكان ذلك بعد أسبوعين من آخر لقاء
بيننا. فعرض علي الأمر مرة أخرى. وذكرني بفضله عليّ وبعلاقتنا
سوية، وبإيجازاتي معه. فوافقت، علي ما ذهب إليه...

وحينما خرجت وعدته بدراسة الموضوع والرد عليه.

اجتمعت بكبار الموظفين وبعد دراسة الموضوع قررنا الاندماج
والشراكة.

شكك العائلة الجديد.. شركة الراجحي للصرافة والتجارة

كان قراراً صائباً ذاك الذي اتخذناه في عام ١٣٩٨هـ وهو العودة إلى ما كنا عليه. وليس هذا فحسب بل رأيت أن تجتمع منوياً نحن الأنسقاء جميعاً. أنا وصالح وعبدالله ومحمد.. وخلال اجتماعنا وافق الجميع. وقدموا لي كل الصلاحيات للعبور بالسفينة إلى أعالي البحار بلان الله.

كان أخي عبدالله الثاني في ترتيبنا يعمل بمؤسسته التي تخصصت في الآثار بمواد البناء بعيداً عن عالم الصرافة. أما محمد أصغرنا الذي تدرب في الصرافة مع أخي صالح في البدء فقد كان يمتلك مع شريك له ثلاثة محلات للصرافة تحت اسم (الاستبدال).

كنت أنا في ذلك الوقت أمتلك ثمانيه وأربعين فرعاً مصرفياً. بينما كان لأخي صالح فرعان اثنان فقط وبناء على ذلك قمنا بتوزيع النسبة المئوية للشركة كالآتي: ٤٤٪ لي و ٣٥٪ لأخي صالح و ١٣٪ لأخي عبدالله. بينما لأخي محمد ٢٩٪.

والإلتزام العملية اشترطت أن أتولى إدارة الشركة، وأن أكون العضو المنتدب والمدير العام والمسؤول الأول فيها، بالإضافة إلى عضويتي في المجلس.

أما أخي صالح فأعطيته حرية المساهمة في العمل بما يستطيع، بينما حددت لأخي محمد مسئولية متابعة القضايا المتعلقة بالدوائر الحكومية على أن يواصل أخي عبدالله إدارته في العمل بمواد البناء. وهذا كان يعني ضرورة مساهمة الجميع في إدارة الشركة، وبالإضافة إلى ذلك وافق الجميع على عدم التدخل في شئون الإدارة والتعيين والفصل، على أن يأخذ كل واحد حقوقه كاملة ..

تلك كانت هي القواعد الأساسية للشركة، ومن أجل إتمام إرسائها طرعنا في تأسيسها أنا وإخواني الثلاثة، وبإدرانا بدمج الشركات وتصفية الحقوق -

بدأت مع أخي صالح الذي كان له محاسبه الخاص، وكان له شركائهم فتحمل مسئولية تصفية الحسابات معهم، فكنا نبدأ عملنا بعد صلاة الفجر، وحينما انتهت من تسوية وتدقيق الحسابات معه، شرعت مع أخي عبدالله الذي كان يملك محلاً لمواد البناء في حي العملي في مدينة الرياض، فكنت أبكر في الذهاب إليه منذ الفجر، وأهمل أحصى مع العمال كل قطع الأخشاب والحديد تحت هجر الشمس، وفي أثناء ذلك قام أخي محمد

بتصفية كامل حساباته مع شركته في محله الصغير. وحينما
أكملنا تصفيه جميع الحسابات شرعنا في كتابة العقود فقمنا
بإجراء بعض التعديلات على النسب اعتماداً على بعض التغيرات،
فخفّضت نسبتي إلى ٤٦٪ بينما رفعت نسب الأخوين عبدالله
ومحمد إلى ١٣,٥٪ و ٩,٥٪ على الترتيب.

كان ذلك في أواخر عام ١٣٩٨هـ. وحددنا للشركة الوليدة التي
أطلقنا عليها اسم "شركة الراجحي للصرافة والتجارة" مجالات
العمل التي قصدها على الصرافة بصورة رئيسة. ثم العقار
ومواد البناء، لذلك وضعنا كلمة (التجارة) في نهاية الاسم.

وهكذا انطلقنا في العمل، وسخرت كل إمكانياتي ومعظم
وقتي لإيجاعها. فقد كنت أحضر إلى مقر الشركة قبل الموظفين،
وأغادر بعد خروجهم وأراجع كل شؤونها وأؤكد من كل صغيرة
وكبيرة وأقوم في الوقت نفسه بالمرور على كل الفروع. واجتمع
مع مديريها وموظفيها صباحاً ومع إخوتي أحياناً وأحياناً أخرى
يكون معي أبنائي وأبناء إخوتي الذين قمت بتوظيفهم وتدريبهم
من أجل المستقبل.

وباختصار خصصت ٧٥٪ من وقتي من أجل النجاح، الذي غفّق
بتوفيق الله وعونه. فالحمد لله رب العالمين.

29

حول العالم من أجل فكرة

خلال السنوات السابقة كنت أقوم برحلات خارجية كثيرة وأتعامل مع مجموعة من البنوك والمصارف في مختلف أنحاء العالم، فأدركت خلال هذه الرحلات أن هناك فرصاً كثيرة في بعض هذه الدول يمكن الاستفادة منها في تنمية أعمالنا ..

ولكن في المقابل كنت أرى أن مثل هذا التعامل قد يوقعنا في كثير من المشاكل أو المحظورات إذا لم نذهب إلى هناك برؤية واضحة، رؤية محكمة ومفصلة وقائمة على قاعدتنا التي نعيش عليها ألا وهي الإسلام. وإلا فما الفائدة من حياتنا أصلاً؟ وما الفائدة من عملٍ يجر صاحبه إلى المهالك؟

كانت جميع البنوك في العالم في ذلك الوقت بنوكاً تقليدية، والذين يتعاملون معها في الغالب يجنون فوائد ما بين (5 إلى 10٪) على جميع تعاملاتهم إلا القليل. وكان في ذلك الوقت لي حسابات وتعاملات مع كثير من هذه البنوك. لكن لم أكن أخذ عليها أية فوائد .

وكنيت قد اكتشفت في عام ١٢٩١هـ/١٩٧٢م أو ١٢٩٢هـ/١٩٧٣م حينما كنت أعمل بشكل مستقل دخول بعض الفوائد القليلة جداً على حساباتي في هذه البنوك فقممت بتخليص وتطهير مالي منها.

وأذكر أنني أحسست بقلق شديد لأزمني من جرائها استمر معي مدة طويلة..

وكنيت أبحث عن مسلك ومفهوم جديد، ومنهج مبتكر يؤسس لعمل مصرفي إسلامي، وأهدف بذلك إلى استثمار أموالنا خارج المملكة العربية السعودية بطريقة إسلامية بحثة.

فاخترت لندن نقطة للانطلاق. فبدأت بالراسلات والاتصالات من أجل الحصول على ترخيص لفتح مكتب خدمات استثمارية في لندن إلا أن المسؤولين في البنك المركزي البريطاني وهي الجهة المخولة لإعطاء التصريح رفضوا الفكرة.

لم أأس. بل قمت بأخذ موعد معهم وسافرت إلى هناك وحينما دخلت عليهم ألهمني الله بشيء لم أخطط له فبدأت مناقشتهم بأساليب إنسانية، وأقهرتهم أنه يوجد في بريطانيا جالية إسلامية كبيرة تمتلك أموالاً ضخمة تحتفظ بأموالها في خزائن خاصة بهم لا يقومون بإداعها لدى البنوك البريطانية، لأنها بنوك تقليدية.

وفي المقابل أوضحت لهم أن هناك مسيحيين يفعلون الأمر نفسه: لأنهم لا يجدون قنوات أو جهات تهتم بأعمال الخير وتتوافق مع توجهاتهم. وأضفت قائلاً: إن خروج هذه الأموال وضخها في الأسواق وفي الاقتصاد البريطاني سيعمل على زيادة السيولة وتعميم الفائدة للإنسانية عموماً. وحينما انتهيت من مناقشتي معهم التي كانت تترجم لهم عبر مدير مكتبنا في لندن، وافق المسؤولون على فتح المكتب. وأذكر أنه حينما كنت أهم بالخروج سألتني مدير المكتب لماذا لم تأمرني بقول هذا الكلام وتكفي نفسك مشقة السفر والحضور؟! فرددت عليه إن الأمر لم يكن سوى توفيق من الله سبحانه وتعالى. وأن كل ما قلته كان إلهاماً لحظياً.

كان افتتاح المكتب في حدود عام ١٤٠٢هـ / ١٩٨١م تقريباً. ومن أجل التعريف به وبفكرته ومبادئه. ومن أجل تثبيته على أرض الواقع شرعت في الدوران حول العالم. لم تكن وسائل الاتصال حينها كما هي اليوم. كان الأمر يحتاج إلى جهود كبيرة للاتصال شخصياً بأكثر عدد من البنوك والمصارف - بمختلف مشاربها وأنواعها في العالم .. وحددنا قائمة بأهمها. ولم نتقيد بالتي نتعامل معها من قبل .. انطلقنا أنا ومدير المكتب في لندن.

بدأنا بالدول الإسكندنافية: النرويج، السويد، فنلندا وعبرناهم

جميعاً في يوم واحد كان النقاش يأخذ منا في كل بنك ساعاتين أو ثلاث ساعات، نشرح لهم فكرة المصرف الإسلامي والخدمات التي يود تقديمها وطبيعة العمل ونتناقض معهم ونتجادل فيقبل البعض الفكرة. ويظهر البعض غير ما يبطن. غير أننا لم تكن نعبأ. كان هدفنا ضخ الحيلة في شرايين الوليد الجديد.

ومن الدول الإسكندنافية طرنا إلى بقية دول أوروبا. فأمريكا ثم إلى الجهة الأخرى من الكرة الأرضية اليابان، والفلبين، وتايلاند، وماليزيا وبقية دول شرق آسيا. قيل أن نختم الجولة في قلب العالم بالدول العربية وتركيا ..

وحينما أكملنا السيرة بدأت في ترتيب العمل من الداخل. وكنت أحتاج إلى رؤية شرعية للتحرك على أساسها. ولم تكن لدينا وقتها هيئة رقابية شرعية كما هو الآن في مصرفنا الحالي

بل كنت أستعين ببعض الفتاوى والاستشارات والاجتهادات من بعض الشيوخ .. وكنت كثير الاتصال بسماحة الشيخ عبدالعزيز ابن باز وبسماحة الشيخ عبدالله بن حميد رحمهما الله، وقد شجعني ابن حميد كثيراً على ذلك. حتى إنني أنكر حينما أوضحت له رؤيتي المستقبلية للمصرف الإسلامي. وكنت قد وضعت عشر سنوات من أجل تحقيقها لوجود الكثير من العوائق. قال لي لو استطعت تحقيق ٥٠٪ من هذا العمل خلال هذه المدة فذلك إنجاز

كبير وخير عظيم. كما اتصلت بفضيلة الشيخ عبدالله بن عجيل. وبفضيلة الشيخ صالح بن غصون رحمه الله وبفضيلة الشيخ عبدالله بن منيع.

وهكذا .. حينما اكتملت مجمل الجوانب بدأنا في العمل في استثمار الأموال بطريقة إسلامية في حدود الفتاوى والاجتهادات التي اعتمدنا عليها. فكنا نستثمر في المعادن مثلاً بطريقة الراححة. و - كُنَّا. - والحق يقال - نريد بذر نواة لرؤيتي المستقبلية.

30

شركة الراجحي المصرفية للاستثمار .. القصة الكاملة

اكتمل البتيان وثبتت قواعده، ولأن العمر يمر والرجله ماضيه إلى التهاية، فكرت، وتذكرت.. فيما هو خير لي ولنا وللأجيال التي سنأتي بعدنا.

كانت الفكرة إيجاد صيغة إسلامية مصرفية نستطيع عن طريقها خدمة الإسلام والوطن، وفي المقابل نحفظ بها فكرة النبنة المباركة بعيدة عن الأهواء.

و ذات يوم من عام ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م اجتمعنا نحن الأربعة أنا وإخوتي الثلاثة: صالح وعبدالله ومحمد، وطرحنا فكرة البنك الإسلامي خاصة أننا كنا ومن خلال الشركة نتداول عملاً أشبه بالعمل المصرفي بالرغم من أننا كنا في الأصل شركة للصرافة، ثم إن الدولة كانت تفكر بجديده في ذلك الوقت في إغلاق محلات الصرافة، بالإضافة إلى ذلك فقد حدث الكثير من المتغيرات على مستوى العمل المصرفي تتطلب منا اللواكبة.

وافق الجميع على ما طرحته دون أي اعتراضات، فقد كنا نهدف سوياً للارتقاء بالعمل المصرفي، وكنا نحرص على المصالح

للمشركة بيننا.

وكانت الصيغة المناسبة هي أن نحول إلى شركة مساهمة شركة مصرفية تخول لنا العمل المصرفي بكل أشكاله المتعددة بدلاً من الشكل الحالي الذي يمكننا التعامل معه في حدود ضيقة كاستقبال الودائع وتبديل العملات واستثمارها..

فَوُضِّعَتْ من قبل إخواني الثلاثة فتقدمت إلى الدولة في عام ١٤٠٢هـ/١٩٨١م بطلب هذا التحول، وتبنى عدد من الوزراء حينها الأمر منهم معالي الأستاذ محمد أبا الخيل وزير المالية السابق، ومعالي وزير التجارة السابق الدكتور سليمان السليبي، ومعالي الأستاذ عبدالعزیز القرشي محافظ مؤسسة النقد العربي السعودي السابق ونائبه معالي الأستاذ حمد السبياري. وجميعهم سعوا باجتهاد من أجل تحقيق هذه الفكرة.

وعرض الأمر على مجلس الوزراء الذي أقره، وكلف وزارة المالية منلة في مؤسسة النقد العربي السعودي بمناقشة بنية الإجراءات، وبعد مناقشات متعددة حصل الاتفاق على الاسم والنظام.

كانت هناك عدة اقتراحات على الاسم، منها: بنك الراجحي للصرافة. وهو الاسم الذي اقترحت. وهناك للصرف الإسلامي والبنك الإسلامي وفي النهاية اتفقنا على شركة الراجحي المصرفية للاستثمار وقد كان هناك نقاش حول تسمية الشركة باسم الراجحي أم لا وتم لنا ذلك وبموافقة من وزارة المالية.

أما إعداد النظام فقد استغرق ستة أعوام من المناقشات قبل الموافقة عليه في عام ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨ م. وقد ساعد على إرسائه عدد من المستشارين: كالشيخ صالح الحصين والشيخ محمد بن جبير رحمه الله.

وكان هذا التأخير الذي امتد سنوات بسبب جدة النظام ومحتواه، فهو عمل جديد بأفكار جديدة غير معروفة على المستويين الداخلي والخارجي. ومن هنا كان الجميع حريصاً على عدم وأنها فسعوا إلى ملاءمتها مع طبيعة أعمال البنوك. فالبنتك الجديد إسلامي الهوية. وبحث عن مؤسسين جدد لهم يشاركوا من قبل في تأسيس بنوك سابقة. وكنا نرعى من وراء ذلك إلى إتاحة مزيد من الفرص للغير للاستفادة من الشركة الجديدة.

كنا مع بدايات نشوء فكرتنا المصرفية التزمنا بتأسيس تلك الفكرة على رؤية شرعية. فذهبت مع أخي صالح وبهية إخواني إلى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله نتبين رأيه رحمه الله: فأبدنا وشجعنا على المضي في تنفيذ الفكرة.

وهنا لا أنسى الجهود التي بذلت من قبل عدد من العلماء كسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، وسماحة الشيخ عبدالله بن حميد، ومعالي الشيخ عبدالله الجسام، ومعالي الشيخ صالح الحصين، ومعالي الشيخ محمد بن جبير. وقد كان الأخير حريصاً أشد الحرص على تأسيس الشركة لتخدم الإسلام والمسلمين

وأذكر أننا عندما عرضنا عليه الدخول كمؤسس أو أحد أبنائه رفض بشدة وقال، إنه لا يرمي من وراء سعيه هذا إلى مكاسب دنيوية وإنما يريد بها وجه الله .

كان عدد المؤسسين الأوائل في حدود ١٢١ مؤسس. يدفع كل واحد منهم ثلاثمائة ألف ريال. كنا في البدء نهدف إلى توفير رأس مال يصل إلى ٣٥٠ مليون ريال، ثم رفعناه إلى ٥٠٠ مليون ريال. ثم في وقت لاحق إلى ٧٥٠ مليون ريال. واحتفظنا نحن الأربعة بـ ٢٥٪ من الأسهم. قسمت بيننا اعتماداً على النسب السابقة في الشركة القديمة. بينما حددنا ٢١٪ للصندوق الموظفين وهو ما يعادل المليون سهم. وقد استحدثناه من أجل مساعدة الموظفين وتمكينهم في الوقت نفسه من الاقتراض منه. وهذا الصندوق أصبح يحكم نظام الشركة ملكاً لها. أما باقي النسبة وهي ٢٤٪ فطرحتها للاكتتاب والذي لاقى قبولاً كبيراً وانتهى الاكتتاب فيه خلال مدة القصيرة التي حددناها.

أما مجلس الإدارة فتكون من ثمانية أعضاء من العائلة (عائلة الراجحي) وهذا ما تم بعد نقاشات طويلة مع مؤسسة النقد العربي السعودي ووزارة المالية. وثمانية آخرين من المساهمين بعضهم ما زال عضواً في المجلس في حين أن البعض قد خرج منه. فجرى انتخاب آخرين مكانهم مثل: عمر العيسائي واسماعيل أبو داود وعبد الوهاب السبيخ ود. زياد السديري وسليمان العيسوي وسليمان الرشيد. ود.

عبدالله الوهيبي والفهدس عبدالله بن يحيى العلمي وغيرهم ..

أما الثمانية الذين هم من العائلة فكانوا صالح بن عبدالعزيز الراجحي وكان رئيس مجلس الإدارة وعبدالله بن عبدالعزيز الراجحي وكان نائباً لرئيس مجلس الإدارة وشخصي حيث كنت المدير العام والعضو للشئب ومحمد بن عبدالعزيز الراجحي وكان نائباً أول للمدير العام والهيئة أعضاء وهم صالح بن سليمان الراجحي ومحمد بن عبدالله الراجحي وسليمان بن صالح الراجحي وعلي بن محمد الراجحي وقد كان يعمل معي منذ أن كانت مؤسسته صغيرة في جدة، وأيضاً هؤلاء خرج البعض منهم وبقي البعض الآخر.

حينما شرعنا في إحداث هذا التحول الكبير إلى شركة مساهمة كنا قد قمنا بتكوين هيئة شرعية خاصة بالشركة وذلك بالاتفاق مع مؤسسة النقد العربي السعودي ووزارة المالية على إنشائها وكان ذلك قبل انعقاد الجمعية التأسيسية.

كان الجميع قد اتفق على عدد من الأسماء لتكون هي الهيئة الشرعية للشركة، وهم: الشيخ سليمان بن عبيد والشيخ محمد ابن عوده، و الشيخ مصطفى الزرقا والشيخ عبدالله بن عقيل والشيخ عبدالله اليسام، والشيخ عبدالله النعج، والشيخ صالح الحصين، والشيخ يوسف الفريضاوي.

31

الانطلاق وسنوات الانتشار

الآن وقد اكتمل كل شيء، وحُدِّثت المسؤوليات، ولزهد من الدفة والشغافية حرصنا - ومنذ البدء - على توفير أجواء الثقة والأمانة والشورى فيما بيننا وبين المساهمين. فقمنا كمجلس للإدارة بتوضيح جميع الأمور وتفصيلاتها حتى لا تقوم برج الشركة في فضايا مشكوك فيها.

ومن جانبنا - نحن الشركة القديمة - قمنا وقبل التحول إلى شركة مساهمة بفصل جميع المصانع، التي سيأتي التفصيل عنها فيما بعد والتي كنا نملكها، والقسم التجاري الخاص بمواد البناء من أجنحة الشركة الجديدة. زيادة على أننا قمنا بإزاحة ما يعادل خمسة وخمسون مليون ريالٍ هي عبارة عن ديون مستحقة لنا في أيدي الغير، وكنت أنا والمحاسب القانوني للشركة الشيخ عبدالعزيز الراشد واثنان من أعضاء المجلس من غير العائلة تشرف على عملية التهيئة للشركة الجديدة.

كنا جميعاً في مجلس الإدارة حريصين على نجاح الشركة. وفي الوقت نفسه كنا حريصين على تبادل الآراء ومناقشتها والاستفادة منها. فكنا نقبل الرؤى الجريئة والجديدة والمفيدة. ونقوم بمناقشتها وتنفيذها. وكان الكل حريصاً على المشاركة والتفاعل.

كان الأخ صالح نشيطاً منذ البدء في رئاسته للمجلس. وكان يقدم وباستمرار نصائحه من منطلق خبرته الطويلة في مجال الصرافة. وكان بجانب ذلك يعمل على مراقبة أعماله الخاصة.

في المقابل كنت أنا منذ البداية على رأس العمل مجتهداً في تتبع كل مجريات الأمور. وكانت آرائي في كثير من الأحيان تأخذ طريقها إلى التنفيذ والقبول من الجميع لعلمهم بنسبي ومعرفتي لدقائق الأمور في العمل.

ولم أبخل منذ انخراطي في دمج الأعمال بأن أعمل بجد ونشاط وإخلاص شديد. فكان يومي يبدأ باكراً قبل وصول الموظفين بنصف أو ربع ساعة حيث كان الدوام وما زال يبدأ في الثامنة صباحاً. وفي المقابل كنت آخر من يخرج في نهاية اليوم.

وكنت أراقب كل شيء ابتداءً من الماكينات والأجهزة وانتهاءً بالمركز المالي للشركة والموظفين. وأتنبأ مواهب المجتهدين منهم. وأعقد اجتماعات مستمرة. وأقوم بجولات كثيرة أصطحب فيها

إخواني أحياناً وأحياناً أخرى نوابي وبعض المديرين من أبنائي وأبناء
إخواني وغيرهم.

فطوال السنين الأولى من نشأة الشركة ظللت أعقد الاجتماعات
الدورية على مستويات مختلفة فردية وأخرى جماعية. وكنت
أصطحب أبنائي الذين هم نوابي في جولات حول المدن الكثيرة في
المملكة العربية السعودية من أجل تهيئتهم لمواصلة السيرة

وأقوم في كثير من الأوقات بجولات تفنيدية مفاجئة في
جميع الفروع والأقسام. وأراجع الدفاتر المحاسبية. وأناب مستوًى
النظافة في الشركة حتى في دورات المياه كما كنت أهتم بالمحافظة
على ممتلكات الشركة من أجهزة وماكينات وأعمل على ترشييد
الاستهلاك في الكهرباء والمياه.

وكنت وما زلت لا أتردأ أبداً في اتخاذ مواقف حازمة وقوية تجاه
أيه أخطاء ترتكب من الموظفين والعاملين في الشركة أياً كان
مركزهم. فلا أتردد في التحقيق معهم ومحاسبتهم محاسبة
دقيقة. وتلك كانت عاداتي في إنجاز عملي. وأخذ الأمر يزداد أكثر
بعد الدمج في شركة الراجحي للصرافة والتجارة وتضاعف بعد
ال تحول إلى شركة مساهمة.

وفي وقت لاحق من تأسيس الشركة أخذت بمبدأ الانتشار في
كل مناطق المملكة العربية السعودية بمدنها وقراها. وقد ملئت إلى

ذلك من خلال افتناعي الشديد بأن العمل المصرفي في المقام الأول هو عمل خدمي ربحي وليس عملاً ربحياً فقط. ولذا حينما شرعت في فتح الفروع والانتشار عارضتني البعض من مجلس الإدارة وغيرهم من أن هذا الانتشار سوف يتسبب في إحداث خسائر كبيرة للشركة. وكان هذا الاتجاه في اعتقادي غير صحيح وهذا ما أثبتته للجميع حينما بدأت بالتنفيذ. فالانتشار يحقق للشركة ميزات متنوعة وكثيرة منها أنه مادة إعلانية تعريفية تعزز مكانة البنك أو الشركة لدى جميع الناس في أي منطقة أو قرية.

كما أنه وهذا هو الأهم. يقدم للجميع خدمات مهمة. ويوفر لهم الكثير من الوقت والجهد. ويعين أصحاب الحاجات على قضاء حوائجهم. فهو يحمي المرأة وكبار السن من أطماع اللصوص. ويوفر لهم في الوقت نفسه الجهد في قطع مسافات طويلة للبحث عن البنك في المدن. خصوصاً إذا وضعنا في الاعتبار التغير الكبير الحادث في حياتنا اليومية. فروائب النفاعين والموظفين وقواتير الكهرباء والماء والهاتف جميعها تسدد عبر البنوك. وهذا ما نقوم بتوفيره لجميع الناس من مواطنين ومقيمين. وبالإضافة إلى ذلك فإن فتح مثل هذه الفروع يساعد في توفير الكثير من الوظائف للمواطنين. فهي خدمة للوطن. ولذلك ركزنا في الآونة الأخيرة على الانتشار ليس على مستوى الفروع بشكل عام. ولكن على مستوى الفروع النسائية أيضاً.

وكنيت في كثير من الأوقات أقوم بجولات كثيرة في الهجر والقرى والمجن. وأبحث عن الأماكن التي تحتاج إلى فتح فروع، أو وضع صراف آلي فيها. فأقوم بالاتصال على الجهات التنفيذية في الشركة لتنفيذ الفكرة ولا اكتفي بذلك، بل أقوم بمتابعة الأمر حتى النهاية. فالأمر عندي إذن ليس مجرد فتح فرع يحقق لي الأرباح فقط، بل فرع يحقق لي طموحي في مساعدة الناس وخدمتهم. ومن ثم خفيق الأرباح. فأنا حينما أسافر إلى خارج المملكة العربية السعودية كنت أشاهد اهتمام البنوك والصراف الكبيرة في تلك الدول بالانتشار. فكنت أجد كثيراً من البنوك لها أكثر من ثلاثة أو أربعة آلاف فرع. فهذه إذن ميزة ننسحب فوائدها على الجميع.

لعل هذه المراقبة للصيقة والتابعة للتواصل للعمل قد فلتت اليوم، لعامل السن. ففي الماضي كنت أعمل طوال اليوم وأحياناً في أيام العطلة.

ولكن منذ عام ١٤١٧هـ/١٩٩٦م تقريباً بدأت في تقليص العمل إلى ٢٧٥ ثم ٢٥٠ و ٢٤٠ وأخيراً إلى ٢٣٠ في اليوم، لكن في المقابل استنطعت تهيئة جيل قيادي من أبنائي وأبناء إخواني ومن غيرهم لقيادة العمل. واكتفيت أنا بالمراقبة البعيدة والاستشارة من مكاني في رئاسة مجلس الإدارة. وهذا نابع من إقناعي بإتاحة الفرص، والأهم من ذلك هو ضرورة المحافظة على أموال الناس. فالعامل العمري وكبر السن كثيراً ما يكون عاملاً حاسماً في مثل

هذه الأمور..

فهناك اليوم قاعدة صلبة قوامها مجموعة من الكفاءات
الشابة والقيادية والضوابط والإستراتيجيات والنظم الكافية
لمواصلة المسيرة وتحقيق المزيد من النجاحات بإذن الله تعالى.

فقد بلغ عدد العاملين بشركة الراجحي المصرفية للاستثمار ما
يقارب الثمانية آلاف من مختلف التخصصات والمهارات والخبرات.
ولا أنسى أن أذكر بأن هنالك الكثير من راقفوني في العمل وعلى
فترات متفاوتة من أبناء العائلة ومن غيرهم.

مواجهة لتفادي الريخ

في العادة لا تعلم الأفكار الجديدة والمشاريع المبتكرة من الجابهاة والعارضاة ومن القبل والقال ..

ففكرة المصرف الإسلامي حينما انطلقنا بها كانت فكرة جديدة مبتكرة غير معروفة لدى الناس بالرغم من أننا كنا قبلها موجودين على الساحة الاقتصادية، وكان الجميع يشهد لنا بالصدق والأمانة. لكن فكرة العمل المصرفي الإسلامي قسّمت الناس: فهناك من قبل الفكرة واستحسنها وقام بالدفاع عنها، وهناك من دعمها لأنها أتت بجديد، وهناك من وصفها بالخدعة الكبرى وقام بدمها، وكثب إلى المشايخ بضرورة التدخل.

أذكر أنه بعد ثلاث سنوات أو تزيد من انطلاق الشريعة وبعد أن كثر الحديث عنها دعاني سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله ومعه مجموعة من علماء اللجنة الدائمة للإفتاء، منهم الشيخ عبدالرزاق عقيفي رحمه الله والشيخ عبدالله بن غديان والشيخ عبدالله ابن فعود رحمه الله، فطلب سماحة الشيخ عبدالعزيز

بن باز كل الآراء التي كتبت عنا، وكانت تذلوخ ما بين الثمانين إلى
المائة رسالة وجميعها تدم الشركة.

فقام واطلع عليها جميعاً ثم أخرج منها رسالتين أو ثلاث رسائل
هي كل ما يمكن أن يحسب علينا، فارتاحت نفسي، وطلبت منه
أن يقوم بانتداب من يرويه مناسباً لمراجعة الشركة ومراجعة كل
أخطائهما، ومن ثم توجيهنا، وأبدت استعدادنا للتصحيح، ومن
ذلك اليوم كان سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله يقوم
بالرد على كل من أراد دم الشركة، ولم يطلبني بعدها مرة أخرى.

أما فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله فإنه درج على
التعامل مع الشركة منذ إنشائها وحتى وفاته رحمه الله، وأذكر
أنه قبل وفاته بسنوات قليلة دعانا للاجتماع معه، فقام بمناقشتنا
في أمور كثيرة خاصة بالعمل في الشركة، وطلب منا معرفة الكثير
من المعلومات والمهام والعاملات التي هي من صميم عمل الشركة
وتتصل بأمور الاقتصاد التي قد أشكلت عليه، فقمنا بتوضيحها
لفضيلته، فارتاح لسير عملنا، وأذكر أنه ناقشنا بخصوص الفوائد
المنخلة منها، فقال يمكن الاستفادة منها في المساجد خلافاً
لما يراه معظم العلماء بعدم جواز وضعها في المساجد، وإنما في
الملحقات التابعة للمساجد كالمواضع ودورات المياه، وهو عندما
أفتى بذلك كان من منطلق معرفته العامة بشكل أعمالنا.

33

بين عمليين

لم تكن سنوات عمري الطويلة في مجال الأعمال التي امتدت أكثر من سنتين علماً كلها خالصة في مجال الصرافة والعقار. ففي خضم هذا الزخم كنت أخصص بعضاً من وقتي وجهدي لإشباع بعض الاتجاهات عندي وهو إشباع أردت من خلاله تحقيق الأهداف التي حددتها لنفسني. خدمة الإنسان المسلم وخدمة الوطن.

هذه الاتجاهات المتنوعة التي حينما أقرؤها اليوم أجدها في محتواها نكاد نقارب الشمولية. فهي مجالات خدمية وصناعية وزراعية وخيرية، والفائمة طويلاً لمدة بامتداد سنوات عملي. وهي بالناسية سنوات لا يمكن حصرها في السنتين عاماً فقط إذا نظرنا إلى البدايات الأولى لي في العمل مع والدي - رحمه الله - منذ أن كنت طفلاً صغيراً ثم صبياً باقياً.

في أثناء سنوات الجهد الطويلة لبناء حياتي التي سرورتها في الصفحات الماضية كان هناك الكثير من المشاريع والشركات التي

قمت بإبشائها وتنميتها. وقد أخذت مني هذه الشركات الكثير من الجهد والوقت. وكنت لصبياً بها وحرصاً على نجاحها. بعضها كان خاصاً بي. وبعضها كان يقع ضمن الشركات التي عقدتها.

أما الطريق إليها فلم يكن مهدياً تماماً كما يقفز إلى ذهن حين السماع بها. أو حتى حين الاطلاع عليها من خلال الصفحات التالية. إنها لم تكن بسهولة القفز بين كلماتي التي أعطتها هنا أو هناك. بل هي نتاج ساعات طويلة من مدة بامتداد اليوم بدقائقه وثوانيه والسنوات بشهورها وأيامها. جهد يتبعه جهد وتفكير يتبعه تخطيط وتفكير وعزيمة ومعارك وسط الضباب ضباب الأفكار البالية والطموحات القليلة. وحينما أصل إلى خانة الطريق أعيد البناء مرة أخرى وثانية وثالثة لأجل أن انطلق باتجاه آخر لإكمال الصرح - ولكن هل يكتمل؟ هل ينتهي؟ يكتمل ربما. أما أن ينتهي فلا. فما دام في العصر بفيه وفي العقل مجال للعمل والتفكير فالمسيرة لا تتوقف بإذن الله تعالى.

34

قصتي مع الزراعة

في الواقع أن الزراعة كانت أولى المجالات التي عملت بها مشاركاً مع والدي في أحد حقول الهلالية. وبومها تعلمت ألف باء الزراعة. فكنت مجرد طفل صغير يتعاون مع والده في بذر البذور أو حرق الأرض. وربما كنت في أغلب الأوقات مشاهداً ليس إلا..

وحيثما أغدق الله عليّ من كرمه عدت إلى البكيرية. فاشترت مزرعة كبيرة تجاوزت مساحتها الخمسة كيلو مترات مربعة. وكان ذلك في بدايات الثمانينيات الهجرية. وكان سعرها منخفضاً للغاية..

بدأت بزراعة النخيل أولاً. ثم اتجهت إلى زراعة القمح. وحيثما توسعت فمت بطراء عدد من المزارع في وادي الرمة. ثم في البطين في الجهة الشمالية من مدينة بريدة. وهناك مزارع غيرها في أماكن أخرى من منطقة القصيم وعلى امتداد ترباتها الخصبة فمت بالنوسع في زراعة الشعير والأعلاف والنخيل والقمح مستخدماً أنظمة الري الحورية (الرشاشات) في ريفها. وكانت الدولة في تلك

الأيام قد قامت بتشجيع الزراعة بكل أنواعها.

وفي ذات الاتجاه عملت على الدخول في شراكة مع أخي صالح الذي كان يمتلك هو الآخر بعض المزارع في وادي الرمة فقمنا معاً بتأسيس الشركة الزراعية التي أضفنا إلى مزارعها أي مزارع الشراكة مزارع أخرى في سمحة أو أم ظهيرة وهي مزارع كبيرة كانت في الأصل ملكاً للأمير منطقة القصيم السابق الأمير فهد بن محمد كما أضفنا إليها مزرعة نالته اشتريها في الضلعة بمنطقة القصيم. وأخرى في وادي الدواسر. وقد صاحب هذا التوسع في مساحات المزارع توسع آخر في نوعية الزراعة. فبالإضافة إلى اهتمامنا السابقة قمنا بزراعة الأعلاف وبعض الخضروات.

وكان الأخ صالح هو الذي يتولى مجمل الشؤون في هذه الشركة. ويقوم بمناعتها ومراقبتها. أما أنا فكانت أتعاون معه في بعض الأمور البسيطة. وذلك لانشغالي بالشركة المصرفية. لذلك وجدنا أن من المناسب أن نقاسم المزارع فقمنا بتكوين لجنة للقيام بعملية التقسيم. وكانت اللجنة مكونة من محمد وعبدالله الصويغ وعبدالرحمن بن عبدالله الراجحي وعبدالله ابن عبدالرحمن الراجحي وعبدالرحمن السبيهان. وحينما شرعت اللجنة في التقسيم تبانت الرغبات بيننا أنا وأخي صالح. فرغبت أنا في مزارع الضلعة. وأخي صالح رغب في مزارع سمحة.

واقترحت على لجنة أنفسهم ما رغبتا فيه، لكن أخي صالح أثر إجراء القرعة، فتحاكمنا إليها وجاءت نتيجتها متوافقة مع رغبات كل واحد.

أما السبب في مبلي لمزارع الضلعة ورغبتني فيها فلأنها كانت في نظري ذات موقع إستراتيجي بالإضافة إلى جدواها من الناحية الاقتصادية، هذا ما كان للمزارع في منطقة القصيم.

أما المزارع النسي في وادي الدواسر فلأنها طلست معلقة طوال العامين تعمل لصالح الجميع قبل أن تتحول إلى حسابات الشركة الزراعية، التي قومت بنثراتها بما عليها من مستأكل وديون وصلت إلى ما يقارب الـ ٣٥٠ مليون ريال. ومن رحم هذه المزارع قومت بتأسيس شركة الراجحي الزراعية التي ضمت بعض المزارع الخاصة بي وكانت خارج الشراكة التي كانت بيني وبين أخي صالح - وهكذا بادرت إلى الاهتمام بالشركة الجديدة التي قومت بتعيين إدارة موحدة لها بحسابات مستقلة.

كانت تفاصيل هذه الأحداث في السنوات الأخيرة من القرن الهجري الماضي. وكنت حينها قد عزمت على ترتيب وتنظيم شؤون الزراعة والارتقاء بها إلى تحقيق أهداف سامية تتمحور حول الأمن الغذائي الذي هو في نظري واجب ديني ووطني. وهذا ما لا يمكن تخفيفه إلا بعيداً عن أهواء النفس وحب المال.

ومن أجل خفيفه كان لا بد لي ألا أفكر في جني الأرباح. أي أن لا أضعه هو الهدف الأول. وفي موارثه ذلك أعمال على التنوع في زراعة ما يحقق هذا الأمن في جميع المنتجات الزراعية وليس هذا فحسب بل كل ما له علاقة بالغذاء .. الدواجن.. الأغنام.. الأبقار وغيرها.

الوطنية الزراعية .. القصيم.. الفكرة

ليست مجرد مزرعة تقليدية تلك التي كنت أفكر فيها وأخطط لها، بل هو مشروع مستقبلي ذو امتدادات واسعة.. وحينما أنهيت شراكتي مع أخي صالح كانت لديّ عدة مزارع متناثرة هنا وهناك في القصيم وفي وادي الدواسر وغيرها..

فبدأت بمنطقة القصيم التي كنت أمتلك فيها بعض المزارع الخاصة بي وأخرى خرجت بها بعد انتهاء الشراكة..

في البداية كانت مجرد فضاعات واسعة من الأرض، تتناثر في أرجائها أشجار النخيل، عملنا في أوقات لاحقة على تكثيرها من أجل تلطيف الأجواء لحظائر الدواجن، ثم ما لبثنا أن أقدمنا على التوسع بشكل متتابع لكلا المجالين في خطين متوازيين، واشترينا في أوقات لاحقة عدداً من المزارع بهدف تربية الإبل والأغنام والنعام وغيرها، مع الاعتماد على بعض المزارع الخاصة بنا وذلك كله بعد الانتهاء من الشراكة حيث كانت تربطنا بالسديس التي كانت مشاريعها تمتد

وعلى امتداد هذه المزارع يختلف تقسيماتها فمنها بزراعة الكثير من المزروعات. كالمصنوعات واللوزيات بأنواعها والعتب والفراولة والخضار بجميع أشكاله، والتمور التي نجدها في زراعة كل أنواعها. كما فمنها بزراعة التين الذي يحتاج إلى عناية فائقة بسبب جمع الغبار والأثرية عليه. وكذلك التفاح الذي لم يحقق نجاحاً كبيراً.

وتعتمد إنتاجية بعض المزروعات ومدى نجاحها على الكثير من الظروف التي تحيط بالزراعة كحالات الطقس من عام لآخر ومن فصل لآخر. لذا لجأنا إلى استخدام البيوت المحمية في فصل الشتاء حتى لا نتقطع عن الإنتاج. وقد استطعنا تجهيزها بخبرات محلية دون الحاجة إلى خدمات الشركات الأجنبية. وفيها كنا نقوم بزراعة أصناف الخضروات المختلفة كالبامية والفلفل الحار والبارد والطماطم والخيار والخس. بالإضافة إلى بعض الفواكه كالفرولة، وتتراوح مساحات هذه البيوت بين ثمن إلى نصف هكتار. أما عددها فهو في حدود الثمانية والتسعين بيتاً مخصصاً للفواكه والخضار.

كما فمنها بإنشاء محطة تدريب لتجهيز الخضروات والفواكه، وورشات لتجهيز بعض المصانع في الوطنية الزراعية. لتقوم بعمليات تصنيع بعض المنتجات كالتمور التي فمنها بجلب أحدث المصانع لها. بالإضافة إلى ذلك فإننا عملنا على تجهيز ٤ محطات

كبيرة وأخرى صغيرة لإمداد الزارع بالكهرباء. وهي غير متصلة بشبكة واحدة. وذلك بسبب وجود مزارع لغربنا بين مزارعنا حالت دون وصلها جميعاً بشبكة واحدة. ونعتمد في زراعنا هذه على السماد الطبيعي حيث قمنا بمنع كل أنواع الأسمدة الكيماوية والتبيدات والأدوية غير الطبيعية.

الوطنية الزراعية بالقصيم.. الصورة الكاملة

ليس مشروع الوطنية الزراعية بمنطقة القصيم مجرد مشروع زراعي بحث الهدف منه إنتاج الخضروات والفواكه فقط، بل هو مشروع متكامل .. وهكذا أردته حينما شرعت في التفكير به.

ف بجانب المساحات الخضراء التي تغطي الأرض هناك مزارع خاصة بتربية أنواع من الطيور والحيوانات، كالدواجن والنعام والأبل والنحل وغيرها، ساعياً في ذلك إلى الوصول إلى الهدف الأكبر وهو المشاركة في الأمن الغذائي..

في البدء حينما قمنا بالتأسيس لمشروع الوطنية الزراعية في القصيم قمنا بزراعة مساحات متعددة من النخيل وبعض الحمضيات كالليمون والبرتقال.

ولمنا بعد وقت قصير بالمشروع في تربية الدواجن بنشر حظائرها المتعددة وسط هذه المزارع الخضراء، وهي حظائر بعضها خاص

بترية أمهات الدواجن منذ أن تكون صغيرة (صوص) عمرها يوم واحد إلى أن تصبح جاهزة لإنتاج البيض أو اللحم البيضاء.

أما الإبل التي أقوم بتربيتها أيضاً داخل المشروع فقد كانت البداية في المراحمة حيث كان لي قطيع منها وذلك قبل نقلها إلى القصيم حيث بقيت هناك مدة من الزمن ثم قمت بالتخلي عنها والانشغال عن مشروعها مدة من الزمن، وأذكر أنه في منتصف العقد الأول من هذا القرن علونني الحنين إليها مرة أخرى وذلك حينما كنت في زيارة إلى مشروعي في وادي الدواسر، فرأيت أن تمت مستقبلاً لهذا الجانب خاصة أن الحاجة إلى حومها في تزايد. كما أن البدو أكثر الطرائح تعاملًا معها قد بدأوا في الانشغال عنها بمجالات أخرى، فقامت بإحياء المشروع مرة أخرى. وشراء ما يقارب خمسة إلى ستة آلاف رأس من الإبل أبيضتها في المكان ذاته وادي الدواسر وظللت مدة طويلة أبحث عن شخص مناسب للقيام بإدارتها، فوقفني الله سبحانه وتعالى في رجل نصحتني بنقلها إلى منطقة القصيم فنقلتها إلى هناك، وكان عددها آنذاك قد تناقص إلى (٣٥٠٠) رأس بعد أن قمت ببيع بعض منها بالنقد والدَّهْن.

وكنيت على اقتناع أن هذا الاتجاه سيعمل على تعزيز هدي الرئيس وهو المشاركة في الأمن الغذائي. وهكذا شرعت في نقلها

إلى منطقة القصيم. وهناك تناقص عددها مرة أخرى بسبب الأحوال الجوية الرديئة أحياناً وأحياناً أخرى بسبب ضياعها في وسط البراري الفسيحة. ومن أجل المحافظة على البقية والمضي في تحقيق الفكرة. قمنا بالتخلص من الرديء منها والمسن وبيعته وكانت النتيجة بقاء ألفي رأس من الإبل الجيدة. فقمنا برعايتها ومراقبتها في مرعاهها الواسع الممتد باتساع صحارى القصيم.

لقد أدركت أن تربية الإبل صعب بعض الشيء؛ فهي تتعرض للضياع وتضل عن مكاتها الأساسي كما أن بعضها يعود إلى مالكيها أو مربيها الأول حتى بعد مضي خمسة أو ستة أعوام من شرائها. ما يتطلب الذهاب إلى صاحبها. فيعدها إذا كان أميناً وإلا أنكر وجودها. كذلك أنها تحتاج إلى عناية خاصة في أثناء مرحلة الإخصاب. وهذا يتطلب في العادة حضرات معينة من قبل المشرف عليها باختيار النوق والفحول المميرة. وفي السنوات الأخيرة اخترت مسؤولاً منفرداً لمناجعة كل شؤونها من توفير الرعاية والمؤونة لها. كما عملنا على توفير أنواع خاصة من العلف وقد نجحنا في مدة وجيزة من الوصول إلى ما أردنا. فهي تنتج الحليب الذي نوزعه في عدة مناطق من المملكة العربية السعودية حيث له رواد ومحبوه خاصة أنه معروف عالياً بأنه قليل الدهون ومفيد لصحة الإنسان بالإضافة لإنتاجها للأسمدة الطبيعية.

لكن لم أكتف بذلك فبالرغم من أننا من إمداد السوق المحلي بأنواع من لحوم الأغنام والإبل من مزارعي المختلفة إلا أنني رأيت أن ذلك غير كاف لتأمين مختلف حاجات الناس.

فهناك من الناس من يبحث عن اللحوم الخالية من الكوليسترول لمزيد من العناية بصحتهم. ومن أجلهم فكرت في إيجاد ما هو مناسب لهم فوجدته في لحوم النعام. وجلست أنا ومجموعة من المختصين في التخطيط لدراسة جدواها ومدى رغبة الناس فيها. وحينما خلصنا إلى نتائج جيدة شرعنا في تنفيذها.

لكن ذلك لا يعني أننا أول من قام بإدخال هذه الفكرة إلى المملكة العربية السعودية. ففي الحقيقة هناك عدة مشاريع ناجحة غير أن المشروع الذي قمنا بتنفيذه يعد الأكبر. ثم إن مكانه وهو منطقة القصيم مناسب من ناحية الأجواء. فهي قادرة على تحمل الحر والبرد في حدود معقولة.

في بداية تنفيذ هذا المشروع قمنا بجلب (٨٠٠) نعامة من الجنسين الذكور والأنثى. وقد كان هذا العدد مناصفة لنوعين من النعام هما: النعام الإفريقي والأسرائي. بتكلفة تصل إلى (٢٥٠٠) ريال للنعامة الواحدة. وقد تطلب ذلك منا استئجار طائرة خاصة من مطار جلمبو VLV. وخلال عام واحد وصل العدد إلى الآلاف بسبب تكاثرها. فالنعامة الأم تنتج في العام الواحد ما بين ٥٠ إلى ٦٠ بيضة. لكن ما يخصص من هذا البيض لا يزيد على ٢٥ فقط.

زيادة على أن الصصوص الناتج يموت في أثناء عملية الفقس أو يكون به بعض العيوب، مما يقلل من الناتج. وقد يصل ما ينتجه زوج التعلّم من ذكر وأنثى في العام الواحد إلى ثمانية عشر أو أقل، وحتى يكون جاهزاً للإنتاج أو الذبح - إذ تمتد عمره إلى عشرات السنوات تماماً كالإرسل - فإنه يحتاج إلى حوالي العام والنصف، ويكون عادة وزنه حوالي ٨٠ كيلو جرام. أما بعد الذبح فإنه يعطي ما تقديره ٢٥ إلى ٤٠ كيلو جرام من اللحم والعظم الصافي، وهو لحم مرغوب جداً في أوروبا بسبب خلوه من الكولسترول وكذلك جلده الذي يباع بما يقارب المائة دولاراً لأنه يستخدم في صناعة الأحذية والحفائب النسائية بسبب جودته. هذا بالنسبة للنعام الإفريقي.

أما الأسنزالي الذي يسمى "أمبو" فهو ينتج ما بين ٧٠ إلى ٩٠ بيضة في السنة. وتكون نسبة الفقس فيه حوالي ٧٣٪ أي أنه أكثر من نظيره الإفريقي. لكنه في المقابل قليل الوزن فهو بين ما بين ٦٠ إلى ٦٥ كيلو ويكون بعد الذبح ما بين ١٥ إلى ٢٠ كيلو من اللحم والعظم. أما جلده فإنه يختلف عن الإفريقي بوجود كبس دهني بداخله بين ما يقارب الـ ٨٠٠ جرام نشريه دور الزينة في فرنسا بما يقارب الـ ٨٠ دولاراً. فهو بهذا يكاد ينافس نظيره الأفريقي. زيادة على أنه لا يستهلك الكثير من الغذاء، ومع كل ما سبق فإننا نقوم بالاستفادة من البيض غير المخصب الذي يصل إلى ١٥ أو ٢٣٪ في النوع الثاني بتفريغه من محتواه وبيعه لبعض معارض التجميل والديكور.

ولكني بتحقيق هذا كله لا بد من توفير ما تتطلبه تربية النعام من حظائر مناسبة ومسالخ مجهزة .. وهذا ما قمنا بتهيئته..

لم أتوقف عند ذلك بل قمت بتربية النحل في هذه المزرعة فهو يعمل على تلقيح كل أزهار الفواكه الموجودة في المشروع كالخمضيات بأنواعها واللوزيات التي يصل عددها إلى أربعين نوعاً وأشجار السدر والزهور البرية والبرسيم..

وهو بالإضافة إلى ذلك يقدم إنتاجاً ضخماً من العسل في كل عام يصل إلى (١٥) أو (١٦) طناً، فالعسل الذي تنتجه مثل هذه النحللات هو الأفضل، لأنه يتغذى على عطررات الأنواع من الثمرات فالله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز (ثم كلي من كل الثمرات) فهو إذن في رأي أجود وأكثر شفاءً من نظيره الذي يتغذى على شجر السدر فقط. بالإضافة إلى ذلك فنحن نقوم في مزرعتنا على تغذيته من العسل نفسه أو نقوم بحلب عسل من مكان آخر بدلاً من تغذيته بالسكر كما هي عادة بعض النحالين. وذلك فقط في أوقات الجودة الشديدة التي يبقى فيها النحل في الخلية.

وهذا ما دأبنا على العمل به في كل المشاريع التي نفقدها. وهو الاعتماد على الله ثم على استخدام المنتجات الطبيعية. فنحن لا نستخدم في إنتاجنا الزراعي والحيواني أي نوع من الأسمدة الكيميائية أو غير الطبيعية. ونقوم بإجراء الكثير من الدراسات

والتجارب لتحقيق ذلك، ففي النخيل مثلاً حيث يتجاوز عددها في هذا المشروع الثمانين ألف نخلة وتزايد سنوياً بمعدل عشرة آلاف نخلة من خلال الغرس. قمنا بمحاربة مرض الغبير، وهي جرثومة مرضية تصيب النخيل، وذلك باستخدام العسيل الذي خصصنا له مأكولات خاصة قادرة على نظافة الشجرة من جراثيم الغبير حيث تتجمع في الأثرية التي تسكن في قلب وجيوب النخيل

كما أننا نقوم بما كان يقوم به الأقدمون من الاهتمام الكنف بالنخلة، أو ما كان يسمى عندهم في الماضي بالتطيف الذي هو إزالة الألياف والشوك، وقطع العسب الجاف، وجميع المخلفات، وبهذا نمنع تراكم الأثرية، ونفضي بالتالي على هذه الجرثومة. كما قمنا في الوقت نفسه بإجراء تجارب في مشروع منطقة الجوف على تربية أنواع معينة من الحشرات في شكل خلايا تنمّع بخاصية القضاء على الحشرات الضارة.

دواجن الوصلية .. تحويل الخسائر إلى أرباح

كل شيء في عالم الأعمال يمكن وفي مقدمته ذلك افتراض الفشل. وفي الغالب يتراجع من يذوق مرارته، ويتزوي وربما يختفي تماماً. وهذا هو الفشل بعينه.

تجربتي في الدواجن تحمل الكثير من المعاني والدروس، فقد واجه هذا المشروع في بداياته الكثير من الخسائر إذ كانت نسبة نفوق الدواجن تصل في كثير من الأحيان إلى ٤٥٪، بل أحياناً تصل إلى ٥٠٪. ومن المعروف لدى المختصين في هذا المجال أن الوضع يكون غير محتمل إذا وصلت نسبة النفوق إلى ٦٠٪ فما بالك بـ ٥٠٪.

في البدء كان دخولي لهذا العالم من باب التجارة المؤسس على فكرة الأمن الغذائي، فأسست مع شريكي عبدالعزيز المسديس هذا المشروع، وأوكلت كل المهام له، وابتعدت لممارسته نشاطاتي الأخرى. وحينما وصل المشروع إلى طريق مسدود، فكرت في التدخل ومعالجة الوضع.

وكما هي عادتي في المشاريع الجديدة شرعت في رؤية التجارب

المماثلة في الدول الأخرى، فسافرت إلى إحدى الدول الأوروبية. وزرت أحد مسالخ ذبح الدواجن التي تتبع طريقة إسلامية للتبجح، أو هكذا قبل لي.

والحقيقة أنني عندما شاهدت عمليات الذبح أعذت عينات من الدجاج المذبوح. واكتشفت أن بعضها ما زال حياً بالرغم من الصعق والذبح الذي تعرضت له. وهنا ذهب فكري بعيداً خاصة أنني غصبت ما شاهدت. ونساءلت لدقائق في نفسي: ما الذي يمنعني من تحقيق هذه التجربة بطريقتها الصحيحة خاصة أن كل الإمكانيات موجودة في بلدي المال والأرض والدعم الحكومي وغيرها من أمور عدة. وهكذا - ختمت لهذه الفكرة.

كان عام ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م البداية الحقيقية لتثبيت هذه الفكرة على الواقع. وكان الغرض الحقيقي الاقتراب العملي من المشاركة في الأمن الغذائي. ولذا كان عليّ أن أصنع شيئاً إيجابياً لهذه المسألة. ويكون دوري على الأقل تقديم نموذج عملي أو مبادرة عملية يمكن الاقتداء بها. وتكون نواة يستفاد منها لمستقبل الأجيال القادمة. فلقد تجاوزنا مرحلة البدايات الأولى التي عادة ما تفترش بأشكال التجارب. ولقد اكتشفت في أثناء تلك المرحلة وجد الكثير من الأخطاء في المشروع

كانت الخسائر قد وصلت في ذلك الوقت إلى مليار ريال. وذلك اعتماداً على النظرة الاستثمارية للأموال التي صرفت خلال خمس

سنوات من عمر المشروع..

ومع ذلك لم أفكر بالانسحاب بل قررت تحويل الفشل إلى نجاح والتسائر إلى أرباح. فقامت بفض التراكمة وإبعاد بعض العاملين وقامت في الوقت نفسه بشراء عدد من الأجهزة الخاصة بالزراعة، ونجحت في صنع حظائر محلية بنصف التكلفة. ونجحنا في الوقت نفسه في تخفيض النفوق في الدواجن حتى وصلت إلى ما دون الـ ٥٪ وهي النسبة العالمية في مثل هذه المشاريع.

كنت أستهبط مع صوت المؤن للفجر، ولا أعود للنوم إلا حينما يرخي الليل سدوله، أما النتيجة فكانت كبيرة بفضل الله سبحانه وتعالى.

إن الخلم بدعم الأمن الغذائي والاقتصاد الوطني قد حقق واستطاعت بفضل الله سبحانه وتعالى تزويد الأسواق العربية بأجود منتجات الدجاج المذبوح وفقاً للشريعة الإسلامية عن طريق أحدث التقنيات والأنظمة..

واليوم دواجن الوطنية قطعت مرحلة مهمة من تطورها، وأصبحت سوقاً كبيراً لإنتاج الدواجن وصلت إلى مرحلة التصدير.

وقد مرت الوطنية للدواجن خلال رحلتها نحو التكامل بخمس مراحل:

الرحلة الأولى كانت عام ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م وهي مرحلة تمهيدية خاصة بالدراسات والأبحاث.

المرحلة الثانية كانت عام ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م حينما قمنا فيها ببناء تسع مزارع للأمهات في كل مزرعة (٦) حظائر، كما قمنا ببناء ست مزارع للدجاج اللحم في كل مزرعة (١٤) حظيرة وقمنا بإحضار فقايسة بطاقة (١١,٧٧٢,٢٠٠) بيضة في السنة. ومصنع علف بطاقة (٤٠) طناً في الساعة. ومصلح للدواجن بطاقة (٩٠٠٠) طائر في الساعة.

وفي عام عام ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م فغرت هذه الأرقام في المرحلة الثالثة إلى خمس عشرة مزرعة للأمهات. وانتهى عشرة مزرعة للحوم. ومصلح للدواجن بطاقة (١٢٠٠٠) طائر في الساعة. وفقايسة بطاقة (٧٨,٢٩٣,٤٤٠) بيضة في السنة. ومزعتين لتربية الأمهات. ومزعتين و١٨ حظيرة بياض بطاقة (٤٥٠٠٠) بيضة في الساعة.

أما المرحلة الرابعة فقد بدأنا فيها عام ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م حيث قمنا برفع الطاقعة الإنتاجية إلى (١٠٥) مليون طائر تسمين في السنة. وذلك بعد أن أحسسنا بزيادة الطلب على منتجاتنا.

فقمنا بإحداث توسعة شاملة في الفقايسات بطاقة (٦٠,٠٠٠,٠٠٠) سنين مليون بيضة في السنة. و٥ مزرعة للأمهات و(١٨٢) حظيرة للحوم.

أما المرحلة الخامسة التي شرعنا فيها عام ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م فقد

شهدت إضافات كبيرة في البنية الأساسية وتوسعات في مسلح الدواجن بطاقة (٢٤٩٠٠) طائر في الساعة ليصبح إجمالي طاقته المسلح (٤٥٨٠٠) طائر في الساعة. أما القياسات فإن إجمالي طاقتها (١٥٠.٢٨٧,٢٠٠) مليون بيضة في السنة. وقد فُرض الإنتاج في هذه المرحلة إلى (٢٠٠) مليون دجاجة لاحمة في السنة.

لقد ساعدت هذه التطورات المتلاحقة في أن نفرض إنتاجنا من الدجاج إلى نصف مليون دجاجة يومياً، ومن البيض إلى مليون بيضة.

أما إذا نظرنا إلى التجهيزات الخاصة بالمشروع فهي على أحدث الأنظمة. فالمشروع يضم ثلاثة مسالخ جهزت بأحدث التقنيات لإنتاج الدجاج البرد والمجمد، وبالرغم من الزيادة في إنتاج الدواجن إلا أن اهتمامنا كان منذ البداية وحتى الآن منصّباً على نوعيه وجودة منتجاته ففي المسلح نقوم ببيع الدجاج وفقاً للشريعة الإسلامية ونحن نعلم أهمية ذلك. وما يترتب عليه من فوائد ظاهرة أثبتتها التجارب والدراسات العلمية.

فالذبح الهدوي الشرعي يعطي فرصه للدم لكي ينساب خارجاً ويكون أقل بخلاف الذبح غير الشرعي الذي يؤدي إلى احتقان الدم في منطقة العنق مكوناً مواد سامة خطيره تتسرب إلى داخل جسم الطائر. ومن هنا حرصنا منذ البداية على تطبيق جميع الخطوات الشرعية للذبح التي حددها فقهاء وعلماء الشريعة.

ونحن كذلك نتأكد من أهلية الذابح وإكماله للشروط الشرعية وننظفه للبسملة قبل الذبح مع التأكد من جرّ عنق الدجاجة بسكين حادة. وقطع البلعوم والمريء والودجين وهناك مراقبة لذلك بطريقة دائمة لتأدية لتأدية تطبيق الضوابط الشرعية. والحقيقة أن هذه المتابعة لا تنحصر في جزء معين دون الآخر بل تشمل جميع مراحل الإنتاج بدءاً من تنظيف الدجاج وانتهاء بغسله وتجفيفه. ثم نقله بعد ذلك إلى الميزان الإلكتروني لوزنه حسب وزنه. ومن ثم تغليفه آلياً.

وهي المشروع قسم خاص بالرعاية البيطرية. وهو قسم جهز بأحدث المختبرات لمراقبة ومعالجة الإنتاج صحياً بدءاً من الأمهات والصيصان والدجاج اللاحم للتأكد من سلامتها وخلوها من الأمراض. وفي الوقت نفسه يعمل على فحص وعلاج الدجاج.

إضافة إلى ذلك فالمشروع مزود بمصنعين للأعلاف لإنتاج الأعلاف الخاصة بالدواجن. وتهتم بقيمة هذه الأعلاف من الناحية الغذائية ويتأكد من خلوها من العناصر الضارة والشوائب

تمر مراحل تصنيع هذه الأعلاف بمراحل عدة في أولها تغذية حاسوب المصنع بجميع التركيبات المختلفة للأعلاف التي أعدت من قبل أخصائيي التغذية الذين هم عادة من ذوي الخبرة العلمية العالية. ثم يقوم المشغل بعد ذلك بإدخال البيانات المطلوبة للعلف

المراد تصنيعه من حيث النوع والكمية إلى الحاسوب لت تشغيل الأجهزة وسحب الكميات من الخامات المختلفة لتصنيع العلف المطلوب ثم يمر مرحلة الجرش والخلط حيث يتم جرش المواد الخشنة الداخلة في تصنيع الأعلاف، ثم مرحلة تشكيلها. وأخيراً تحصل على المنتج النهائي الذي ينقل بسيارات معدة بمواصفات خاصة إلى الصوامع للجهاز بأحدث التقنيات لحفظها.

ثم أتى على شيء مهم هنا وهو كيفية التخلص من الكم الضخم من مخلفات الدجاج وحقيقته إن الاهتمام بحماية البيئة يأتي في أولوياتنا. وقد حرصنا منذ البدء على تزويد المشروع بأحدث التقنيات لحماية البيئة المحيطة من مخلفات الدواجن. وذلك من خلال إنشاء مصانع لتلك المخلفات مزودة بوحدات امتصاص للروائح الكريهة بيولوجياً، إضافة إلى وحدة لمعالجة المياه في جميع المسالخ.

والحقيقة أننا أردنا من خلال هذه الأعمال إنشاء مشروع شامل ضمن رفعة جغرافية واحدة تضم في داخلها جميع أقسام المشروع الإنتاجية والأقسام الأخرى المتعددة من مساكن ومساجد ومطاعم ونوايا رياضية وثقافية. وطرق. وشبكات مياه وكهرباء وشبكات اتصال بما يجعل المشروع قرية أو مدينة متكاملة في منطقة القصيم. وكذلك توفر للعاملين في المشروع كل سبل الراحة والاستقرار من أجل تحقيق الهدف الذي خططنا له. وهو دعم الأمن الغذائي والاقتصاد الوطني.

الوطنية الزراعية - البسيطاء .. القصة

في يوم من أيام عام ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م دعاني معالي وزير الزراعة السابق د. عبدالرحمن بن عبدالعزيز آل الشيخ إلى مكتبه وعرض عليّ مساحة كبيرة من الأرض في البسيطاء بوادي السرحان في منطقة الجوف. ورغب في أن أعمل على استغلال تلك المساحة في الزراعة.

وقد كان مسروراً بنجاح تجربتنا في دواجن الوطنية. حيث كان متابعاً للمشروع منذ بدايته. ولما كنت مشغولاً بمشاريع أخرى كمشروع الوطنية الزراعية بالقصيم اعتذرت عن العرض. فأصر عليّ وأكفر من الإلحاح عددًا من اللوات. وفي المرة الأخيرة أصرّ لي أن الأمر ليس بيده. وإنما هو أمر من الملك فهد. فقبلت العرض ما دام أنه هدف حكومي يراد به تطوير أرض البسيطاء.

وحيثما شرعت في التفكير بالأمر ازداد إعجابي به كثيرًا. فازدبت اندفاعاً نحو هدفي الأول. وهو دعم الأمن الغذائي. ولذا عازمت

منذ البدء على تخصيص المشروع بكامله لخربة الأغنام فقط. ولا شيء معها. وهذا ما كانت تهدف إليه الدولة حينما قدمت نفس هذه المنح لشركات أخرى كالخوف ونادك والمكيرش وغيرها..

وكنيت قد عقدت العزم على تحقيق الهدف ومن أجل ذلك قررت الذهاب إلى هناك والإقامة حتى الانتهاء من التنفيذ إن شاء الله.

كانت الأرض مساحات جرداء لا بناء عليها ولا خضرة ولا ماء والأخيرة هي الأهم حيث لا نستطيع العمل بدونها.

وحينما بدأت بالبحث عن الماء وجدت أن لا سبيل إليه سوى حفر الآبار ومزيد من الآبار. واكتشفت أن تكلفة الواحدة منها قد تتجاوز المليون ريال. وذلك يعني الحاجة إلى (١٩٢) مليوناً من الريالات من أجل حفر الآبار. وليس هذا فحسب بل لا بد من المال الباهظ لنفقات المكينات والأجهزة والعمال. وخلاصة القول كان الرقم اللام صرفه مهولاً. ولما بحثت عن السبب وجدت أن المياه في تلك الأرض غير مستقرة. لأسباب جيولوجية بحيث تهرب بين الطبقات. فلا يستطيع الحفار الإمساك بها. فكان لا بد من إيجاد حل آخر. أو بمعنى آخر لا بد من مخرج آخر.

وقد هداني الله أنا ومجموعة من الإخوة إلى فكرة جلب المياه باستخدام صهاريج منحركة من شركة الخوف القريبة منا. لاستخدامها في أثناء عملية الحفر. بصحبها في البئر. فتتجمع

المياه ويستطيع الحفار بهذه الطريقة استخراج الماء منها.

كانت لدينا "ستة" حفارات و "أثنا عشر" صهريجاً، وحتى نحقق النتيجة المرجوة كان علينا العمل أربعاً وعشرين ساعة يومياً وعلى الحفار الإبطاء حتى لا ينقطع رتل سيارات الماء الذي كنا نعجز عن جلبه من الشركة أحياناً، بسبب الزحام أو الأعطال فنضطر إلى الذهاب لما هو أبعد مسافة إلى ما يقارب المائة كيلو متر

أما التكلفة فكانت (٦٠٠) ألف ريال شاملة للأجور والصيانة. وحينما جئنا في البشر الأولى ألهمنا الله سبحانه وتعالى فكرة أخرى عملت على تقليل التكلفة إلى ما دون النصف إلى ٢٥٠ ألف ريالاً أو تزيد قليلاً.

والفكرة التي قمنا بتنفيذها مباشرة تقوم على تجهيز برك كبيرة تكون المصدر الأساس للماء اللازم لنا. ومن خلال طلبات الدفع وخرائطهم الماء نقوم بإمداد الأماكن التي نود الحفر بها..

وهكذا تمكنا من حل المشكلة بتوفيق من الله. ومن ثم بدأنا في تنفيذ خططنا لتطوير المشروع. وهي خطط استغرقت منا ما يزيد على الثلاث سنوات من أجل تنفيذها. وفي خلالها استطعنا تنفيذ مدينة متكاملة داخل المشروع الذي أردنا إخراجه إلى الوجود فالماء يهبط ضرورة لوجود الإنسان فهو الذي يطور وينمي.

اكتفيناً في البدء أنا وموظفونا بكرفانه صغيرة أهداني إياها أخي محمد فكانت أول مأوى لنا. ومع ذلك كنت كثيراً ما أستغني عنها. واكتفي بظلمتها في النهار للاستراحة فيه. وحينما يأتي الليل كنت أقوم بفرش فراشي على رمال الصحراء الجميلة. فأنام مستمتعاً بالفضاء الواسع. واكتفي من طعامنا بما تقوم بتجهيزه في معسكرنا هذا. وأحياناً بما أحضره معي من الرياض حينما أزورها. فسر مليء بالطعام الطبخ ومغطى بقطع من القصدير والبلاستيك. فلا وقت لدينا لطبخه.

كنا في سباق مع الوقت من أجل تحقيق الهدف. وفي الأيام التالية بدأت تباشر النجاح نهلاً علينا فقمنا بجلب القطيع الأول من الأغنام. ومن أجل توطينها قمنا ببناء بضع حظائر هنا وهناك.

كما بدأنا في زراعة بعض المساحات بالقمح والبرسيم. وشرعنا بزيارة بعض المشاريع القريبة مثل شركات، نادر والجوف ونيوك. ورأيت ضرورة التوسع في المشروع بزراعة الفواكه. فقمنا بجلبها من شركة نيوك. وقد تطلب منا ذلك حمايتها من العواصف الرملية التي تشند في تلك المنطقة. فرأينا أن من الأفضل بناء مصدات للرياح فوق احتياري على أشجار الزيتون. ونجحت الفكرة نجاحاً ياهراً بتوفيق الله.

هذا التوسع صاحبه توسع من نوع آخر وذلك في بناء المساكن

وكان أول بناء قمنا بتشييده غرفتين نظمتهما حينما نوبت دعوة أخي الأكبر صالح لزيارة المشروع ليكون له مسكناً طوال مدة إقامته معي مراعاة لصحته. وتبع ذلك في أوقات لاحقة بناء عدد من الغرف لتكون سكناً لنسوبي المشروع الذين بدأت أعدادهم في التزايد.

واليوم بحمد الله عندنا داخل المشروع مدينة متكاملة مساكن ذات أشكال مختلفة. بعضها للأفراد. وأخرى للعائلات ومدارس لجميع المستويات الابتدائي والمتوسط، والثانوي لكلا الجنسين. ومستوصف مجهز وسوق متكامل. وفي أوقات لاحقة امتدت الأرض الزراعية لتشمل أراضي أخرى بجانب المشروع. كان وزير الزراعة د. عبدالرحمن بن عبدالعزيز آل الشيخ قد وعدنا بإعطائنا إياها إذا جئنا. وقد كان والله الحمد.

وفي اتجاه مناوئ قمنا بتطوير العمل في المشروع بشكل مستمر لمواكبة ما يحدث في العالم من تطور في التنمية. ولتقليل تكاليف الإنتاج.

وفي البدء كنا نستخدم الآليات الزراعية العادية التي تعمل بالديزل. وكان لدينا ما يقارب الـ ١٩٠ ماكينة. وكان سعر الواحدة منها حوالي ٢٠٠ ألف ريال. وحينما ارتفعت أسعار الديزل تحولنا إلى استخدام الطلمبات الغاطسة التي تعمل بالكهرباء. فقمنا بتأسيس محطة وشبكة متكاملة لعدم توفر الطاقة الكهربائية

في تلك المنطقة. وبالرغم من تكاليف الإنشاء العالية إلا أننا سعينا إلى بنائها حينما نظرنا إلى مستقبلها الجيد.

وهذا ما حصل والفضل في ذلك لله. فخلال مدة وجيزة استطعنا توفير الكثير من الأموال التي كانت ستذهب إلى قطع الغيار والصيانة والوقود وغيرها. وكذلك نجحنا بتوفير الله في تقليص الأيدي العاملة لتشغيل المكينات من خمسة وخمسين عاملاً إلى حوالي عشرة فقط. ولم نتوقف عند ذلك بل عملنا على الاستفادة بما يستجد في الأسواق من أفكار وتقنيات جديدة مكنتنا من الانتقال بالعمل إلى مستويات عليا. فاستخدمنا تقنية جديدة هي الإسكادا. وهي تقنية قمنا بتطويرها مع جامعة الملك فهد للبترول والمعادن وبعض الشركات العالمية بها نستطيع عن طريق غرفة التحكم مراقبة عمليات الري والتحكم بكميات المياه التي تحتاجها النباتات. وفي الوقت نفسه قراءة الأحوال الجوية والعمل وفقاً لها.

وهذه التقنية وفرت لنا الكثير من المال. وفي المقابل أيضاً وفرت في باطن الأرض الكثير من الماء وصلت حسب دراستنا إلى 235.

هذا التطوير السريع الذي شهده المشروع لم يكن بجهد فردي من قبلي. بل قد شاركني فيه الكثيرون من الإداريين والأخصائيين والهندسين والعمال وغيرهم. بعضهم ما زال يعمل حتى الآن

وبعضهم الآخر أثر ترك العمل.

وتواصل التطوير. وفتحت الشركة آفاقاً متنوعة ومنوعة في مجال اختصاصاتها. وأحدثت أنظمة جديدة لتصويب المنتجات الزراعية.

ماذا هناك اليوم في مشروع البسيطاء؟

حينما نلجأ للغة الأرقام نجد أمامنا بفحص الله سبحانه وتعالى مشروعاً متكاملًا، أكثر من (٢٥٠) ألف رأس من الأغنام، وما يزيد على (٧٥٠) ألف شجرة من جميع أنواع الفواكه تقريباً، و(١٩٠) ألف شجرة عوخ، و(١٦) صنفاً من أشجار الخوخ، و(٥٠٠) ألف شجرة زيتون، و(٤٩) صنفاً من أشجار الزيتون ستصل خلال سنوات قليلة إن شاء الله إلى المليونين. أما الخضروات فتقوم بزراعة مختلف الأصناف كالبصل والبطاطس والطماطم.

39

الوطنية الزراعية .. البسيطاء .. تفاصيل الصورة

أعتمد في عملي على التخطيط الدقيق لتأتي النتائج واضحة ومرضية. في مشروع البسيطاء الذي حُطِّط له ليكون مخصصاً لتربية الأغنام قمت بحلب القطيع الأول منه مع بدايات المشروع وشرعت في تربيته بطريقة علمية حتى وصلت أعدادها إلى ما يقارب الـ (١٥٩) ألف رأس.

نتوزع هذه الأعداد التي تتزايد باستمرار على (٢٧) محطة بمعدل (٦) آلاف رأس في كل محطة، بالإضافة إلى محطة وسيطة ولها مهام خاصة.

تتدرج عملية التربية على مراحل متعددة. تبدأ بعملية تجميع الأغنام الصغيرة المولودة حديثاً حيث نوضع هذه الصغار في محطات محددة مع أمهاتها ونقوم بتفقيص كل مولود، وجعله في غرفة خاصة مع أمه لمدة ثلاثة أيام. وبعد ذلك نجمع كل عشرة مع أمهاتها في غرفة أخرى. وذلك رغبة منا في إحداث نوع من الألفة بين الأم وولدها لسلامة وصحة المولود. وقد فكرت في تأمين أنواع

خاصة من الرضاعات الصناعية من أجل توفير الوقت للعامل الذي يعتني بها.

وحينما تصل أعمار الواليد إلى الشهرين يقوم بضمها عن أمهاتها وتحويلها إلى المحطة الوسيطة حيث تسلم مع أمهاتها إلى هذه المحطة. وهنا يصبح أمام المسؤول مهمتان الأولى خاصة بالأم، والثانية خاصة بالمولود. حيث تكون الاستفادة من الأم بإحدى طريقتين،

إما أن تخصص لإنتاج الحليب إذا كانت مدرة له.

وإما أن ترسل إلى محطة الولادة لكي تلحق مرة أخرى وتعيد الكرة. أما الصغار فتظل في المحطة الوسيطة إلى أن تصل أعمارها إلى ثلاثة أشهر ونصف. حينها يقوم المسؤول بتصنيفها بحسب نوعية جنسها.

فالإناث السليمة تسلم لمحطة متخصصة في التربية لتكون أمًا (بديلة) في المستقبل.

والشيء نفسه يحدث للذكور حيث تسلم الجيدة والسليمة إلى محطة التسمين فيقوم الطبيب البيطري المسؤول بغسلها جيداً وتنظيفها، ومن ثم إدخالها وترتيبها في حظائر خاصة ذات درجات بحسب فئات وزنها محددة.

وفي العادة تلجأ إلى وضع كل عشر أغنام في حظيرة واحدة لكي لا تتحرك كثيراً. فتكتلز باللحم وتصبح جاهزة في مدة قصيرة. ومن هذه المجموعة نختار مجموعة أخرى من بينها لتكون قحولاً في المستقبل بعد أن نخضع لعناية وتربية خاصة. حيث تُخلط مع الإناث في وقت لاحق بعد تربيتها جيداً.

وكنا في الماضي جمعها سويّاً مع الإناث في حظيرة واحدة. إلا أننا رأينا في الفترة الأخيرة فصلها. فنجعل الفحل الواحد يجلس مع الأنثى لمدة (١٥) يوماً فقط. ومن ثم نقوم بإيداله بآخر. ونخضع الأول لتغذية خاصة ريثما يعيد طاقته. وذلك لأن الفحل الذي لا يتغذى جيداً في أثناء التلقيح تصبح جدواه ضعيفة.

كل هذه الأغنام تخضع لعناية طبية شاملة. وبشكل دوري من قبل الأطباء البيطريين الذين يقومون في الوقت نفسه بمراقبة كل ما تعزبها من أسقام أو مشاكل. فيقومون بعزلها والاهتمام بها.

كما تخضع جميعها سويّاً لعمليات جرّ منتظمة. فنقوم بجر صوفها وبيعها لصانع خارجية.

ومن أجل الاستفادة الكاملة من هذا الصوف نسعى الآن إلى تأسيس مصنع بالشراكة مع جهات أخرى لتصنيعه في شكل خيوط أو مواد خام للاستفادة منه بشكل كامل في مصانع

خارجية. وبهذا تؤسس لإحداث تفلح نوعيه في هذا المجال بإنشاء وحدة صناعيه مخصصه في هذا المجال. أما الجلود فإننا نقوم بالاستفادة منها في صناعة بعض أنواع الفراء والجواعد.

وهكذا استطعنا تحقيق أقصى سبل الاستفادة من تربتنا للأغنام. فمع الأصواف والجلود واللحوم والأسمدة والألبان قمنا بالإنجاز للاستفادة من التصنيع لهذه المنتجات كصنع أنواع من الزيادي والخليب والسمن والزينة وغيرها.

هذا بالنسبه للأغنام في مشروع البسيطاء. وهو الجزء الأساس الذي بنينا عليه المشروع. غير أننا وفي أوقات متقاربه شرعنا في ملء المساحات الكبيره من الأرض بزراعه الفواكه والخضروات لتكتمل الصورة في هذا المشروع.

فاليوم لدينا ما يقارب الـ (٧٥٠) ألف شجرة فاكهه مختلفه: كالعنب الذي تتجاوز أصنافه العشرة وأشجاره الـ (٤٠) ألف شجرة والخوخ الذي تصل أنواعه إلى (١٦) صنفاً والنكتارين وهو نوع من أنواع الخوخ إلى سنه عشر صنف. في حين يصل البخارى إلى سبعة أصناف.

أما الزيتون الذي قمنا بزراعته في البدء ليكون مصدات للرياح لحمايه مزارع الفواكه والخضروات، فإننا في الآونه الأخيره قمنا

بالاستفادة منه كمنتج اقتصادي. ولم نلف عند ذلك بل سعينا إلى عقد مؤتمر زراعي اقتصادي اجتمع فيه عدد من علماء الزيتون حيث ناقشنا أنواعه وفوائده والأفكار التطويرية للاستفادة منه.

وقد استطاع أحد المختصين الذين يعملون معنا من زراعة (٧) أصناف من الزيتون في مشاريعنا للأعمه كل الظروف المناخية والبحثية للمشروع..

واليوم نقوم بالاستعداد للفرز بأعداد أشجار الزيتون من (٥٠٠) ألف و(٤٩) صنفاً إلى مليوني شجرة فنحن نقوم بالاستفادة منها - بجانب العلف الذي تنتجه من أوراقها التي نقصها كل عام - في صناعة الزيت التي تصل نسبته إلى ما يقارب الـ ٢٣٪ في صفايل نسبة ١٤٪ لدى المشاريع القريبة منا. وهذا يرجع إلى استخدامنا للسجاد الطبيعي

والزيتون شجر مثمر يعيش ما يقارب الـ (١٠٠) عام. وهو يبدأ في إنتاجه الاقتصادي منذ العام السابع تقريباً. وهي شجرة قليلة الأمراض. وقليلة الحاجة للماء. وقليلة الحاجة أيضاً للعناية. ثم إنها بجانب ذلك شجرة مباركة طيبة..

أما الحبوب والخضروات فإننا نمضي بالونيرة ذاتها لتحقيق الهدف الأساس وهو المشاركة في الأمن الغذائي بشكل كامل. فبجانب

أنواع الطماطم وأنواع الخضار الأخرى بدأنا تفكر في إنتاج جيل من البذور النقاوي. فالبذور مكلفة، ولو عملنا على نفوذه جيل من البذور لاستطعنا أن نعمل الجيل الثاني منها. وعند ذلك نصل إلى مرحلة التهجين ولكن التهجين يحتاج إلى الكفاءات الماهرة والتكلفة العالية.

وبجانب ذلك قمنا بالاستفادة من أنواع الفواكه ذات الدرجات الأقل من واحد والتي هي في الغالب تكون صغيرة الحجم أو بها بعض الخدوش بسبب النقل أو غيره فنقوم بالاستفادة منها في صناعة المربيات.

أما الطماطم فلننا نقوم بتصنيعه لإنتاج أنواع مختلفة من مركبات الطماطم تبعه محلياً وخارجياً. كما نقوم بتصنيع معجون الطماطم "الكاتشاب".

وهناك مخلفات تنتج من عمليات التصنيع لهذه الفواكه. ومن أجل الاستفادة منها وعدم رميها قمنا بإجراء بعض التجارب عليها للاستفادة منها في صناعة الأعلاف الخاصة بالأغنام. كما قمنا بإجراء بعض التجارب على مخلفات الطماطم للاستفادة منها في صنع أنواع معينة من الخبز وذلك بعد خلطها مع الدقيق وهي في طريقها للتنفيذ. وفي الوقت الحالي تستهدف من مخلفات الطماطم كأعلاف للأغنام مؤقتاً.

ليس هذا فحسب، فبين هذه المزروعات تنتشر أعداد كثيفة من أعواد الرجله البرية التي تعتبر العدو الأول للمزارعين في كل مكان. فرأيت إمكانية الاستفادة منها، فأجرينا عليها بعض الأبحاث فوجدنا أن بها نسبة من النتروجين تصل إلى ٢٤٠٪ وهذا ما نحتاجه الثرية الزراعية وخاصة عند استخدامنا لها مع الأسمدة الطبيعية. وحينما انتهي من إجراء كل الدراسات عليها فسنقوم بتخصيص مزارع خاصة لإنتاجها.

ولتوفير الوقت الذي كثيراً ما يضيع بسبب الأعطال التي قد تصيب بعض الآليات والأجهزة التي تعمل في المشروع قمنا بإنشاء عدد من الورش للتخصص في تصنيع بعض المعدات الآلية المهمة، وسوف يجري في وقت لاحق بإن الله جميعها تحت إدارة واحد.

نحن اليوم في مشروع البسيطاء نقوم بإنتاج عدد من قطع الغيار اللازمة وبأحجام متفاوتة، وبتكلفة قليلة لمعظم معدائنا وآلياتنا التي تعمل في المشروع.

كما نقوم بتصنيع بعض الأجهزة والمكينات التي نقوم بطحن الأخشاب وقطعها وبنثر السماد الطبيعي. بالإضافة إلى ذلك نقوم بتصنيع أنواع متعددة من التلآات الكبيرة والصغيرة والدائرية والمربعة وقطع غبار الحرائق، وكذلك قمنا بصناعة الحرائق

والسطوحات لنقل الأعلاف. والسطوحات التي تغطي الأعلاف.
وتحاول تصنيع ماكينات لتعريق الأعشاب.

ونحن اليوم - ولله الحمد - نرى أرضاً خضراء ممتدة بالمستدار
الأفق بعد أن كانت مجرد أرض جرداء لا شيء فيها. كانت قيمة
الكيلومتر المربع منها حينما بدأنا المشروع خمسة عشر ألف ريال.
واليوم صارت مائتين وخمسين ألف ريال والأسعار في ازدياد.

كنّا ننفق عليها باطراد. واليوم بدأت نؤتي أكلها كل حين بإذن
ربها. لأن الهدف يبقى إكمال مظلة الأمن الغذائي.

ثورة من أجل العودة إلى الطبيعة .. الهدف كاملاً

يتطلب المجال الزراعي الكثير من العمل والجهد، ويتطلب في الوقت نفسه الكثير من الصبر؛ فهو حمل ثقل يلقي على صاحبه أو مارسه هموماً كثيرة. هموم المراقبة والمتابعة والتطوير. لكنها هموم لذيذة سرعان ما تنتهي حينما ترى النتائج بعينيك وهي نتائج في رأي لا ينبغي أن تكون ربحية محض، ولا أية سريعة؛ لأنه يحصل في داخله معاني كثيرة، معاني المشاركة والتفاعل والتكافل، فهو يوفر للإنسان أسباب النمو والحركة والحياة وحينما يتوفر نتاجه غذاء، طعاماً وشراباً فإن ذلك يعني انصراف الناس إلى شؤون أخرى أهم.

لكن عن أي غذاء أريد التحدث؟ بالطبع عن الغذاء الصحي. وهذا ما لا يمكننا إيجاده إلا من خلال اتباع طرق زراعية صحيحة.

في البدء حينما بدأت العمل في هذا المجال كنت أستخدم - كما يفعل معظم الناس - أنواعاً من السماد الكيميائي المصنع

كما كنت أستخدم أنواعاً من المبيدات والمطهرات الكيميائية من أجل المحافظة على مزرعاتي

ولكنني حينما بدأت مشاريعي في التوسع ونظرت إلى القائمة الطويلة من الأمراض التي تسببها الأغذية رأيت أن أحرك في عطف متوازٍ مع هدفي الأول المشاركة في الأمن الغذائي من أجل تحقيق الهدف بكل أبعاده.

قررت ذات يوم منع استخدام الأسمدة والمبيدات والمطهرات الكيميائية في كل مزرعاتي الزراعية، ولكي أحقق ذلك كان لابد لي من التحرك بشكل تدريجي متوازن.

لدي عشرات الآلاف من الأغنام والإبل والدجاج والأشجار ولدي جيش من الخبراء والفنيين والعاملين. ولدي أفكار خاصة بوقت متسع للتفكير لماذا لا أقوم بإحداث التغيير إذن؟!.

لم أر أن هناك ما يدعوني إلى التزيت في التنفيذ خاصة أن الأمر عتدي ينبع من فئاعات شخصية، وهي أن ما أقوم به واجب ديني ووطني

في البدء رفض المهندسون الزراعيون الفكرة والفرار وظللنا لوقت طويل نتناقش وحينما أعينني الحيلة سألتهم

هل لأحد شراكة معي؟!

من الذي سيفامر، ومن الذي سيخسر؟! أليس أنا؟

كنت علي إقتناع بنجاح القرار، وأثبتت لي الأيام صدق ما ذهبت إليه. كما أثبت لهندستي خطأ ما اعتقدوه فالكثير منهم يعتمد إلى تطبيق ما تعلمه دون تطويره أو تنميته كسلاً منه أو عجزاً؟ في حين أن كثيراً من التطبيقات قد تعمل على إحداث الكثير من التغيرات على المستوى الشخصي والعلمي، غير أنني اكتشفت فيما بعد أن السبب الأساس لهذه المعارضة من البعض هو أن استخدام الأسمدة الكيماوية في المجال الزراعي أسهل تنفيذاً. ثم إنه لا يكشف عن العيوب الناتجة عن التخصير وعدم الاهتمام وعلى العكس من ذلك السماد الطبيعي فهو يتطلب جهداً ومناخه لصيفه من قبل المهندسين منذ البدء حتى النهاية.

كانت أولى التجارب التي قمنا بتنفيذها على أشجار النخيل بمشروع الوطنية الزراعية بالفصيم. أتبعناها ببعض الخضروات كالطماطم في البيوت المحمية.

كانت النتائج الأولية مباشرة، وحملت في طياتها صورة ما يجب أن يحدث وما يجب أن يكون على أساسه تنفيذ الفكرة، ذلك أن المشاريع التي نفذ فيها المهندسون العمل بهمة عالية وقبول

نام بالفكرة كمشروع وادي الدواسر كانت النتائج متازة فقد فاق الإنتاج أولئك الذين تفنوا الفكرة دون رغبة ودون قبول.

وهكذا شرعنا في التدرج بشكل متسارع، فشمّلنا بأفكارنا القمح والشعير والبرسيم والحمضيات والفواكه والزيتون وجميع الخضروات حتى أكملنا المشهد وحققنا الهدف وهو منع استخدام الأسمدة الكيميائية في كل مزارعنا.

وفي سبيل الوصول إلى هذا الهدف الذي استغرق منا شهيراً طويلاً استخدمنا الكثير من الأفكار والخلول، وتوقفنا أمام عدد من المشكلات والمعوقات، وخرجنا بالكثير من الطرق والوسائل المبررة بعون الله وتوفيقه.

في البدء تعلمنا درساً مهماً في كيفية التعامل مع السماد الطبيعي، فمن أجل تحقيق أعلى إنتاج بواسطته وجدنا أن أحسن الطرق للزراعة هو وضع السماد الطبيعي أولاً على التربة قبل حرثها. ومن ثم مراقبة النبات في جميع أطواره ومعالجة كل ما يطرأ عليه من اصفرار أو غيره بإضافة كميات مناسبة من السماد الطبيعي السائل الذي سأأخذت عنه بعد قليل. كما وجدنا أنه بالإمكان معالجة بعض المشاكل التي قد تعترض التربة من جراء استخدام السماد الطبيعي كنقص النتروجين والفسفور في التربة، حيث قمنا بإضافته إليها بعد الحصول عليه من بعض

الحجارة الخاصة الموجودة في المملكة العربية السعودية.

وهنا قد يتساءل الكثيرون: من أين يحصلون على هذا السماد الطبيعي وبكميات كبيرة؟.

هذا السؤال هو الذي ربما قادنا إلى التفكير في استخدام الأسمدة الطبيعية.

ففي مزارع البسيطة لدينا ما يزيد على (٢٥٠) ألف رأس من الأغنام كل واحد منها يحتاج إلى ما يقارب الـ (٢) كيلو من العلف وتعطي في المقابل كيلو واحد من البروث. وهكذا إذا قمنا بعملية رياضية بسيطة فسأجد أن لدى مئات الأطنان من البروث الذي يمكن أن نصنع منه الأسمدة الطبيعية أو هي في الأصل عبارة عن أسمدة طبيعية. وهكذا أيضاً استطعت تحقيق أعلى استفادة من الأغنام فهي بجانب ما تقدمه لي من لحم ولبن يصنع منه أجبان وزبادي وحليب وزبدة تقدم أسمدة طبيعية يمكن الاستفادة منها فهي إذن ذات مدخول عالٍ إذا ما تم التعامل معها بصورة جيدة وشاملة. والشئ نفسه يمكن تحقيقه في مزارع الدواجن التي بها مئات الآلاف من الدجاج.

ومن أجل ذلك شرعنا في عمليات التصنيع. فقمنا بتجهيزه على شكل حبيبات وسوائل. فالأسمدة المستخرجة من الدواجن التي

جعلناها على شكل حبيبات نشتمل على ثلاثة أنواع:
الأسمدة الكاملة بنسبة ١٠٠٪ تستخرج من الدجاج البياض.
والأسمدة بنسبة ١٠٪ تستخرج من الأمهات.
أما الثالث فهو بنسبة ٢٠٪ من الدجاج اللاحم، ونقوم بتسويقه
محلياً ولعدد من دول مجلس التعاون الخليجي

أما الأسمدة المستخرجة من روث الأغنام فقد قمنا - بعد
إجراء عدد من التجارب - بتجهيز مصنع متكامل لصناعة
الأسمدة السائلة الذي يوفر الكثير من الجهد والوقت للعامل في
أثناء استخدامه.

ولعل هذا ما جعلني أفكر في المستقبل القريب بتسويقه على
نطاق واسع بعد تجهيزه بهذا الشكل. ولربما سعت في التخطيط
لبناء مزارع خاصة للأغنام والدواجن من أجل توفير الأسمدة.

ليس هذا هو فقط ما حققناه من مخلفات الزارع، فقد حققنا
استفادة أخرى حينما لجأنا إلى تصنيع الأعلاف من مخلفات
الأشجار. فهناك ما يزيد عن المليون شجرة والمعروف أن الأشجار
تحتاج خلال مراحل زمنية محددة إلى عمليات تشذيب طويلة من
أجل تهيئتها للإنتاج. والناج من هذه العمليات قد يتجاوز المائة
كيلو من كل شجرة ما بين أوراق وأغصان وغيره.

وأمام هذه الأطنان من المخلفات كان لابد من إيجاد صيغة

مناسبة للفضاء عليها والاستفادة منها في الوقت نفسه بدلاً من حرقها وتلويث البيئة بها، وهكذا رأينا ضرورة الاستفادة منها بطحنها خاصة أننا وجدنا أنها تحتوي على بروتينات ومواد غذائية مفيدة.

ومن أجل ذلك أجهنا إلى استيراد إحدى مكائن الطحن من الخارج وفي سبيل تهيئتها لطحن كل هذه المخلفات قمنا بتصميم أخريات مشابهة لها، ولكن بأحجام كبيرة، وتكلفة أقل، وهكذا أعملنا عقولنا في الاستفادة من الغير بدلاً من الاعتماد عليه في كل شيء، ونحن خلال مدة وجيزة في تشييد مصنع متكامل لصنع الأعلاف من مخلفات الأشجار، وهو ما يكون المصنع الوحيد الذي يحقق هذا الإنتاج في المملكة العربية السعودية.

إذا كنت بهذا قد حققت ما رميت إليه، وهو الاستفادة التامة عن الأسمدة الكيماوية، فإنني رأيت أنه من الأجدي كذلك الاستفادة تامة عن المبيدات بأنواعها جميعاً.

فمعظم المزارع تستخدم في العادة ثلاثة أنواع من المبيدات للتخلص من الحشائش والأعشاب الصغيرة والحشرات والآفات المختلفة الضارة وفي سبيل التخلص منها نتسابق شركات المبيدات في صنع الكثير منها غير عابئة بما جلبه هذه المبيدات من أمراض ومخاطر على جسم الإنسان.

فالمبيدات التي تستخدم للتخلص من الآفات التي تصيب

أشجار الفاكهة مثلاً تمتد أثمارها إلى ما دون الخيشة إلى جذورها. وفي أحيان أخرى إلى جذعها وأوراقها. وهذا بدوره يجعله يصل إلى ثمرها. وهنا تكمن خطورته على الإنسان الذي يأكل حينما يتناولها بطريقة غير مباشرة كمية غير قليلة من السموم الموجودة في المبيدات. ولعل هذا أيضاً ما يحدث حينما يستخدم المزارعون المبيدات الخاصة بحرق الأعشاب والحشائش الصغيرة التي تنتشر وسط حقول الطماطم وغيرها من الخضروات.

فكرت أنا ومجموعة من الفنيين بالتخلص من هذه الأعشاب يدوياً فقمنا بتخصيص عمالة خاصة لهذه المهمة. وكانت النتيجة إيجابية. لأننا استطعنا بتوفيق الله التخلص من هذه الأعشاب. وفي الوقت نفسه عملنا على الاستفادة منها باستخدامها كعلف لقطعان الأنعام التي تقوم بتربيتها كالإبل والغنم والنعام. وهكذا استطعت توفير جزء من ميزانية التغذية لها بدلاً من شرائها من الأسواق.

أما المبيدات فإننا قد استطعنا استخدام أساليب أخرى مبتكرة في سبيل الاستفادة عنها كاستخدامنا لبعض أنواع الحشرات

هذا التفكير وهذا الجهد الذي بذلناه حقيقته لم يكن في سبيل توفير بعض من ميزانية هذه المشاريع. أو بخلأ منا في الإنفاق عليها وإنما كان القصد منه بجانب تحقيق مفهوم الاقتصاد في

الإتفاق الذي نادى به الإسلام هو تحقيق مفهوم الأمن الغذائي الكامل فصحة الإنسان وقوته في رأيي مهمة ليس لنفسه فقط، وإنما لدينه ولوطنه، فعندما يكون الإنسان صحيحاً معافى فإنه سيصبح قادراً على خدمة هذين العمودين الأساسيين. كما أنه سيوفر لبلاده ولأهله الكثير من الأموال التي تنفق في المجال الصحي. وهذا كما قلت سابقاً لا يأتي إلا من خلال تناول طعام صحي نظيف. وهذا ما عملنا على تحقيقه من خلال هذه الثورة.

وبفضلاً عن ذلك فإننا بهذا العمل قد حققنا شيئاً مهماً، هذا الشيء هو الخروج من مرحلة الجمود والركون التي ظلنا نعت بها ما يعرف بالعالم الثالث، فمن خلال النشاط والمناخية اللصيقة التي مارسناها استطعنا إيجاح مشاريعنا بدلاً من الاعتماد فيها على الغير دون مراقبة وبدلاً من استخدام أدوات الغير دون النظر في عواقبها.

لقد تفج عن كل هذه التغيرات التي أحدثناها التوصل إلى خفض التكلفة، وإعادة تدوير لخلفائنا وصحة مبرة لأبداننا وحتى لا يفهم الآخرون أننا قصدنا بهذه الجريئة التسويق أو الدعاية، فإن أي إنسان يستطيع أن يعرف الفرق بين المنتجات الزراعية المنتجة بالأسمدة الكيميائية والأخرى المنتجة بواسطة الأسمدة الطبيعية.

المنتجات الأخيرة خافض على رونقها وطبيعتها وقوتها مهما امتدت مدة التخزين لها. على حين تعاني الأولى المنجحة بواسطة الأسمدة الكيميائية من مشاكل كثيرة أقلها الذبول وامتلأؤها بالماء في داخلها. وكثير من الناس يخدعون بشكل هذه المنتجات حينما يقومون بشرائها: إذ تبدو كبيرة ولضرة: لأنها تمت تربتها أو إنتاجها بمواد غير حقيقية. ولعلاج مثل هذه المقارنات قمنا نحن في شركائنا باستخدام الأسمدة الطبيعية بموازات معينة للوصول إلى هذه الأحجام والأشكال ومن المؤكد أن الجميع سيصلون في يوم قريب إن شاء الله إلى هذه اللحظة التي تمكنا - ولله الحمد - من الوصول إليها. وهي العودة إلى الطبيعة.

وادي الدواسر .. عناد الأرض

الذي يدخل عالم المال والأعمال، ويتعرف على تفاصيله وجزئياته، يعرف أن دروبه وطرقه مليئة بالكثير من المصاعب والمأزق والمقاعب، وأنه ليس كما يتخيل الكثيرون عالم صريح وسلس .. لا يتطلب من مارسه كثير تعب وتُضَيِّب .. وأنه عالم بلازم فيه ممارسة النجاح على الدوام. إنه ليس كذلك على الإطلاق .. هو صورة من صور الحياء، لأنه يقع ضمن صورة تتنوع فيها الجزئيات وتختلف، فيحقق الذي يعمل فيها أحياناً الكثير من النجاح بقليل من التعب وأحياناً أخرى قليلاً من النجاح بكثير من التعب، لكن ذلك لا يعني عدم تساوي أطراف المعادلة في أحيان أخرى أو تفاقمها تماماً.

وأما كان نالها، فإن الأمر لا يعدو أن يكون في المقام الأول شيئاً يريد الخالق سبحانه وتعالى ويعلمه، ومن ثم يتوقف على من يحرك خيوط هذا العالم - عالم المال والأعمال - ويدير حركته، ويخطط له، وينفذ جميع خطوطه العريضة والدقيقة بتفاصيله الكثيرة.

في تفاصيل بناء مشروع النالت - مشروع وادي الدواسر -
الذي يقع ضمن الشركة الوطنية الزراعية شيء من هذا المشهد
الذي سررت بعضاً من أحداثه.

مثل غيري توجهت منذ وقت بعيد لتأسيس بعض المشاريع
الزراعية في وادي الدواسر. حينما علم الناس وأنا واحد منهم أن
هناك مياه كثيرة.

لم أكن وحدي .. كان هناك أخي صالح الذي اشترى أرضاً زراعية
أيضاً. وفي أوقات لاحقة قمت بشراء أنصبته. ولكن العملية لم
تكن بهذه السهولة. فقد واجهتني عاصفة من المشاكل. بعضها
مع ملاكها الذين اشترت منهم وبعضها حينما أردنا بيعها.
فاكتشفنا انخفاض أسعارها وبشكل كبير إلى ما دون الربع وصولاً
إلى رفضها. وحينما فكرنا في العمل على ما تبقى معنا من أرض
اكتشفنا عناد تربتها بالرغم من كثرة مائها..

في منطقة سران كان الحصول على الماء متاحاً وسهل التال
وقليل التكلفة. وفي المقابل كانت الثروة تنبذ على أرض حجرية
كثيرة الحصى تتطلب منا جهوداً مضنية من أجل تحضيرها. وهذا
ما تطلبته أيضاً أرض منطقة العبيدة التي وجدنا فيها تربة
صلية تتبدل إلى حصية في بعض أجزائها. أما منطقة وسيلة
فإننا واجهنا المشهد مغلوباً لقد وجدنا تربة طيبة وخصبة. لكننا

فوجدنا بعد ذلك، وكان ذلك يعني لنا صعوبة الحصول عليه بما
يعني تضاعف التكلفة.

هذه المشاكل والمتاعب التي واجهتنا في عمليات تأسيس وبناء
المشروع تطلبت منا بذل الكثير من الجهود للخروج بالمشروع من
نفق الموت، وترتب على ذلك إنفاق الكثير من الأموال في تجهيز
وتخصير تربتها

قمنا بحفر ما يزيد على المائتي بئر، وقمنا في الوقت نفسه
بتجهيزها بكل مستلزماتها من ماكينات ضخ ومحابر رش
بالإضافة إلى تجهيز عدد من الصوامع والجرارات.

وفي موازاة ذلك تفاجأنا بعدم التوفيق في الإدارة المناسبة
للمشروع التي اضطرتنا إلى الرضا بما هو دون المستوى، والخبرات
زمنية طويلة؛ بسبب عدم تمكننا من توفير الإدارة المناسبة..

كنت - خلال كل هذه الفترة - على إقتناع تام بأن المشروع في
حاجة ماسة إلى إدارة قادرة على الإمساك بالأطراف جميعها، وقادرة
في الوقت نفسه على إدارة كل الجوانب والخطوط والتفاصيل ومن
لم العبور بالمشروع من داخل النفق، وحينما توفرت الإدارة تحقق ما
كنت على إقتناع به.

لقد حقق الكثير من النجاحات، ففي سنوات قليلة وصل

المشروع إلى نقطة الصفر بعد أن كانت خصائره باللايين. ولم يقف عند هذا الحد، بل استنطعنا الفجر فوق ذلك، فحققنا أرباحاً جيدة في وقت كانت معادلات العملية الزراعية قد انقلبت تماماً. فحينما كنا نغرق في المتاعب الكثيرة للمشروع كانت أسعار القمح تتزايد باطراد في الأسواق المحلية والعالمية في مقابل انخفاض كبير في أسعار الديزل المحرك الأساس لمعداتنا في المشروع. في حين تغيرت المعادلة اليوم، حيث انخفض سعر القمح، و زاد سعر الديزل، وبرغم ذلك استنطعنا تحقيق بعض الأرباح الجيدة بتوفيق الله.

ولعل هذا ما دفعنا إلى التوسع في بناء المشروع. والتنوع في منتجاتنا، فصنع القمح وأشجار النخيل ثمنا بزراعة العنب الذي ابتدأنا فيه بزراعة ما يقارب الـ (١٠ ألف) بنة تؤتي ثمارها في أوقات مناسبة وسابقة لزعتي الفصيص والجوفه فأكسبتنا وجوداً شبيه دائماً في أسواق العنب، والشيء نفسه حقق لنا من زراعة أشجار النخيل التي تنجح مموراً من أنواع مختلفة كالبرحي والشفراء والمسكري وغيرها.

بجانب ذلك نقوم بزراعة الترسيم والسدر والوردس وهو نوع من الأعلاف وفي محاولة للتنوع في هذا المشروع أجهنا إلى تربية وتسمين الأغنام السودانية (سواكني)، وبالرغم من كل هذا التنوع إلا أننا لم نلجأ إلى التوسع بصورة أكبر لعدم وجود ما يشجع على ذلك. كما أننا اكتفينا بما قمنا بصرفه في السنوات الأولى من

التأسيس، ومع ذلك ظهر المشروع مكتمل البناء نسبياً، فهناك ورش تؤدي مهام محددة ومستودعات وصوامع ومساكن للعاملين ومكاتب إدارية.

باختصار.. هناك ما يكفي للاستمرار في المشروع وعدم التخليص منه بالبيع؛ لأن ذلك سيعمل على مضاعفة الخسائر. فلن يبلغ مجموع ما سيدفعه المشتري أكثر من ٧٥٠ من مجمل ما قمنا بدفعه في أثناء عمليات التأسيس والبناء. وهذا ليس بأفضل من الاستمرار في الاستثمار فيه وخاصة إذا نظرنا إلى الأرقام التي بدأت نتحقق.

الروبوتات ... الخيار .. المفاضلة .. التحدي

مجرد خاطرة عابرة مرت بذهني ذات يوم. وهي فكرة إنشاء مشروع متخصص لإنتاج الروبوتات ..

ولأنني يومها لم أكن أملك سوى معلومة واحدة عن هذا المنتج هي اسم الشخص الأشهر تخصصاً بالملكة العربية السعودية في إنتاجه، تركت الأمر حتى يقضي الله أمراً فيه .. وحينما أراد الله سبحانه وتعالى بشفه لي وفتح لي بابه.

ذات يوم من أيام عام ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م رتبني ناصر بن محمد السبيعي بالحيط الوحيد الذي أعرفه وهو المهندس أحمد البلاع. هاتفني ناصر يريد مقابلي هو والمهندس أحمد. ولما كنت جاداً في الأمر ضربت لهما موعداً على الفور.

كان المهندس أحمد البلاع حينها بحصول خبرة كبيرة في هذا المجال امتدت لسبع عشرة سنة فضاها في تربية وإنتاج الروبوتات.

وكان وقيل اجتماعه معي بملك مع عائلته "البلاغ" مشروعات
متخصصين في هذا المجال:

الأول مشروع صغير أمضى فيه سنواته السبع عشرة يجرى
ويتعلم.

أما مشروعه الثاني الذي يسمى مشروع البحر الأحمر فقد كان
ملك ٢١٠ من أسهمه، بينما كان الباقي وهو ٢٤٠ ملكه شركاء
آخرون معه، منهم شركتان يابانيتان. وشريك ثالث من أحد أفراد
عائلة بشتان.

وحيثما اجتمعنا بعد ذلك بأيام أفاض المهندس أحمد البلاغ
في تجربته مع إنتاج الروبيان، وتحدث عن مستقبله ودعم حديثه
بالأرقام والعلوم الكاملة، وبعدها تفرقنا.

أخذت وقتاً كافياً في التفكير، وحيثما استنظر رأيي على خوض
التجربة هانفت ناصر السبيعي وأخبرته بقراري الذي اشترطت
قبوله الدخول كطرف ثالث. وقد كان فتقاسمنا نحن الثلاثة
نسبة الـ ٢١٠ التي يملكها أحمد في المشروع بالتساوي. وقبل
توقيع العقود تمت باستشارة معالي وزير الزراعة د. عبدالله بن
معمر، فنصحتني بالظني قديماً فيه، وشجعتني عليه، بل شدد
على أهميته واستعداده بالدعم للإفاحه.

خلال أيام قمنا بتوقيع العقود. ودفع كل منا حصته وفقاً للنسب التي حددناها وهي ٢٢٪ لكل واحد منا.

وفي الوقت نفسه حددنا المهام الوكيلة لكل فرد منا. اخترت لرئاسة مجلس الإدارة. بينما اختير المهندس أحمد البلاغ ليكون المدير العام للمشروع بحكم خبرته وتفرغه للعمل. وأخذت الإجراءات النظامية الخاصة بالمشروع منا وقتاً من الزمن امتد عاماً كاملاً وكان وقتها المشروع بشكله الصغير بعدد تسعة كيلو مترات عن مدينة الليث التي تبعد (١٧٠) كيلو متراً عن مكة المكرمة.

في البدء كنا نعتقد أن المشروع غاية في البساطة خاصة أنه كان يعمل بشكل جيد. وكنا نسعد لتحديثه وتوسيعه بإضافة (٩) مشاريع أخرى كانت وزارة الزراعة قد سلمتها لنا في وقت لاحق. وحينما اكتشفنا نفوق كميات كبيرة من الروبيان بسبب بعض الأمراض التي ظهرت فجأة كنا في ذلك الوقت قد شرعنا في تجهيز البنية التحتية للمشروع الذي قدرت تكلفته إنشائه بـ (٦٠٠) مليون دولار. وكان ذلك - أي النفوق - مؤثراً خطيراً لنا. لكنه في رأيي كان خيراً كثيراً لنا من الله سبحانه وتعالى، لأنه جاء في وقت مناسب قبل الشروع في تطوير المشروع.

وهكذا جلسنا جميعاً أنا وبقية الإخوان والفنيين وبدأنا في مناقشة الأمر والبحث عن الحلول وبطبيعته الحال ركزنا على أساس

المشكلة، فوجدناها بعد مناقشات وبحوث طويلة أنها تتركز في النظام الذي يقوم عليه المشروع.

يقع المشروع قريباً من البحر حيث يؤخذ منه الماء النظيف اللازم لعمليات التريبة والإنتاج عبر قناة واحدة، ومن بعد أن تنتهي دورة التريبة والإنتاج يذهب المياه المستعملة والملوثة بالقرب من نفس المكان الذي تؤخذ منه المياه النظيفة. وهكذا تؤخذ المياه من نفس المكان على أنها مياه نظيفة إلى المشروع إلا أننا أكتشفنا بأن الماء الذي نأخذه كان ملوثاً لقربه من فتاة التصريف.

اتفق الجميع على أن أساس المشكلة يتبع من هذه العملية وعلى هذا الأساس بدأنا في البحث عن الحلول التي استثمرت ستة أشهر. وفي هذه الأثناء وجهني وزير الزراعة د. عبدالله بن معمر إلى معاينة بعض التجارب المطبقة لئلا هذه الأنظمة في مشروع الأسماك بجيزان ومركز البحوث في جدة، وخرجت من مشاهداتي بنفس النتيجة أن أساس المشكلة يكمن في تلوث المياه.

ولأن تجارب الآخرين تحري الأفكار وتفيد الإنسان قررت القيام بجولة حول العالم لمشاهدة المشاريع الماثلة والرائدة في هذا المجال.

استهللنا جولتنا بنابلاتد أنا والمهندس أحمد البلاع حيث قضينا فيها يومين كاملين نسجل بالورقة والفلم والكاميرا كل

التفاصيل الموجودة في مشاريع الروبيان الكبيرة هناك. وزدنا عليها حينما قمنا بزيارة مصانع الأعلاف والفاسات والخصبات والأمهات وأنواعها. والشيء نفسه فعلناه حينما ذهبنا إلى اندونيسيا حيث قطعنا مئات الكيلومترات من أجل الغرض نفسه مستخدمين في ذلك جميع العلاقات لإجاز مهامنا. ومن هناك طرنا إلى أمريكا ثم الإكوادور التي تمثل مشاريع كبيرة ومجهزة تجهيزاً شاملاً فاستخدمنا طائرتهم الخاصة لمشاهدة التفاصيل التي استفدنا منها كثيراً فيما بعد. ومن الإكوادور طرنا إلى دول أوروبا في جولة خاصة للبحث عن الأجهزة والماكينات الخاصة بتجهيز الروبيان ومضخات المياه ومصانع الأعلاف. وحينما رأينا أن ما جمعناه من معلومات كافياً قلنا عائدین إلى البيت.

الآن وقد جمعت لدينا الكثير من المعلومات تفاصيل الأنظمة، وطريقة العمل ومشاكلها وسلبيات هذه المشاريع وإيجابياتها وغيرها من معلومات أخرى كنت اختزنتها في عقلي. بدأنا معاً مرة أخرى في التحليل والغربة والبحث عن أفضل الحلول. وكنا في البدء نود القضاء على كل السلبيات الموجودة في أنظمة المياه الموجودة في المشروع وهذا هو أهم شيء.

باختصار كنا نبحث عن طريقة تضمن لنا أخذ مياه البحر النظيفة والاستفادة منها. ومن ثم إرجاعها إلى البحر وهي نظيفة. وبهذا تضمن خلو بيئة المشروع والبيئة الخارجية من أي

تلوثات أو مشاكل

وبالإجماع قررنا شكلاً جديداً للنظام بنينا أساسه على تلافي المشاكل السابقة والحصل الاختلاط الذي يحدث للمياه الداخلة والخارجة.

كان النظام الجديد يستمد مياهه بواسطة قناة رئيسية مددناها إلى مسافة (١٧٠٠) متر داخل البحر من جهة الشمال باتجاه الرياح بهدف أخذ المياه من الأماكن العميقة بدلاً من المياه الضحلة على ساحل البحر الأحمر. وركبنا فيها مضخات مصممة خصيصاً لضخ ورفع الماء من البحر بمعدل تسعين متراً مكعباً في الثانية إلى القناة. وخصصنا هذه القناة التي يبلغ طولها داخل المشروع نحو ٢٥ كيلو متراً لضخ المياه النظيفة للمشروع، وجعلناها على ارتفاع ثلاثة أمتار وبعرض ما بين مائة وخمسين متراً إلى مائتين. وأخرجنا من هذه القناة الرئيسية عدة قنوات فرعية بارتفاع ٢٥ متراً تمتد على سطح الأرض لتصب في النهاية بأحواض الروبيان.

وفي المقابل - وللتخلص من المياه المستخدمة - قمنا بإنشاء قنوات فرعية خارجة من الأحواض ومنصلية بالقناة الرئيسية التي تمتد مسافة خمسة وأربعين كيلو متراً بتفص مواصفات القناة الأولى. من أجل حذف المياه في البحر باتجاه الجنوب عكس اتجاه الرياح كما هو الحال في جميع المنطقة الغربية في المملكة العربية السعودية. ولكي نضمن نظافة المياه الخارجة قمنا بتنظيف المياه

تماماً وعلى مراحل. ففي البدء تقوم بتنظيف جزء منها في حدود ما بين ١٠٪ إلى ٤٠٪ وذلك قبل صبه في القنوات الفرعية التي ملأناها بأنواع من الأسماك البحرية كأسماك البلطي بحيث نتغذي على بقايا الخلفات والقضلات ومن ثم تنظف بذلك جزءاً آخر من المياه: ولإكمال عملية التنظيف جعلنا في نهاية كل قناة فرعية أحواضاً ملأناها كذلك بأنواع من الأسماك نقوم بالتخلص مما تبقى. وهكذا تكون المياه عند صيها في القناة الرئيسة ومن ثم في البحر نظيفة تماماً.

وفي أثناء نقاش هذه الخطط اتفقا على جعل جميع الأحواض والقنوات مفتوحة وجعلها على سطح الأرض بدلاً من أن تكون داخل الأرض. كما كان في السابق. وعلى ضوء ذلك قمنا بتجهيز كافة الخرائط والبيانات.

وقبل التنفيذ رأيت ضرورة استشارة أهل الخبرة في هذا المجال. وبالبحت وجدت أن أفضل خبر في هذا المجال هو عالم أمريكي يقدم استشاراته. مقابل أجرة يومية تبدأ منذ صعوده إلى الطائرة إلى حين عودته. وقد وافقت على ذلك. وقمنا بالاتصال به. وحينما قدم ودرس جميع الخرائط والبيانات والبرامج التي قمنا بتصميمها.

سألنا عن الشخص الذي قدم الفكرة.

فقال له المهندس أحمد البلاخ. هي خلاصة أفكارنا وشاورنا فيها

مع رئيس مجلس الإدارة. فأعاد الرجل وبالصفحة ذاتها سؤاله عن الشخص الذي قدّم الفكرة.

وكان واضحاً أن الخبير الأمريكي قد أعجب بالفكرة لدرجة تصنيفه لها بأنها الأمير على الإطلاق. وكان صادفاً عندهما جرد وقال: إنه لم يسبق له أن توصل إلى مثلها من قبل. وشجعنا على العمل والتنفيذ وأكد لنا أن المشروع بهذا النظام هو الأفضل على مستوى العالم.

قضى الرجل معنا سبعة أيام ورجل. غير أنني كنت ما أزال عند رأيي بضرورة مشاورة أهل الخبرة. فالأمر جد كبير. وسننتقي عليه أموالاً طائلة. ومن الأفضل معاودة البحث عن خبراء آخرين خلاصة أن العالم الأمريكي الذي سبق استشارته متخصص في نوع واحد من الروبيان هو الروبيان الأبيض. وفي العالم مئات الأنواع من الروبيان يوجد منها ستة فقط في المملكة العربية السعودية. منها روبان رأس النمر الذي يبلغ وزنه أربعين غراماً.

بحثنا عن خبير متخصص في مثل هذا النوع من الروبيان فوجدناه فرنسباً. فطلبناه على الشروط السابقة أي الاستشارة باليوم. فجاء الخبير وذهب إلى ما ذهب إليه سلفه تماماً. بل كان أكثر جرداً حينما قال إن من عليه أن يدفع أجر هذه الاستشارة هو نفسه، لأنه - من وجهة نظره - نعلم الكثير من هذه الفكرة.

فكرة مميزة، بل هي الأميز برأي الخبيرين الأمريكي والفرنسي. والأفضل لتجاوز أي وضع كارثي. والأحسن لإنتاج روبيان صحي سليم معافى.

ماذا نتنظر إذن؟ لقد توصلنا إلى إقتناع بجدوى المشروع، وشرعنا في تنفيذ جميع خططنا الجديدة وألغينا في الوقت نفسه جميع المخططات القديمة والحفريات السابقة التي أخذت منا زمناً طويلاً امتد إلى سنة أشهر.

بدأنا العمل بمحطة الكهرباء والأحواض ومصنع التدريج والأعلاف وغيرها. وبالطبع سبقت بعضها البعض. وفي كل ذلك كان اهتمامنا ينصب على مراعاة الحفاظ على البيئة.

ففي محطة الكهرباء مثلاً التي تغذي المشروع بالطاقة اللازمة هناك فاقد حراري يتمثل في الأبخرة والدخان ومياه التبريد وغيرها. فقمنا بالاستفادة منه في غلية مياه البحر الذي نحتاج إليه في جميع فروع المشروع من عاملين ومصانع وغيرها. وبهذا وفرنا على المشروع الكثير من الأموال التي كان يمكن أن نذهب لشراء المياه الصالحة للشرب. كما حمينا في الوقت نفسه البيئة من هذه الملوثات. وزيادة على هذه الفائدة سنعمل إن شاء الله على الاستفادة مستقبلاً من فائض هذه الأبخرة في إنتاج المياه للغطيرة لمطاريات السيارات.

أما مصنع التدريج الذي من خلاله نقوم بتصنيع وتجهيز الروبيان

فإننا منذ البدء خططنا إلى جعله مصنعاً أوتوماتيكياً يعتمد في خطوطه جميعها على الآلة. لا سيما أننا رأينا من خلال المشاريع التي زيناها احتياج مثل هذه المشاريع لأعداد كبيرة من العمال، وفي الوقت نفسه علمنا أن الروبيان حساس للغاية. فمن الممكن أن تؤثر كثرة الأيدي عليه ومن أجل ذلك بدأنا بالاتصال والمشاورات بعدد من الشركات وبيوت الخبرة في العالم من أجل توفير مصنع بهذه المواصفات وفادر في الوقت نفسه على إنتاج ٦٠ طناً من الروبيان يومياً.

خططنا للاستفادة من جميع الأفكار التي قدمتها لنا مجموعة الشركات التي اتصلنا بها في أنحاء العالم حتى إننا قمنا باستبعاد الاستشاري الذي تعاقدنا معه على إنجاز فكرتنا حينما فشل في الوصول معنا إلى ما نريد، وفي النهاية حققنا ما ذهبنا إليه وأنشأنا المصنع الذي نريد، واختصرنا أعداد العمالة الهائلة إلى ما دون المئتين عامل فقط وهذا ما لا تجده في أي مصنع للروبيان في العالم.

إلى جانب هذه الأشياء شرعنا في وقت مبكر في إنشاء الأحواض الخاصة بتربية الروبيان. وقمنا بتصميم وتجهيز نوعين منها، أحدهما صغير زودناه بمراوح التحريك المياه من أجل الأكسجين اللازم للروبيان وقمنا بتصميم الحوض إلى أمتار مربعة في كل متر مربع وضعتنا ما بين ١٥-٢٠ روبiane. أما الحوض الكبير الذي

بلغت مساحتها (١٥٠ × ٥٠) متراً مربعاً فلم تزد به بأية مراوح لكبر مساحتها. وتمكن الروبيان من أخذ الأكسجين اللازم له مباشرة من الهواء. وضعنا فيه ما بين ٨-١٢ روبيان في المتر المربع. وذلك لقلّة الكثافة.

هذه الأحواض باختلاف أحجامها أعدت لتكون مكاناً آمناً لتربية الروبيان. حيث تمر بمراحل عدة. ففي العادة يتم اصطلياد الأنثى (الأم) من البحر مباشرة وتعتبر عملية الصيد هذه شاقة للغاية. إذ يظل الصيادون في كثير من الأحيان يبحرون بزوارقهم لأيام من أجل الحصول على أم واحدة من بين مئات الآلاف من الروبيانات التي يصطادونها. لذا تعد عملية الصيد هذه مكلفة للغاية. زيادة على أنها تحتاج إلى فنيين مهرة قادرين على تمييز الأم الصالحة للتزاوج من غيرها. وهي عادة ما تكون كبيرة بعض الشيء. ومن أجل هذا أيضاً نفكر بحديث في تربية الأمهات مستغنياً داخل المشروع بدلاً من اصطليادها.

عقب الحصول على الأم نقوم بوضعها في أحواض خاصة تسمى بأحواض الأمهات. حيث تحدث عملية التزاوج بينها وبين الذكر. وتبدأ الأم بعدها بتكوين البيض الذي تحتفظ به في ظهرها إلى أجل غير مسمى. وللأسراع بعملية التكوين هذه يقوم الفنيون بقص عينها قبل الهرمون الذي يمنع تكوّن البيض. فتسرع أنثى الروبيان بلفظه إلى الخارج.

يختلف عدد البيض الذي تنتجه أنثى الروبيان من نوع إلى آخر. فأنثى روبيان رأس النمر مثلاً تنتج في المرة الأولى ما قد يصل إلى نصف مليون بيضة يتناقص إلى النصف في المرة الثانية. في حين يصل في المرة الثالثة وهي الأخيرة إلى مائتي ألف بيضة. أما أنثى الروبيان الأبيض فإنها تنتج في المرة الأولى ما بين خمسون ألفاً إلى مائة ألف بيضة ثم تقل حتى تصل إلى ما بين ٥٠ ألفاً إلى ٨٠ ألف بيضة في المرة الثانية وهي الأخيرة.

يخضع من هذه الأعداد الكبيرة فقط ما يعادل ٢٥-٢٠٪ حيث يتم غسلها بطريقة معينة وتطهيرها من جميع الميكروبات والجراثيم قبل أن توضع في ماكينة الغفاسنة. التي تقوم بغرس ما يعادل ٢٠٪ فقط منها أو دون ذلك. فتتكون اليرقة التي لا ترى إلا بالمجهر حيث توضع في أحواض خاصة. وتغذى بأعلاف خاصة لمدة أسبوع واحد قبل أن تنقل إلى الأحواض الأخيرة التي تظل فيها ستة أشهر لتكون في النهاية جاهزة للأكل. وفي أثناء هذه الفترة التي تمتد ثمانية أشهر بجميع مراحلها تغذى الأم واليرقة والروبيان الصغير بأعلاف خاصة. وقد أنشأت لها مصنعاً خاصاً تحت إشراف شركة سويسرية متخصصة هي الأفضل على مستوى العالم. ولهمنا باختيارها من بين عدة شركات، ونستخدم الشركة السويسرية أفضل التقنيات الموجودة في العالم لإنتاج العلف الخاص بالروبيان. حيث يصنع بطريقة مبتكرة لجعله صالحاً للأكل لمدة أربع وعشرين

ساعة على عكس ما هو موجود في المشاريع العالمية الأخرى التي تنتهي صلاحيتها في فترة تتراوح ما بين ٦-٨ ساعات فقط. وبهذه التقنية استطعنا الحفاظ على مياه الأحواض وحمايتها من التلوث الناتج من هذه الأعلاف. بالإضافة إلى تقليل كمية الفاقد وانخفاض تكلفة التغذية. وتتم عملية تجهيز الأعلاف بإضافة الدهن بنسبة ١٠٪ للأعلاف بطريقة معينة ليغطي الروبيان طاقة حرارية جيدة تمكنه من الحركة والنمو بالإضافة إلى إعطائه مناعة قوية من الأمراض. فالروبيان يتغذى على غذائه عن طريق حاسة الشم.

وإن مساحة المشروع وصلت الآن إلى ٦٠ كيلو متراً مربعاً. تعمل في نصفها تقريباً. وجاءت هذه الزيادة حيثما رأينا تأمين البيئة الخاصة بالمشروع من جهة الشمال خوفاً من التلوث. وقد دعمت الدولة على جميع مستوياتها هذا المشروع الذي يتوقع أن يحقق دعوى الله وتوفيقه مردوداً يفوق الـ ٤٠٠ مليون دولار سنوياً. وقد كان هذا الدعم مشجعاً دال لنا جميع العائلات. وقدم لنا تسهيلات كثيرة كالإعفاءات الجمركية والقروض اللازمة وكان معالي وزير الزراعة السابق د. عبدالله المعمر يتابع معنا مراحل المشروع منذ بدايته حتى نهايته.

التعلم من التجارب

الحياة مدرسة كبيرة وعالم المال والأعمال أحد نماذجها العديدة. بل هو نموذج مثالي: لأنه نتاج من التجارب المتباينة. وهي في الوقت ذاته مدرسة كبيرة للتعلم من طعم التجارب الناجحة والفاشلة. والأخيرة هي الأهم لمن أراد التعلم وعرف كيف يأتيها برغم مرارتها في كثير من الأحيان.

والفشل عندي لا يعني أبداً نهاية الطريق، كما أنه لا يعني الإسراف في هموم. فهو عندي فلسفة خاصة ونقطة انطلاق جديدة. وفي المقابل عنت لي تجارب النجاح الكثيرة التي لم تجعلني أركن إليها وأكتفي بها. بل كانت لي وقوداً جديداً لمواصلة المسير. وفي سنوات عملي الطويلة مررت بالكثير من التجارب الناجحة منها والفاشلة، وجميعها سخّرتها من أجل النجاح.

في تجربتي بمشروع دواجن الوطنية دروس كبيرة فأنا أذكر أنه حينما أسست مع عبدالعزيز السديس لم أكن أتدخل بأي

الأمر، وحينما مر عليه حين من الزمن اكتشفت خسارة المشروع. وكان السبب نفوق أعداد كبيرة من الدواجن ما جعلني أضطر إلى فضس الشراكه. وتوليت الإدارة أنا وأبنائي. وبدأت بالبحث عن الحلول للخروج من المشكله بدلاً من التوقف. لأن الأمر كان عندي هدفاً، وبالمحصله وجدت أن أساس المشكله يكمن في مجموعه من العاملين الفنيين في المشروع الذين كانوا غير جادين في أداء أعمالهم.

سعت أولاً للتخلص منهم. ومن ثم بدأت بإحداث عدد من التغييرات والتحويلات والتعديلات الكبيرة في برامج العمل. وخلال سنوات انتقلنا بالمشروع إلى بر الأمان. فتحوّلت الخسائر الكبيرة إلى أرباح عظيمة.

نفوق أكثر من ٢٥٠ من الدجاج في أي مشروع خاص بالدواجن يعني وضعاً كارثياً. ومن ثم يعني نهاية المشروع لا محالة. ولعل هذا ما يتضح حينما نعرف أن الحكم على مثل هذه المشاريع بالخسارة حسب المعايير العائليه تبدأ حينما تصل نسبة النفوق إلى ١٠٪ فقط. فما بالك بـ ٥٢٥٠.

حينما فشلت في هذه التجربة وفي غيرها كما ذكرت، لم أنسحب بل قمت بمراجعة عوامل الفشل وحينما قمت بتحليلها ودراستها اتخذتها كقاعدة جديدة للانطلاقه.

هذه الانطلاقة كانت في إحداث عدد من التجديدات في المشروع كانت في الاتجاه الصحيح وبسرعة أجهنا نحو الحلول بدلاً من إضاعة الوقت الطويل في المشاكل وتأليب العاملين وإلقاء اللوم جرافاً

ولعل هذا أيضاً ما قمت به في مشروع الروبيان حينما اكتشفنا نفوق أعداد كبيرة منها، وللحقيقة فإن تجربة هذا المشروع كانت عندي ثرية جداً فكانت المعلومات عندي قليلة جداً، بل تكاد تكون معدومة، وحتى عندما جمعت بعضها رأيت ضرورة الاستزادة لإكمال الصورة، فقد استخدمت التفكير الإيجابي وشققت الطريق بنفسه عالية برغم أن المؤشرات الأولى للمشروع كانت سلبية تماماً.

جمع المعلومات والبحث عنها استغرق جهداً كبيراً ووقتاً طويلاً. وتطلب مني الدوران حول العالم للاستفادة من خارب الآخرين. كما تطلب مني ستة أشهر أو تزيد من الصبر لمعرفة السبب، وفي النهاية استطعت الوصول بفضل الله إلى الهدف، لقد كانت الخبرات التي وصلت إليها إبداعية برأي أكرم الخبراء في العالم الذين اعترفوا باستفادتهم منها. وفي هذا درس آخر مفيد كنت قد تعلمته سابقاً. وهو التعلم من الغير مهما كان هذا الغير بسيطاً. وقد ضرب هؤلاء الخبراء في ذلك مثلاً، فبرغم المعلومات الهائلة التي يحملونها فإنهم تواضعوا واعترفوا حينما وجدوني أقدم لهم نموذجاً مبتكراً من الحل وأنا بعد ما كنت تلميذاً في هذا المجال.. وهذه

نصيحته أكررها دائماً أن لا ننحالي في اكتساب المعرفة والخبرة.

ومرة أخرى أرى أن فضل تجربة لا يعني النهاية. وقد يغفل أحدنا في مشروع ما أو في مجال ما وينجح في حفل آخر لأن كل إنسان في هذه الدنيا مُبصر لما خلق له.

أذكر أنه في إحدى المرات أحببت الدخول إلى عالم التجارة وبغوة. وذلك لأنني كنت أمارسها من قبل في حدود ضيقة فكنت أقوم بالتجارة في بعض البضائع كالأفقال والسكر والشاي والأرز وغيره. وكانت إذ ذاك مجرد جارب بسيطة أفادتني أرباحها كثيراً وهكذا رأيت أن أخوض التجربة بكل ما أوتيت من جرأة.

قصت بشراء حمولة باخرة كاملة من السكر والشاي والأرز. وحينما استغفرت بين يدي لم أجد من أبيعها عليه إذ كانت تجارتها كاسدة في تلك الأيام. فاضطرت إلى التخلص منها بخسائر كبيرة. ولكنني لم أنسحب نهائياً من هذا العالم. لأن الانسحاب يرأسي يعني الفشل فجلست وحدي. وبدأت في التفكير وفي مراجعة جميع معاملاتي في هذا المجال. وفي النهاية أثرت التراجع وليس الانسحاب. التراجع إلى مجال آخر يحمل نفس السمات. فاهجته إلى عالم الصرافة والعقار والزراعة والصناعة. ونجحت فتعلمت درساً مهماً. وهو أن الغشيل في مجال لا يعني نهاية الحياة. بل يعني ضرورة الاتجاه إلى مجال آخر.

الوطنية الصناعية .. معالم الصورة

هو مجال آخر أحببت المشاركة فيه ، بل هو في رأيي ذو أهمية كبرى، فهو يعمل على دفع عجلة التنمية، ويرتقي بالبلاد إلى مصاف الدول المتقدمة.

وإن دعولي إلى هذا المجال كان ضمن المشاركة التي كانت جمعني مع إخواني الثلاثة في شركة الراجحي للصرافة والتجارة فحينما قمنا بشراء ثلاثة مصانع، مصنع الواحة، ومصنع الأوعية، ومصنع الرياض للكرتون، قمنا بتطويرها وتنميتها، ولما اخبرنا هذا المجال وتمكننا منه أجهتا لإنشاء مصانع جديدة ذات الخصائص مختلفة فقمنا بالاستعانة بالخبرات المحلية والأجنبية لتشبيدها، وقد آلت إلى هذه المصانع بعد تأسيسنا شركة الراجحي المصرفية للاستثمار فكانت من نصيبي فأشتريتها بـ ٤٢٠ مليون ريال.

وفي أوقات لاحقة وضمن شراكة أخرى قمنا بتأسيس مصانع أخرى ذات منتجات مختلفة ومتصلة، بعضها يختص بالبناء، وبعضها بغيره فكان هناك مصنع البلك الأحمر، ومصنع الشبك،

ومصنع البلاستيك، وقد آلت كل هذه المصانع إلى

هذه المصانع الستة. وهي مصنع الواحة للعصائر ومشتقاتها ومصنع الأوعية. ومصنع الكرتون. ومصنع البلك الأحمر ومصنع الشبك، ومصنع البلاستيك جميعها مازالت تعمل إلى اليوم ما عدا مصنع الشبك فقد بعته. وفضلاً عن ذلك اشترت مصنعاً آخر للأوعية في جدة وأقوم في الوقت نفسه بإنشاء مصنع آخر في نفس المدينة للمنتجات الورقية. ومصنعاً ثالثاً في دبي لإنتاج الأغذية المعدنية بأنواعها.

وتشهد هذه المصانع وغيرها تطوراً كبيراً في كل عام تارة بزيادة خطوط الإنتاج. وتارة أخرى بمواكبة الجديد والتحديث في عالمها وعلى الرغم من عدم متابعتي لها بشكل لصيق كما هو الحال في الشركات الأخرى. إلا أنني على دراية تامة بسير عملها وقد أجهت منذ البداية إلى فصل إدارات جميع هذه المصانع بأن عينا لكل مصنع مديراً مستقلاً وجعلنا لكل واحد إدارة مستقلة وميزانية خاصة.

ومع هذه المصانع التي يتركز معظمها بمدينة الرياض فمت بإنشاء مصانع أخرى ضمن المشاريع الزراعية. وفي مصانع متخصصة في تصنيع المنتجات الزراعية التي تنتجها هذه المشاريع.

ولعل الذي دفعنا إلى هذا الاتجاه هو شغفي بفكرة الأمن الغذائي لا سيما أن هناك الكثير من المنتجات الزراعية لا تقبلها الأسواق

وانصتف على أنها من الدرجة الثانية بسبب صغر أحجامها أو بسبب وجود بعض الرئوس والحدوش عليها التي تكون قد حدثت في الغالب بسبب أخطاء في عمليات التجهيز والمكننة.

وحقاً كانت رؤيتنا صائبة حينما قمنا بإنشاء هذه المصانع داخل المشاريع: لإضفاء نوع من السهولة والسرعة في عملية التصنيع. ثم إنها تعمل على حماية هذه المنتجات الزراعية (المواد الخام لهذه المصانع) من التلف بسبب النقل لمسافات طويلة. فمصنع الطماطم مثلاً في مشروع التيسيطاء بمنطقة الجوف قمنا بإنشائه داخل المشروع بسبب وجود مزارع الطماطم بالقرب منه. وكذلك مصنع الألبان والحليب القريبة من مزارع تربية الأغنام. ومصانع التريبات وغيرها مما تحدث عنه باستفاضة في صفحات سابقة ضمن حديثي عن الوطنية الزراعية.

هذه المصانع المدمجة ضمن المشاريع الزراعية لها إدارتها الخاصة المستقلة عن إدارة المصانع الموجودة في مدينة الرياض. وبسبب بعد المسافة بين الموقعين أسعى منذ وقت طويل إلى بناء أنظمة جديدة لجميع الشركات التي امتلكها بحيث تكون ذات إدارات مستقلة. وأنظمة خاصة ومجلس إدارة منفصل لكل مجال كي نتمكن من مراقبة ومتابعة شؤونها بشكل دقيق، ولتساعدنا في الوقت نفسه على تطويرها وتنميتها.

الوطنية الصناعية.. تفاصيل المعالم

لم تكن فكرة الصناعة واردة في ذهني عندما شرعت في تشييد المدن الزراعية إذ كان هاجس الأمن الغذائي وراء فكرة دخولي المجال الزراعي بكل ما أملك من قوة وخبرة، حيث شمل الحبوب والخصار والتمور والألبان والدواجن والعصائر واللحوم والروبيان. يقف وراء ذلك إصراري على تنفيذ برنامج تنموي فقال بدخلنا عصر التنمية الزراعية. وقد حقق ذلك بفضل الله ثم بفضل الحوافز التي تقدمها الدولة للقطاع الزراعي. تلك التنمية التي خدمت سياسة الدولة في تنويع مصادر الدخل. ولقد قطعنا في التنمية الزراعية مرحلة مهمة تجاوزنا فيها مرحلة الاكتفاء الذاتي إلى مرحلة التصدير في منتجات الفصح والدواجن والروبيان والألبان. وأحدثت تلك الثورة الزراعية تغييراً كبيراً في القطاع الاقتصادي. فالحيوية التي جلبتها التنمية الزراعية أدت إلى إنشاء صناعات للمنتوجات الزراعية والحيوانية وسط تلك المشاريع.

وعندما توسعت تلك الصناعات أنشأنا لها إدارة مستقلة تحولت مع الوقت والتطوير إلى مجموعات صناعية تحت اسم "الوطنية للصناعة".

كانت إستراتيجيتي في تجميعي للمصانع الخنلفة وضمها تحت إطار واحد تنجّه منذ البدء نحو تأسيس واحدة من أكبر المنشآت المتخصصة في الصناعات التحويلية بالملكة العربية السعودية.

واليوم يعمل ما يزيد على (٢) آلاف عامل في مختلف الصناعات التي نفع تحت مظلة الوطنية للصناعة وهي مصانع ذات مجالات متعددة ورائدة وهي في الوقت نفسه تتلمس الحاجات الحقيقية للناس وتستخدم من أجل ذلك أفضل الأساليب التقنية والعلمية المتطورة.

فالوطنية للصناعة تضم مجموعة من المصانع المتعددة المجالات وكل منها يخضع لإدارة مستقلة.

وإذا ما تحدثنا بالتفصيل فإننا نجد أن مصنع الواحة "المصنع الوطني للمواد الغذائية" يعد من أهم المصانع في هذه المجموعة وقد قمنا بتأسيسه عام ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م على مساحة تتجاوز العشرين ألف متر مربع. وقد كان ضمن الشراكة التي كانت مع إخواني قبل أن أقوم بشراسته مع غيره من المصانع.

هذا المصنع يتركز نشاطه في تصنيع المواد الغذائية طويلة

الأجل. التي تعتمد في تعبئتها على العبوات التي تتحمل البقاء فترة زمنية طويلة. كالعبوات الورقية "نزاياك" وعلب الألمنيوم وفوارير الزجاج.

أما المواد الغذائية التي نقوم بتصنيعها فهي العصائر والمشروبات التي تعتمد في تصنيعها على المواد الأولية الطبيعية ونراعى في ذلك استهداف جميع شرائح المجتمع. فهناك المنتجات أو العصائر الخاصة بمرضى السكر والأخرى الخاصة بقطاعات المدارس. وشركات الإعاشة والتموين. بالإضافة إلى المنتجات التي تخدم بقية القطاعات..

لكن هذا ليس كل ما نقوم به مصنع الواحة: فالصنع ينتج معجون الطماطم الذي نقوم بتسويقه تحت علامة الواحة التجارية. وكذلك نقوم بالإنتاج والتعبئة لعلامات تجارية أخرى لعدد من الشركات.

وفي السنوات الأخيرة قمنا بإضافة عدد من خطوط الإنتاج لتصنيع وإنتاج وإطلاق عدد من المنتجات الجديدة.

ولأننا نعمل على التواكبه فإننا نزيد الصنع وبشكل مستمر بأحدث الوسائل والأجهزة التقنية بالإضافة إلى ذلك هناك في

الصنع مختبر حديث للجودة يشرف على جميع المراحل الإنتاجية للمصنع. ويقوم بإدارته مجموعة مؤهلة من الكفاءات العلمية والفنية. ليس هذا فحسب بل إن العبوات المستخدمة لهذه العصائر والمشروبات تحتاج من وقت إلى آخر إلى عدد من التحسينات والإضافات لتناسب وتواكب تطورات السوق. وفي الوقت نفسه تحقيق أفضل معايير الجودة. وذلك من خلال التصميمات المناسبة التي تتيح أفضل الطرق لتخزينها ونقلها واستهلاكها في أي مكان.

أما المصنع الثاني فهو مصنع البلاستيك "بلاستيك الوطنية" هذا المصنع انشئ في عام ١٤٠١هـ/ ١٩٨٢م. وهو يعد من أكبر الصانع العاملة في صناعة البلاستيك في المملكة العربية السعودية. وتمتد منشأته على مساحة تتجاوز ٨٠ ألف متر مربع وقد قمنا بإنشائه في المدينة الصناعية الثالثة بالرياض.

والهدف من هذا المصنع كان منذ البدء هو تأمين جميع الاحتياجات المحلية من منتجات البلاستيك. ولذا قمنا بتحديد المجالات والجهات التي تحتاج إلى هذه المنتجات.

ففي قطاع البناء والإنشاءات يؤمن المصنع اليوم جميع احتياجات هذا القطاع من مواد ولوازم البناء البلاستيكية كالواسير وألواح العزل الحراري "الفوم الأخضر" ورولات

الأفلام المختلفة السماكة. وأشرطة التحذير وغيرها من منتجات تختص بمواد البناء.

بالإضافة إلى ذلك فالصنع ينتج جميع اللوازم الصناعية التي تحتاجها المزارع ومصانع الأغذية والمشروبات ومزارع الدواجن واللوازم الخاصة بالتعبئة والتغليف فضلاً عن اللوازم الاستهلاكية. مثل الأطباق والكاسات ذات الاستخدام الواحد والعلب وأكياس وبراميل النفايات ومفارش السفرة وبعض ألعاب الأطفال وحواجز الطرق وإشارات الطرق المخروطية. وفي الوقت نفسه يعمل المصنع على تنفيذ المنتجات الجديدة التي تحمل أفكاراً جديدة.

ولأن المصنع يهدف إلى الإسهام في بناء البيئة الأساسية للوطن. فإنه منذ إنشائه يهتم بإنتاج أنابيب البلاستيك المصنوعة من مادة بولي كلوريد الفينيل المستخدمة في شبكات مياه المدن وري المزارع. والتصديبات الكهربائية والهاتفية والصرف الصحي والاستخدامات المنزلية.

وقد زودنا المصنع كذلك بالمختبرات اللازمة لقياس الجودة. وربطناه بالمختبرات العالمية والمحلية لضمان تحقيق الأهداف الرئيسية له.

أما المصنع الثالث في مجموعة الوطنية للصناعة فهو مصنع الرياض للكرتون. والحق أن هذا المصنع تأسس ميكراً حديثاً في عام ١٤٠١هـ في المدينة الصناعية الثانية بالرياض وكان رأس ماله في

أثناء التأسيس خمسة عشر مليون ريال. وهو بهذا يُقدِّم من أوائل وأكبر المصانع أو الشركات المصنعة للكترون المصنَّع العالي الجودة في المملكة العربية السعودية. وكانت طاقته الإنتاجية لا تزيد على ١٥ ألف طن سنوي.

إلا أننا منذ تأسيسه لم نتوقف عن تطويره وتحديثه. فقد قمنا باستثمار مائة مليون ريال إضافيه لزيادة طاقته الإنتاجية التي وصلت اليوم إلى أكثر من ١٠٠ ألف طن مخري سنوياً.

والحقيقة أننا سعينا إلى تطويره لمبني الاحتياجات للزيادة للقطاع الصناعي في المملكة العربية السعودية. فالمصنع اليوم يقوم بإنتاج الكرتون لمختلف الاستخدامات التي تغطي قطاعات مختلفة كعبوات المصانع، وشركات الشحن، ومصانع للفروشات وكراتين الرطبات والآليات والنصير والمياه الصحية والصناديق الذاتية الإغلاق لتعبئة الخضروات والفواكه والبيض والصناديق الكرتونية ذات المواصفات الخاصة للملحاحات والمكيفات...

وقد نجحنا في هذا المصنع من خلال عدد من التجارب والتقنيات الحديثة في حل مشكلة أطباق البيض. فمن المعروف أن منتج البيض وأصحاب المزارع كانوا زال البعض منهم يعاني من استخدام أطباق البيض العادية التي تسبب في الكثير من الخسائر لهم، لعدم تناسب أحجام البيض مع مقاسات هذه

الأطباق. فيؤدي ذلك إلى تكسير البيض.

وما قام به مصنع الرياض للكترون كان نقله نوعية وفهزة علمية. فقد تمكّنّا - بفضل من الله - من إنتاج أطباق جديدة بمواصفات عالية. وقد تطلب ذلك منا الكثير من الدراسات والبحوث ومراقبة ميزات خطوط الإنتاج العالية. وقد توصلنا إلى إنتاج ثلاثة أحجام من هذه الأطباق توفر لمتجعي البيض الكثير من الأمان لإنتاجهم.

وأهم ما يميز هذه الأطباق قدرتها على المحافظة على البيض في أثناء النقل من أضرار التكسير والهرس مما يساعد على وصوله إلى الموزع ومن ثم إلى المستهلك بطريقة آمنة. كما أنها توفر في تكاليف الشحن.

ومن خلال تجربة بسيطة أجريناها على سيارات الشحن المبرد وجدنا أن هذه الأطباق توفر سعة تخزينية إضافية تصل إلى ٢٥٪. وذلك لصغر حجمها. ومن ثمّ توفر على المنتجين بعضاً من مصاريف النقل.

والخبرية أننا قمنا بتجربة منتجنا هذا من الكراتين في مزارعنا الوطنية للدواجن بالقصيم، الذي بعد من أكبر المزارع في الشرق الأوسط. إذ أثبتت هذه الأطباق فعاليتها وجودتها في مرحلة النقل. كما خفّضت تكلفته بنسبة كبيرة عما كان سابقاً.

ووفرت مساحات كبيرة للمزارع لإمكانية تخزين عدد كبير من أنواع الألبان المختلفة. زاده على أن هذه الألبان تحافظ على نكهة البيض دون التعرض للكسر أو الاهتزاز، وكما ذكرت سابقاً فإن هذه الواكبة والتحديث تدفعنا إلى التطوير المستمر.

فتحن نؤمن للمصنع استخدام أحدث التقنيات والأنظمة في الإنتاج والتخزين.

على سبيل المثال، قمنا في الآونة الأخيرة بتوسعة المخازن والمصنع بأكثر من ثلاثة أضعاف المساحة الأولية عند التأسيس. كما أدخلنا خطوط الإنتاج الآلية الحديثة لواكبة التطورات التقنية. وفي المصنع هناك قسم متخصص ومسؤول عن إنتاج العينات بحسب الطلب.

المصنع الرابع ضمن مجموعة الوطنية للصناعة هو مصنع الأوعية الذي تأسس منذ أكثر من ثلاثين عاماً. فحاجة السوق من هذا المنتج قد زادت في الفترات الأخيرة لازدياد الحركة الصناعية في المملكة العربية السعودية.

هذا المصنع الذي تطور لتلبية هذه الحاجة، يقوم اليوم بإنتاج عدة أنواع من العبوات المعدنية. وذلك باستخدام أحدث المعدات الصناعية وفقاً للأساليب الإنتاجية العصرية ومواصفات ومقاييس ذات جودة عالية. ويغطي إنتاجه العديد من القطاعات والاحتياجات

مثل نصنيع العبوات المستخدمة في حفظ الأغذية كالعصائر والخليب والأجبان والتمور والخصروات، ويقوم بإنتاج وتزويد معظم مصانع الدهانات والمواد الصناعية بالملكة العربية السعودية بالبرامبل والعبوات اللازمة من مختلف المقاسات والأحجام التي تستخدم في صناعة الدهانات، وكذلك يغطي معظم احتياجات الشركات السعودية والعالمية من عبوات الزيوت والشحومات شركة شل وبترولين وفوكس وغيرها بالإضافة إلى ما سبق يقوم المصنع الذي شهد كثيراً من التطوير منذ إنشائه بإنتاج العبوات المستخدمة في العطور ومبيدات الحشرات ومتممات الإنتاج والصفائح الطبوع والمطلي بمختلف المقاسات والأحجام.

أما مصنع بلوك الوطنية، وهو المصنع الخامس ضمن المجموعة، فيبعد عن المصانع القديمة، وقد قمنا بإنشائه للمشاركة في الحركة العمرانية.

وينتج المصنع نوعية من البلوك الفخاري الأحمر المعزول وبمواصفات عالية تمكنا من تحقيقها بعد الكثير من المراسلات فهو يتميز على سبيل المثال بقدرته العالية على تحمل الضغوط الكبيرة ما يجعله مثالياً في بناء الجدران الحاملة بالإضافة إلى وزنه الخفيف الذي يقلل من تكاليف الخرسانة وحديد التسليح، وكذلك قدرته الجيدة على عزل الحرارة في الصيف والبرودة في الشتاء، وهذا بلا شك يوفر الكثير من الطاقة والكهرباء اللازمة للتبريد

والتدفئة. بالإضافة إلى ما سبق فإن هذا النوع من البلوك الذي تقوم بتصنيعه بقليل بنسبة كبيرة الضخيج الخارجي. ويقاوم في الوقت نفسه الحرائق. خاصة إذا علمنا أنه ينتج تحت درجة حرارة عالية تصل إلى ألف درجة مئوية.

في الآونة الأخيرة قمنا بافتتاح فروع لتصنعي الأوعية والمنتجات الورقية في مدينة جدة لرغبتنا في توسيع دائرة انتشارنا. وذلك بسبب الطلب المتزايد في السوق لهذه المنتجات.

وفي اتجاه آخر قمنا بالتوسع خارجياً، إذ قمنا بتسويق بعض من منتجات هذه المصانع. وخاصة الغذائية منها. في الأسواق الخارجية العربية والأجنبية.

والحق ليس هذا هو الجانب أو الهدف الوحيد من هذه المصانع. لأننا - من خلال المجموعة - نهتم وبشدة بتدريب وتوظيف الكوادر الوطنية. وجعلها على رأس أولوياتنا. لرغبتنا الحقيقية في دفع عجلة التنمية.

ومن أجل ذلك نحريّز دائماً على التواجد في أثناء تخريج الطلاب في الجامعات والمعاهد. لاستقطاب بعض منهم وتعيينهم للعمل معنا. بالإضافة إلى إعطائهم دورات تدريبية في أثناء ذلك ، وقد كان من نتائج ذلك أن يمكننا من توظيف عدد كبير منهم وما زلنا نواصل توظيف المزيد.

الاستثمار في الخارج .. والأمن الغذائي

في أوائل التسعينيات من القرن الهجري الماضي كنت أقوم بكثير من الرحلات الخارجية حول العالم، وكنت في أثناء ذلك أشاهد الحقول المزروعة بكثافة، وأصناف البز والفرس وتربية الحيوانات وإنتاج الدواجن وخصوصاً في المناطق ذات الإمكانيات والقومات الطبيعية في مجال الزراعة والأغذية ففكرت في مسألة الأمن الغذائي

وبدأت حفاً في استثمار جزء من أموالتي في عدد من البلدان المختلفة والقارات كأمريكا الشمالية وشيلي وتركيا وماليزيا والسودان ومصر، وكنت أستثمر في مجالات محددة كالزراعة والأغذية، وظللت مدداً طويلاً أراقب نتائجها، وفي النهاية رأيت إنتاجاً وفيراً ذا عائد جيد.

كان هاجسي الأمن الغذائي وراء ما قصت به من مشاريع زراعية وحيوانية وسلع غذائية وذلك من أجل تغطية الاحتياجات المحلية، وكان هو السبب الرئيس الذي دفعني إلى الخارج عندما رأيت مستويات الإنتاج في الداخل متدنية جداً مقارنة باحتياجات

الاستهلاك، وتعكس النتائج المتطورة التي حققناها في كل من السودان ومصر في المجالات الزراعية والحيوانية وإنتاج الدواجن إجازاً بآخر. ونذكر مدى تفهم الدولة لهذا التوجه حينما يكون الأمن الغذائي هو الدافع الرئيس، أما في غير هذه المجالات فإنني لا أشجع الاستثمار في الخارج فبلادنا - والله الحمد - موطن مثالي للاستثمار لما فيه من أمان واستقرار كبيرين. ثم إن الاستثمار في المملكة العربية السعودية بضمن للمستثمر منافعاً معافى غالباً من كل الشوائب التي تكثر كثيراً في تلك البلدان التي تعمل وفقاً لشرائع وقوانين وضعية هي أبعد ما تكون عن الدين الإسلامي والطريق الصحيح.

كما أن التقلبات السياسية والاقتصادية الكثيرة التي نشهدها دول العالم تحول في الغالب دون استقرار هذه المشاريع، وجعلها واقعة دائماً بين فكبها. كما توقع المستثمر في كثير من الأحيان بأزمات ومشاكل لا حصر لها

والثال على ذلك واضح: فحينما قام العراق بغزو الكويت نهاية ثمانينيات القرن الماضي منعت الكثير من البنوك في العالم أصحاب الحسابات والمستثمرين في تلك البلاد من سحب أموالهم وأجبرتهم على سحب أموال قليلة في حدود ما يقضي نفقاتهم الشخصية وهو ما لم يحدث في أي من البنوك العاملة في المملكة

العربية السعودية التي تعاملت مع الحدث بشكل عادي بل إن شركة الراجحي المصرفية للاستثمار ذهبت إلى أبعد من ذلك حيث قدمت للكوييتيين الذين أخرجوا من ديارهم بسبب الغزو قروضاً حسنة مساعدة منها في تجاوز هذه المحنة. وقد فاقت هذه القروض مبلغ الأربعين مليون ريال. ثم خصصتها فيما بعد من الحكومة الكويتية التي تعاملت مع الأمر بحس راق. فكيف لنا بذلك صغوبة خصصتها من الأفراد على أن تقوم هي بذلك. وهذا ما حدث ..

هذا من جانب وجانب آخر شاهدته في الكثير من البنوك العالمية التي تقوم بأخذ ما يسمى بضريبة الوفاة حينما يتوفى صاحبها. فيحرم ورثته من جزء كبير من أمواله. زيادة على ذلك ما نشاهده في مجالات العمل والاستثمار هناك التي غالباً ما يشوبها بعض الشوائب.

هذا الرأي الذي أسوقه هنا لا أقصد به ولا أوجهه للناس هنا في المملكة العربية السعودية فحسب وإنما أسوقه لكل المستثمرين الذين يتبنون بأعمالهم وأموالهم وجه الله سبحانه وتعالى خير لهم ولأموالهم أن تستثمر داخل نطاق أوطانهم. ثم إنهم في ذلك مأجورون إن شاء الله: لأنهم يعملون على بناء أوطانهم. وهذا ما لا يمكن أن يحدث إلا إذا بني في إطار الشريعة الإسلامية.

ولعل هذا جانب واحد من سلبيات الاستثمار في الخارج: فهناك

- برأيي - سياسيات أخرى تعزّي الاستثمار في الخارج. ففي الغالب لا يستطيع المستثمر مراقبة نمو استثمارات. أو بالأحرى أمواله لأنه يكون بعيداً عنها بسبب ارتباطاته في موطنه. ومن ثَمَّ يكون المستثمر قد أوقع نفسه تحت رحمة الغير الذي قد لا يكون أهلاً للثقة؛ بسبب نقص في دينه أو كفاءته. ولذا كثيراً ما أريد أن ترك الاهتمام الأساسية في أي عمل استثماري مهما صغر هذا العمل أو كبر في أيدي الغير بعد خطأ جسيمياً يؤدي بصاحبه إلى مصتقع الفشل.

هذه بعض من الأسباب الكثيرة التي دعنتني إلى أن أبعد عن المضاربة في أسهم الشركات العالمية التي أستهبط بدلاً منها باستثمار أموالي في مجالات تتصل بالأمن الغذائي. وقد اقتصرته مؤخراً على مصر والسودان.

أوروبا ... لأول مرة

ظللت سنوات غير قليلة أبحث عن حل نهائي لتعاب اليواسير التي لازمتني حيث فشلت معها كل العمليات الجراحية التي قمت بإجرائها في أوقات سابقة.. ولما كانت أوروبا - يومها - هي مقصد الكثيرين الباحثين عن العلاج عزممت التوجه إليها لعل الله سبحانه وتعالى يجعل لي فيها من أمري مخرجاً.

اخبرنا (جنيف) محطة أولى لنا وأنا وأحد أقاربي وهو صالح بن عبد الله الراجحي. وفي جنيف التي كنا نجهلها ونجهل لغة أهلها استقبلنا شقيق أحد عملائنا الذين كنا نتعامل معهم في الجبال الصخرية. وهناك بدأنا في البحث عن أفضل العيادات التي تقوم بمثل هذه العمليات.. وفي النهاية وقفنا الله في الحصول على إحداها حيث قمت بإجراء عملية ناجحة كفنتني بفضل الله ألام المرض نهائياً.

ولما كنت في أوروبا رأيت من الأفضل القيام بجولة على بعض البلدان فيها بهدف التعرف على بعض الفرص التجارية وكنت في الأصل

قد رتبنا لذلك مع إحدى شركات السيارات في ألمانيا.

وللوصول إلى هناك اتخذنا طريقاً غير مباشر، فاجئنا أولاً إلى باريس العاصمة الفرنسية التي أقمنا فيها بضعة أيام قبل أن نغادرها إلى لندن.

وأذكر أنني في باريس فاجئني غلاء أسعارها فقد ظلمت أنجادل مع صاحبي صالِح بخصوص إنفاقه الكثير، إذ كان المطعم الذي يحب الذهاب إليه ذا أسعار عالية. ومن أجل تقليل الصرف انضمت معه على البحث عن آخر رخيص النمن. في أثناء بحثنا الخثيث هذا رأيت رجلاً كبير البطن يدخل أحد المطاعم التي وقع اختيارنا عليها للسؤال عن أسعارها، فقلت مداعباً وقبل أن ندخله إنه - ووفقاً لتجرباتي - أن هذا المطعم رخيص النمن!!

فسألني صالِح، وما الذي يجعلك تقول لي ذلك، فقلت: كبير بطن هذا الرجل. وأظنه جاء نتاج أكله الكثير من هذا المطعم. وهذا لا يكون إلا بسبب رخص أثمانه ضحكنا، ودخلنا معاً المطعم وكان سعر الوجبة المكونة من الدجاج المشوي والخبز وبعض ثوابعه في حدود الخمسة ربات. وهو ما لم نجد في مطعم باريسسي آخر وطوال الأيام التي أقمنا فيها في باريس ظل هذا المطعم هو ملائنا الأهم حتى أننا حينما هممنا بمغادرة باريس إلى لندن قمنا بشراء ما يكفينا ليوم هناك ربما نجد أحد المطاعم الرخيصة.

وصلنا لندن ومعنا كيس الدجاج الشوي والخبز الذي كفانا
مؤونة اليوم الأول وخيراً فعلنا خصوصاً أننا حتى ذاك الوقت لم
نكن نعرف من المدينة وأهلها إلا اسمها. إلى أن وفقتا الله في
الحصول على مطعم أسعاه مناسبة دل مظهره الخارجي على
ذلك غير أننا قشلقنا في التوصل مع الجرسون بسب لغتنا الإغليزية
البسيطة والركيكة. وحينما عجز عن فهم ما نريد تركنا وذهب
إلى زبون آخر.

سألت صديقي: ما العمل ؟

لم يكن لدى صالح أي حل. وأثبت أن الحل يكمن في فعل آخر قامت
من على كرسيّ، ونهيت مباشرة إلى باب المطبخ الخاص بالمطعم.
وقمت بفتحه والدخول إلى حيث يعمل الطباخون. فأشرت بيدي
إلى ما نريد أكله . ضحك الجميع بمنّ فيهم الجرسون.

وفي الأيام التالية ظلمت أستخدم نفس الوسيلة حتى إن العاملين
في المطعم كانوا إذا رأوني قائماً يقومون بفتح باب المطبخ مهيداً
للقيام بعملية الاختيار. إلى أن منّ الله علينا بفتح كبير حينما
تعرفنا على عبدالله الفضل الذي كان يعمل في السفارة ذلك الوقت.
فكافنا مشقة البحث.

وفي ألمانيا التي كانت هدفنا الأساسي حيث وصلناها من لندن
ظللنا ساعات طويلة تبحث عن مأوى لنا. حيث إننا لم نقم بإجراء

أي حجوزات قبل الوصول إليها كما كنت أفعل مع غيرها.

وفي أثناء بحثنا هذا استرعى انتباهنا مشهد رجل يقف في وسط أحد الشوارع. وهو يخطب في مجموعة من الناس. فذهبنا إليهم نستطلع الأمر لأننا لم نعتد على مشاهدة مثل هذه المناظر من قبل.

وبينما نحن نستمع أو بالأحرى نشاهد لأننا لم نغقه شيئاً بما يقول بسبب اللغة التي يتحدث بها وهي الألمانية وبينما نحن كذلك سمعنا أحد الواقفين يقول للآخر.. مشينا يا شيخ ..

إنها المرة الأولى التي يصل فيها إلى سمعي صوت عربي ولهجة سعودية منذ وقت طويل. وقبل أن يتحركا أمسكت به. وفلت لهـ

تعال يا شيخ.

وبالحديث معه اكتشفت أن الرجل من أهل عديره ومن قرية اللاصقة جديداً..

لم أزع الأمرهم دون الاستعجاء بهما. فقد شرحت لهما مشكلتنا ووضعت لهما الحلول إما أن نجدوا لنا فندقاً لنسكن فيه. وإما أن نذهب للسكن معهما.

كان الرجلان كما أردنا شغامين لم يدخرا جهداً في البحث لنا

عن مسكن. وفي نهاية المطاف استطاعا الحصول على أحد المنازل الجيدة.

كانت الغرفتان اللتان وجدناهما محجوزتين لأشخاص آخرين بما يعني المبيت مع شخص غريب. وعيناً حاولنا مع صاحبة المنزل العجوز إحداث بعض التبديلات في الغرفتين حتى ينسنى لنا أنا وصديقي صالح حجز غرفة واحدة. ولكنها رفضت. وحينما أعيننا الخيلة راضينا بالأمر إلى حين ..

كان التعب قد أخذ منا كل مأخذ. وكنا بحاجة إلى النوم حتى يأتي الصباح الذي سنجد - بإذن الله - مع نباشيره حلاً لا محال.

ذهب صالح إلى غرفته. وذهبت أنا إلى غرفتي. وأخذنا للنوم. وحينما انتصف الليل أحسست بأحدهم يدخل الغرفة التي كانت مفتوحة الباب. وكان الشخص هو شريك في الغرفة. أو بالأحرى شريكتي التي لم تأبه كثيراً بالأمر. فألفت بجسدها على السرير المجاور. وفي ثوان ويفقرة واحدة وصلت إلى صالة المنزل الخالي من كل إنسان. وأخذت ثوبي. وبعين نصف نائمة ألفت بجسدي على إحدى الكنبات المهيتره.

وحينما أطل الصباح جمعت أغراضني وخرجت أنا وصالح الذي كان يحظه أحسن حالاً. فقد كان شريكه في الغرفة رجلاً عجوزاً .

بمنا وجهتنا إلى "بون" حاضرة ألمانيا الغربية في ذاك الوقت. كنت أريد إحدى شركات السيارات المتخصصة في تصنيع وإنتاج سيارات الشحن الكبيرة التي تسمى "بوسيني" أنشبه ما تكون بشاحنات النقل من نوع "مرسيدس" أو "مان" ..

في بون ركبنا إحدى سيارات الأجرة للبحث عن أحد الفنادق لنقضي فيه يومنا الأول. وقد كان الوقت متأخراً قليلاً.

ويبدو أن سلسلة المفاجآت كانت ما تزال تتبعنا وبغوث. وذلك حينما فوجئنا بأن من تقود السيارة امرأة شابة ولكن صاندا عساي أن أقول سوى أنها هي المرة الأولى التي أنشاهد فيها أوروبا.

وفي الشركة التي وصلت إليها للتفاوض مع إدارتها بشأن الوكالة التي عرمت على أخذها وجدت استقبلاً بارداً للغاية. وهذا ما أحس به أيضاً مترجمي السعودي الجنسية الذي يقيم هناك هو وزوجته الألمانية منذ وقت طويل ..

وهذا أيضاً ما وجدته في أثناء المفاوضات التي طالت أربع ساعات بون الوصول إلى صيفه مشتركة. وكان يمثل جانب الشركة مسؤول التسويق ويضعه موظفين صغار. والأمر ليس بسيط ولا سيما أن وكالتي للشركة ستكون في المملكة العربية السعودية التي يومها كانت ومازالت محط أنظار العالم. فقد

كان النقط السعوي سهل اللغاب فمن تحدث عن العام
١٢٨١هـ/١٩٦٧م.

كان وقت صلاة الظهر قد حان. ولأن الأمر ماض دون نهاية
فضلت الصلاة في أول الوقت مع زنه يمكنني أدائها مع صلاة
العصر لاحقاً حيث تبيح لي رخصة السفر ذلك. لكنني أردت
الالتجاء إلى الله وإظهار عزة هذا الدين .

أفسحوا لي مكاناً للصلاة. وحينما طالبتهم بسجادة لأصلي
عليها أجمعوا على عدم وجود سجادة للصلاة. فتذكرت أن
للشركة الكبيرة مطعماً خاصاً، فطالبت بأحد الفارش المنتورة
على طاولاتها.

وحينما انتهت الصلاة كان المشهد مختلفاً. لقد تغير كل
شيء. فأقبل رئيس مجلس الإدارة هاشماً باشاً وفي معيته المدير
العام وبعض موظفي الشركة الكبار وقالوا لي لك الآن ما تريد ..
لك الآن الحل والربط .. افرض شروطك التي تريد. وما لا تريد ..

سبحان الله! لقد كانوا من قبل يفرضون ما يريدون.

كان الرئيس قد بهرته الصلاة وأيقن أن من هو متمسك
بصلاته متمسك بدينه صادق أمين وقد قالها..

وضعت شروطتي وقبلوا .. لكن شيئاً ما جعلني أرفض
التوقيع النهائي.

كان شرطهم الأساس الوحيد في العقد تحديد عدد السيارات
التي يمكن بيعها في العام .. ولأنني أردت المضي معهم حتى النهاية
بصدق وثقة طلبت منهم مهلة أسبوعين لأنظر ماذا هناك
في السوق السعودي؟

وبعد مضي ١١ يوماً لي في بلدي اتضح لي عدم قدرتي على
الالتزام، وبترحت ما بدا لي من أمري.

لندن .. للمرة المائة

إذا كان ما ذكرته في الصفحات السابقة أول رحلة لي إلى أوروبا، وإلى لندن بالتحديد، فإن الأخيرة قد أصبحت لي واحدة من أهم الحظات في مجمل أسفاري، أو لنقل الأهم على مجمل خريطة أوروبا التي عاودت الوصول إليها مرات ومرات تعد بالعشرات، إلا أن لندن التي أعتس فيها مكتب للخدمات والاستشارات لشركته الرجحي للمصرافة والتجارة في الرياض تعد الأكثر زيارة من بين كل المدن الأوروبية، فقد زرتها أكثر من مائة مرة للعمل أو للعلاج..

ذات مرة وصلت إليها ومعني إحدى زوجاتي هي زوجتي الثالثة (أم عمر) بفرض العلاج، وهي من المرات القلائل التي تصاحبني فيها إحدى زوجاتي إلى الخارج، بسبب عدم اقتناعي بصغر أي من زوجاتي بشكل عام، ولولا العلاج لما صاحبتهما إلى هناك إذ ليس هناك ما يستحق أن يخالف الإنسان بسببه دينه هنا أو هناك ..

إذن نحن هنا للضرورة، وفي أثناء تلقي زوجتي للعلاج كنت أقوم

بمواصلته بعض أعماله مع بنك شارتر هالوس. وهو أحد أهم البنوك التي كنت أتعامل معها في ذلك الوقت .. وكان أمين الصندوق في هذا البنك يقوم بالإشراف على عبدالرحمن ابن أخي صالح حيث كان يدرس . وكان الرجل شديد الالتصاق بالعرب بحكم عمله في البنك كما كان كثيراً ما يقوم هو وزوجته أسنانة الفلسفة في إحدى الجامعات البريطانية بدعوة عملائه وأسرهم إلى بيته ..

وفي يوم دعاني الرجل أنا وزوجتي لتناول العشاء معه في بيته الذي يقع في إحدى ضواحي لندن على بعد خمسين كيلو متراً. ولما كنت أخشى من الاختلاط ومن تناول ما هو محرم في ديني رفضت دعوته غير أنه أصر عليّ إصراراً شديداً وأمام هذا قبلت دعوته بشروط..

فصل النساء عن الرجال فصلاً تاماً. وعدم الدخول عليهن وعدم تقديم أي من المحرمات كالخمر أو لحم الخنزير في أي من المائدتين الخاصة بالرجال أو النساء.

قبل الرجل بالظروط. وقبلت زوجته التي كانت تصحبه في تلك الأثناء..

وفي الموعد استقبلنا أنا وزوجتي وابن أخي عبدالرحمن الفطار إلى حيث يسكن الرجل. وهناك التزم الرجل بكل الظروف التي وضعتها له وعندما هممنا بالعودة طلبت زوجته السماح لهم

بتوصيلنا إلى لندن بسيارتهم بدلاً من العودة بالفطار. قبلت العرض، وركبت هي وزوجها في مقدمة السيارة، وجلست أنا بين زوجتي وعبد الرحمن في الخلف ..

وفي أثناء الطريق أرادت المرأة التي قبل درجة الدكتوراة في الفلسفة أن تناقشني فيما ذهبت إليه، وخاصة أنها كانت قد دعت مجموعة من المسلمين بزوجاتهم إلى تناول العشاء في منزلها، وأن أحداً لم يذهب إلى ما ذهبت إليه من اشتراطات.

وهذا بحسب قلبها الذي وجهته لي لا يخلو من أمرين اثنين كما قالت:

وهو إما أن يكون هؤلاء الذين تعرّفت عليهم في السابق مسلمين وأنا غير مسلم، وإما أن تكون أنت مسلماً وهم غير مسلمين .. فألهمني الله سبحانه إجابة سريعة ردت بها عليها في الحال ..

فمن المعروف أن الراهبات في النصرانية التي تدين بها المرأة نفسها لا يمتنعن لباساً ساتراً لكل الجسم عدا الوجه. وفي الوقت نفسه لا يلتزم النساء من ذات الديانة كحال دكتورة الفلسفة نفسها بهذا الالتزام، بل يذهبن إلى أبعد من هذا وحينما واجهتها بهذه الحقيفة التي عقدتها لها بذات المقارنة التي بادرت بها لي من قبل استغربت المرأة وقالت لي: يبدو أنك - وبرغم أميتك - فيلسوف كبير بل أكثر مني ..

زواج في كابل والمحر خزيمة مساويك

سمحت لي ظروف عملي في الصرافة في بدايات حياتي العملية مشاهدة الكثير من الدول وهذا ما عززته فيما بعد حينما تقامت أعمالي بمشاهدة البقية الباقية.

ذات مرة خططت أنا وأخي صالح لزيارة أفغانستان، ولما كان لأخي صالح بعض الارتباطات في الهند بحكم عمله كعضو في غرفة تجارة الرياض فإنه سبقني إلى هناك مع الوفد. وأنفقنا معاً على اللقاء هناك. ومن ثم السفر إلى كابول العاصمة الأفغانية.

وحينما وصلت الهند متأخراً يوماً واحداً بسبب بعض الارتباطات وجدته قد غادرها هو وأحد أصدقائه محمد العريفي. فواصلت الرحلة إلى كابول. ولكن دون جدوى أيضاً. وحتى لا أعود خالي الوفاض من كابول رأيت أن أقيم فيها لأيام من أجل مشاهدتها والتعرف على ما فيها .

أقيمت في أحد أشهر فنادقها فندق أنتركونتيننتال الذي يبعد خمسة كيلو مترات عن وسط المدينة.

ولأن كابول يومها كانت آمنة مطمئنة وكانت إذ ذاك ملكية فكرت في التجوال فيها على أقدامي والنظر إلى تفاصيلها وتعجبت من بساطة أهلها وطيبتهم حتى أن جماعة كانت تركب في سيارة قديمة أصيروا علي الركوب معهم. وقد فعلت برغم أنهم غرباء عني إلا أنني أحسست بالأمان معهم.

ولعل هذا ما أحسست به أيضاً في مساء اليوم الثاني حينما دخلت أحد البيوت الكبيرة التي استرعى انتباهي كثافة أنوارها فلقيتني عند الباب امرأة وجهتني مباشرة إلى ناحية القسم الخاص بالرجال.

وهناك في هذا الجزء الذي توجهت إليه وجدت مجموعة كبيرة من الرجال رحبوا بي عندما رأوني. وكان الكثير منهم يتحدث العربية الفصحى. جلست في وسطهم وبدأت الحديث معهم وأعلموني أنهم مجتمعون بمناسبة زواج أحدهم فجالوا بالعشاء فكان عبارة عن ذبختين (مفطحيح) وحينما انتهيت خرجت. وعلمت التجوال مرة أخرى. ووجدت مبنى آخر مضاءً مثل سابقه فدخلته لأعرف ما به. فكان السفارة الأمريكية. فأحاطني الحرس وبدلوا بواجهوني بسيل من الأسئلة:

من الذي أتى بك إلى هنا؟ ماذا تريد؟! وحينما لم أجد مخرجاً من

الأمر قلت لهم أبحث عن مطعم أليس عندكم مطعم هنا؟..

صلاة الجمعة في كابول كما في عدد من المدن الآسيوية تبدأ باكراً. ففي العادة يتعاقب مجموعة من علمائهم في الحديث من الساعة العاشرة إلى أن يحين وقت الخطبة والصلاة..

وما إن دخلت المسجد حتى فوجئت بمن يفسح لي الطريق للجلوس أمام المنبر. وكنت وقتها أليس توباً أبيض ومثلياً وبجيبى ما يصل إلى مائة مسواك ويضع ثمرات من ثمر المدينة.. وزعلها عليهم جميعاً.

وعقب انتهاء الصلاة هجم عليّ المصلون. وهم يقومون بتقبيل يدي وصدي في احتفاء عجيب. حينما انتهت مراسم الاحتفاء أمسك بي أحدهم وكان يتحدث العربية. يريد مني الذهاب معه لتناول الغداء. وأمام إلحاحه الشديد قبلت دعوته. فذهبت معه إلى دكانه المجاور لمرأته ليعرفني بأبنائه السبعة وبنااته السبع أيضاً. وفي أثناء الغداء الذي كان يتكون من الأرز واللحم حرص الرجل وأبنائه على الاهتمام بي كثيراً؛ فكانوا يضعون أمامي قطع اللحم تماماً كما يفعل الكثيرون عندنا.

وحينما انتهيت قلت عائداً إلى فندقى. وهناك قررت العودة إلى المسجد مرة أخرى عندما يحين موعد صلاة العصر. هذه المرة

أحضرت معي للرجل مزيداً من المساويك والتصور. وعندما رأني كذلك أراد إكرامي .

فسألني هل تقبل الهدية ؟

فقلت له، إن شاء الله تكون مقبولة. ولكن أشكرك، فأنا في خير كثير.

رد عليَّ الرجل. وقال ،

لا . ليست هدية من مال بل هي بنت من بناتي أريد أن أزوجه
إياها. وصداقها تلك المساويك التي أعطيتني إياها. ولك أن تختار
أجملهن وأن تسافر بها أينما تريد .

مهلاً أخي أشكرك .. فأنا مازلت حديث زواج بزوجتي الثالثة.
لكن الرجل لم يشأ أن يتركني فأحكم حصاره عليّ. وقال لي :
لتكن بنتي الرابعة.. فأنا أحببتك في الله!!

قلت : أحبك الله الذي أحببتني فيه لكن أرجو منك العذرة
لعل الله يجعل لنا لقاء آخر إن شاء الله ..

وبعد أخذ ورد طويلاً قبل الرجل اعتذاري .. فشكرته وودعته
وغادرت كابول إلى طهران لبعض الشؤون هناك.

أصفهان .. طهران ورحلات أخرى

برغم المنفعة التي يحس بها من يستغل الطائرات في أسفاره. إلا أن ثمة خوفاً أحياناً يخالط نفس الإنسان، وخاصة حينما يتعلق الأمر بكوارثها ومشكلاتها.

في مجمل أسفاري بالطيران التي تعد بالآلاف لم أتعرض ولله الحمد لأي حالة مماثلة لتلك التي حدثت لي مرة واحدة على رحلة داخلية في إيران -

كان مسار الرحلة بين مدينتي أصفهان وطهران العاصمة. وبينهما نحن نخلق على ارتفاع عالٍ توقف فجأة أحد محركات الطائرة. فبدأ الجميع بالبكاء والصراخ من فيهم شاب كان يجلس بجواري. ويتحدث العربية. كان في طريقه للالتحاق بدراسته في أمريكا وحنى أهدي من روعه قلت له: ما الذي يبكيك؟ هل لك زوجة أو أبناء؟ يا بني إن الذي يجب أن يبكي هو أنك فهناك الكثير الذي ينتظرك هناك زوجاتي وبناتي وأولادي ومؤسسائي. أما أنت فليس

عندك ما تبكي من أجله. كانت كلمات فاسيه عليه لكنها هدأته قليلاً. وفي هذه الأثناء استنطاع الطيار العودة بالطائرة إلى مطار أصفهان. وحينما حطت على مدرج المطار انفجر أحد إبطاراتها القريبة من المحرك للعطوب. فتمالكت الطائرة بقوة بهناً ويساراً فارتداد الصراح. لكن الله سالم. وتوقفت الطائرة دون حدوث أي إصابات أو مشاكل صحية أو غيرها لركابها. تشاءم الكثيرون من الرحلة وقاموا بالغائها. في حين جلست أنا وبعض الركاب في صالة المطار بانتظار الطائرة البديلة.

وفي رحلة أخرى كنا نقوم بها أنا ومجموعة من رجال الأعمال كان من بينهم عبدالحسن السويلم وصالح الطعيمي وكانت الرحلة من العاصمة السويدية أستوكهولم إلى الرياض عبر مطاري جنيف وبيروت. وكانت الأجواء وقتها سيئة، بما حال دون تقديم أي خدمات للركاب في الرحلة ما بين أستوكهولم وجنيف ثم بين جنيف وبيروت. وكنت قد هونت عليهم أمر الإفطار في الفندق على أساس إمكانية تناوله في الطائرة. وحينما نزلنا بجنيف قمنا بالأمر نفسه. ولكننا ظللنا في جوع شديد حتى وصلنا مطار بيروت الذي وجدناه مغلفاً بسبب رداءة الأحوال الجوية. فاضطررنا إلى الدوران وقتاً طويلاً حتى استنطاعت الطائرة النزول بصعوبة باللغة وبمخاطرة كبيرة. وكانت طائرتنا هي الوحيدة التي نجحت في ذلك وسقطت هذه الأحوال السيئة. وهناك في المطار عاودت الطلب

مرة أخرى من الإخوة فقد تبقت ساعتان على مطار الرياض. ورأيت أن لا داعي لتناول أي شيء متياً نفسي وإياهم بوجبات دسمة على الرحلة القادمة. وقد صدق معي طاقم الطائرة هذه المرة فقدموا لنا عشاء شهياً.

وبعيداً عن الأخطار أيضاً أذكر أنه في إحدى رحلاتي بين نيويورك والرياض شاهدتني إحدى المضيفات كبيرات السن أنا وأخي محمد نقوم بأداء الصلاة في إحدى زوايا الطائرة بعد إقلاعها واستوائها في الجو. وكانت الشمس قد غربت في تلك الأثناء. ويبدو أن الأمر قد أثار انتباه المضيفة. فجاءت إلينا لتعبر لنا عن ذلك وعن اطمئنناها على سلامة الطائرة بسبب وجود مسلمين عليها. وقد حاولت أن ننقلنا من الدرجة السياحية إلى الدرجة الأولى لكنها لم تجد مكاناً شاغراً. فقامت بإحضار وحياتنا من الدرجة الأولى بدلاً من وجبات الدرجة السياحية. وظلت بعد ذلك طوال الرحلة تعمل على الاهتمام بنا.

مصادرات في بيروت ... وعصابات في شامباني

ابتداء من عام ١٢٧٦هـ وخلال الأعوام التالية تنامت أعمال المصرفية بشكل كبير، وازدادت في الوقت نفسه أسفاري إلى الخارج بفرض التجارة في العملات التي كنت أحرص على جمعها لمواجهة موسم الحج.

ولأن بيروت ومنطقة الشام عامة يومها كانت مقصداً لرجال الأعمال ومركزاً مالياً كبيراً كنت أتورد يومياً على هذه الأماكن حتى أن رحلاتي إذا أردت حصرها اليوم أجدها قد فاقت الثلاثمائة رحلة إلى بيروت وحدها في حين تجاوزت أعدادها الاثنين لخمسين، والمائة والخمسين إلى عمان.

في بيروت التي لم أكن أمضي فيها سوى ساعات في معظم رحلاتي كنت أحصل معي في الغالب آلافاً بل ملايين الليرات اللبنانية في حقيبة صغيرة أحملها في يدي.

وأنا لم أتعرض لأي محاولة سرقته أو تشل - الحمد لله - على الرغم من المخاطر الجسيمة التي يمكن أن تنطوي عليها مثل هذه المجازفات. سوى مرة واحدة كنت أسنفل خلالها إحدى سيارات الأجرة إلى مطار بيروت.

وكنت أحصل في حقبتني حينها ما يعادل الثلاثة ملايين دولار وبعضاً من قطع البسكويت التي كنت أحب شرائها من هناك. وبينما نحن في الطريق النفط سائق الأجرة التي ركبتهما أحد أصدقائه أو هكذا بدا لي الأمر في أوله إلا أنه بمرور الوقت أحسست أن في الأمر مكيدة ما، خاصة أني لاحظته وهو يحاول بالإشارات وعبر مرآة السيارة زميلاً له آخر كان في سيارة أجرة خلفه غمّل هي الأخرى شخصين إضافيين.

عندها أيقنت أني قد وقعت في المصيدة فبدأت أفكر بسرعة للإفلات منها.

سألت سائق الأجرة: هل أنت من أهل بيروت؟ أول رد علي بالإيجاب فأردفته بالقول: إنك محظوظ -
قال : لماذا -

قلت : لأنكم أهل نعمة وخير. وأنا رجل مسكين أعمل فرائشاً في وزارة العمل والشؤون الاجتماعية في بلدي. وفدّمت إلى هنا للعلاج على حساب الدولة. وكنت أسكن في فندق النخيل. والآن إنتهى كل ما لدي من مصاريف ولم يتبق لي منها

سوى سجن ليرة اشترت بخمسين منها بسكويتاً وقطعاً من الشيكولاته والعصارة الباقية سأعطيك منها ثلاث ليرات هي أجرتك ولا إفطاري في المطار خمس ليرات. ولن يبقى معي سوى ليرتين أخشى أن تدأخر الطائرة فلا أجد ما أكل به ..

وما أن انتهيت من ذكر قصتي التي نسجتها في الخيال حتى أشار السائق إلى زميله في السيارة الخلفية لينصرف، وكأن لسان حاله يقول، إننا قد أخطأنا في الضحية.

وإذا كان المرء في بيروت يخشى على نفسه من مكابذ رجالها فإن لمكابذ نساءها شأناً آخر فقد تعرضت في بيروت وهي غيرها من بلدان أخرى مما سأذكره الآن لمحاولات إغواء وإغواء كثيرة كان الله سبحانه وتعالى لي فيها العون والسند.

وما أذكره .. أنه في مرة من المرات طرقت عليّ الباب اثنان من يعملان في الفندق الذي كنت أقيم فيه بحجة أنهما يردن نظافة الغرفة. وكنت حينها قد قدمت للتو أحمل إفطاري الذي كان عبارة عن بعض الفاكهة. سألتني أن أعطيهم من تلك الفاكهة. وحينما لم جدّا مني أي استجابة غارتا ثم نزلت إلى موظف الفندق. فأخذت جميع أغراضني من ملابس وغيرها، لأنني كنت أتركها عنده حتى لا أضطر إلى حملها في كل رحلة. وأذكر أنه بعد خروجي من الفندق اتجهت إلى صالح العبيد وكان وقتها قنصلاً

في السفارة السعودية، فوضعتها عنده. واتجهت بعدها للبحث عن فندق آخر. وربما كانت هذه أول مرة أتعرض فيها لخل هذه الحادثة. وكان عمري آنذاك لا يتجاوز السابعة والعشرين عاماً.

لكنها حتماً لم تكن الأخيرة. ففي مدينة شامباني الروسية تعرضنا لعصابات المافيا حيث ذهبت إلى هناك لعمل بعض المشاريع الخيرية.

فكنت ألتجأ لإغلاق باب الفندق بالمصير والكراسي الموجودة في الغرفة. وأظن أن هذا ما كان يفعله إخواني الذين جاؤوا معي والسبب عصابات المافيا التي حذرتنا منها منذ البداية بالرغم من أننا لم نكن نأتي إلى الفندق إلا للمبيت؛ لأننا كنا نجد كل ما نحتاجه في الطائرة التي استأجرناها للقيام بجميع جولاتنا وأعمالنا .

و ذات ليلة هجمت علينا إحدى هذه العصابات في الفندق الذي كنا نقيم فيه والمسؤولة عنا فيه امرأة أرمينية من الروسيات المسلمات كانت متبغطة ومناهية لصد الهجوم. فقامت بغلق الأبواب بالسلاسل والأقفال. واتصلت في الوقت نفسه بالشرطة وبعد ساعتين من المقاومة هربت العصابة بعد علمها بمجيء الشرطة. وحينما استيقظنا لصلاة الفجر قصت علينا المرأة ما حدث، وكانت آثار الإغواء بادية عليها. وكذلك أثار الهجوم، فقد كانت قطع زجاج الأبواب متناثرة هنا وهناك وكانت المرأة قد هبأت

لنا مكاناً جيداً للصلاة، فقمنا بإكرامها، وبالغنا في ذلك، لأنها
طوال إقامتنا لم ندخر جهداً لمساعدتنا، وتوفير أسباب الراحة لنا،
وكانت قد علمت منذ اليوم الأول لوصولنا بأننا مسلمون، وذلك
حينما رأنا تصلي وقد أحيتنا، وظلت بجوارنا طوال أيام إقامتنا
هناك.

الوقت . الربح والخسارة

ابتداءً هذه هي نظرتي إلى الوقت باعتبار أن الوقت متصلٌ لدى الجميع أربع وعطرون ساعة في اليوم الواحد. والمحصلة النهائية في نهاية اليوم هي التي تحدد للشخص مدى استفادته من وقته وهذه المحصلة تُقاس عادة بالإجاز .. فاستخدامنا للصباح للوقت هو الذي يبين لنا الفرق بين الإجاز والإخفاق. ومن ثمّ الربح والخسارة.

ففي رأيي - وهذا ما أعتمد عليه كقاعدة أساسية في حياتي - أن المشكلة الكبرى تكمن في كيفية إدارة هذا الوقت والاستفادة منه وتطبيق الإجاز فيه لا يمكن أن يحصل دون أن يكون للإنسان أهداف واضحة يعمل من خلالها وفق تخطيط مدروس وتحديد للأولويات واستثمار جميع الإمكانيات المتاحة. وبالأسياب ذاتها. أما النتائج والمحصلة فهي معلّفة بمشيئة الله سبحانه وتعالى وحده.

نعرف جميعاً أن الوقت نعمة من نعم الله سبحانه وتعالى

النبي لا تُعد ولا تُخصى، ويجب أن ننظر إليه باعتباره هو العمر الحقيقي للإنسان في هذه الحياة التي خلق الله تعالى الإنسان لي عمرها بطلان عنه عن ابن عباس رضي الله عنهما قل رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اغتنم خمسا قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك"^(١) كما نبهنا عليه الصلاة والسلام على أمر مهم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ"^(٢).

من هنا تأتي أهمية الوقت وأهميته استثماره لتحقيق النجاح، فطوال أعوام حياتي ظل استثمار الوقت هاجمي الأول وكان همي اليومي هو كيف أستفيد من الوقت في تحقيق المزيد من الإنجازات وهذه الاستفادة تمتد لتشمل جميع نواحي الحياة فحي أسفاري التي تأخذ في مجملها الطابع العملي كنت لا أركن إلى الراحة والتنزه والانشغال بأشور فرعية غير ذات جدوى تاركاً الأمر الأساس الذي جئت من أجله، رحلات لبنان التي تجاوزت الثلاثمائة رحلة والتي كانت كل رحلة يوماً أو بعض يوم، مثال على ذلك، ففي الطريق إلى بيروت كنت أخطط لما سأقوم به هناك من مقابلة

(١) صحيح الإمام الصغير وزيادة لأبياني طبعة المكتب الإسلامي المجلد الأول حديث رقم ٨٠٣٧.

(٢) رواه البخاري في كتاب الرقاق باب الصحة والفراغ ولا عيب إلا عيب ألفرد.

العصلاء وإجراءات العمل وغيرها.

وفي الانقياء المعاكس حينما أكون عائداً إلى الرياض في المساء أيضاً كنت أعرف ما أريد تحقيقه فيها تبقي من ساعات اليوم وهذا ما ينطبق على الرحلات الأخرى التي كنت أقوم بها حول العالم من أجل إنجاز مهام محددة.

فعلى الإنسان عامةً ورجال الأعمال خاصةً أن يهتموا بهذا الجانب كثيراً لأن عالمنا اليوم يجبرنا على ضرورة إدارة وقتنا بفاعلية. وهذا ممكن ومناح لكل شخص إذا عرف ما يسعى لتحقيقه. فليس هناك شيء مستحيل. فالكثيرون اليوم يعتذرون بأسباب وأهية من عدم تمكنهم من ضبط أوقاتهم وحسن إدارتها. وفي رأيي أن ذلك ممكن إن هم أرادوا ذلك بالعزيمة والإرادة وعدم مطاوعة هوى النفس.

وإذا نظرنا إلى سلفنا الصالح والأجبال الصابغة نجدهم كانوا يحرصون كل الحرص على الاستفادة من الوقت، وكان الحفاظ عليه عندهم من أهم الواجبات وأعظمها في حياتهم.

والله

لأنهم يعلمون أن عافيتنا تدفعنا إلى ضرورة الاهتمام بالوقت، والحرص على اغتنامه، والتحذير من إضاعته. ونحن اليوم نمتلك من الأدوات والوسائل ما هو كفيل بالاستفادة من أوقاتنا. وهي أدوات

ووسائل في رأبي غمّل في طياتها حديق أو جانبيين أحدهما سلبي والأخر إيجابي. والمريض هو من يرجح كفة الجانب الإيجابي على الكفة الأخرى.

فالإنسان عليه إذن أن يسعى، وأن يحاول استثمار أكبر قدر ممكن من وقته ويعوّد نفسه على ذلك بالتدرج. لكننا نمر بمراحل وفترات في حياتنا تتأرجح فيها عملية ضبط الوقت واستثماره.

لكن يبقى جانب مهم هنا، وهو جانب التوفيق من الله سبحانه وتعالى لنا. وهو ما أركن إليه وأعزو إليه كل نجاحاتي التي حققتها. فقد وفقني الله سبحانه وتعالى طوال حياتي ولله الحمد على الإجاز والعمل.

وأستطيع أن أقول أيضاً إن ثمة خطوطاً عريضة يمكنني اليوم أن أستخلصها من طريقة إدارتي لوقتي خلال سنوات عملي الطويلة. وهي الآن تُعَدُّ من القواعد الأساسية للسيطرة على الوقت والاستفادة منه. وهي قواعد وأسس جاءت نتيجة الممارسة والعمل.

فالوقت هو رأس مالنا الذي يجب استثماره بشكل أساس في الأنشطة والمجالات التي نعطينا مديوناً جيداً. ويبقى أن معرفته الإنسان بالنفاق أو المجالات الواجب عليه قضاء وقته فيها مهمة جداً حتى يستطيع استثمار وقته على أفضل وجه أي أنه يجب على الإنسان أن يعرف كيف يجعل الوقت أداة فعّالة في يده وليس ضده.

وكذلك يجب على الإنسان معرفة اللهاام والمقتضيات التي يتوجب عليه إنجازها بسرعة أكثر من التي يمكن تأجيلها. كذلك علينا تخفيض الأنشطة التي تبعد الوقت، وهي في الغالب أمور نحن نقوم بصنعها عن طريق المجاملات أو إرضاء لهوى النفس من اللهاام أيضاً ضرورة كسر عادة التأجيل التي تبعد كثيراً من أوقانتنا. وهو ما يلجأ إليها الكثيرون. بسبب ضعف الإرادة لديهم، وهي عادة تكون ذات ارتباط باللهاام الصعبة.

يوم في حياتي ..

الآن قد مرَّ على حياتي العملية أكثر من ستين عاماً هي بحساب الأيام عدة آلاف. لكن المهم ليس هذه الأرقام والأعداد ولكن المهم هو ما تم إنجازه في تلك الأيام وكيف ؟

لعل هذا يقودني للحديث مجدداً عن الوقت ولكن وفقاً لتفصيلات يومي الذي أقضيه ...

في أيام حياتي التي عشتها ولا زالت، لم يكن لديَّ جدول عمل أو نظام مكتوب واضح محدد ومفصل. كما هو الحال عند البعض. لكن ذلك لا يعني بآية حال من الأحوال عشوائية البرنامج اليومي عندي. بل على العكس من ذلك تماماً .

ففي اليوم الواحد هناك ثوابت ومنغبرات تعترضها ظروف الحياة والعمل تجربنا أحياناً على إجراء بعض التغييرات في البرنامج العملي حتى يتسنى لنا تحقيق أكبر استفادة من الوقت طالما أن

هذه التغيرات تصب في صالح العمل عامةً والحياة خاصةً.

وبالنظر إلى حياتي منذ بداياتها إلى اليوم قلن برنامجي اليومي بخصيص وفقاً لمراحل الحياة المتغيرة. لكن من المؤكد أن ثمة ثوابت فيها لم تتغير ..

وساعات يومي كعادة الكثيرين من الناس موزعة ما بين شؤون العمل والبيت. وهي ساعات تتأرجح في عددها لصالح أحدهما دون الآخر وفقاً لمتطلبات تفاصيلها وأحداثها.

لكني على أنه حال لا أحمل أحدهما على الآخر. ففي المكتب أجز جميع المهام. وحينما أغادره للبيت أترك كل شيء على طاولتي: الصفقات والشاكل والإدارة. باختصار لا أحمل معي شيئاً من هذا أو ذاك. ولا أسمح وأنا في بيتي بأن يقفز إلى ذهني أو إلى نفسي شيء من شؤون العمل وشجونه. ولا أسمح حتى بأية مقايلات شخصية تتعلق بموضوعاتها بالعمل إلا في حالات الضرورة القصوى. فالبيت عندي مكان وراحة وسبات. وفي المساء يصبح المكتب عملاً وإجازاً ومهام.

يومي الفعلي يبدأ قبل صلاة الفجر بساعة تزيد أو تنقص. وهذا هو ما اعتدت عليه منذ بدايات حياتي. أبقى جهاز المنبه مضبوطاً على توقيت ثابت قبل أذان الفجر بساعة. وفي العادة

لا أنتظر سماع صجيجه المؤذي بل أقوم قبل أن يبق المنية. وفي انتظار الفجر أصلي ما يفتح به الله علي.

ومع شروق الشمس أو بعدها بقليل أتناول الإفطار الذي لا يتعدى في العادة بضع ثمرات لا تتجاوز السبع. وبيضه واحدة أو اثنتين. مع كوب من الشاي أو القهوة وهو في نظري مهم، لأنها تضح في الجسم من الطاقة ما هو يكفي لأن الإنسان يبدأ يومه بارتياح وت نشاط كبير.

وجبة الإفطار هذه ومكوناتها هو ما تعودت عليه طوال سنوات حياتي لا تتغير إلا في ظروف مشابهة. وفي أيام الجمعة أتناول قطعه خبز صغيرة حتى أتمكن من الجلوس مدة طويلة داخل المسجد. وحتى لا أضطر إلى ترك مكاني في الصف الأول في المسجد حيث يبدأ الحجز فيه منذ ساعات مبكرة من صباح الجمعة.

في بقية أيام الأسبوع أحرص على الذهاب إلى العمل باكراً قبل وصول الموظفين والعاملين بنصف ساعة على الأقل. وهذا في رأيي ضروري لكل رجل أعمال حتى يقوم بمراقبة عمله على أحسن وجه. وفي العادة أظل في المكتب حتى قبل الظهر بدقائق. وأحياناً إلى وقت متأخر من اليوم.

أما ساعات ما بعد الظهر والعصر فأحرص على تمضيةها في

البيت: حيث أتناول طعام الغداء مع أسرتي. ثم أبدأ ساعات العمل من بعد صلاة العصر إلى ما قبل العشاء.

أما النوم عندي ليلًا فلا يتجاوز عادةً الخمس إلى الست ساعات وهي بنظري كافية لجسم الإنسان.

هذا هو برنامجي اليومي الذي خَرَّصت ولا زلت عليه منذ زمن بعيد. لكن ما بين تلك الأيام وهذه ثمة متغيرات ومستجدات بعضها كانت من وجهة نظري مقبولة لا تحتاج إلى تعديل أو تكيف، فيما غيرها يتطلب التحرك من أجل تصحيحها. والحقيقة أن ظروف الحياة وعامل السن غير الإنسان في كثير من الأوقات على إجراء الكثير من التعديلات في مسار يومه وبرنامجهِ، لكن من غير شك أن بعض النواحي تظل كما هي دون تغيير.

في مدينته جدّة التي أمضيت فيها ثلاثة وعشرين عاماً في بدايات تأسيسه لأعماله الخاصة والكبيرة كنت أضطر إلى العمل وبخاصة أيام الحج إلى ما بعد منتصف الليل أحياناً. وفي المقابل كنت أبدأ يومي العملي في الصباح عند التاسعة. فأقضي ساعات ما بعد صلاة الفجر في النوم حتى الثامنة والنصف. ثم أتناول إفطاري اللين. أما فترة ما بعد الظهر فكانت في الغالب أقضيها في البيت. أتناول الغداء مع الموظفين العاملين معي وبعض الضيوف الذين لم ينقطعوا يوماً واحداً طوال تلك المدة.

وبعد إنتفالي إلى الرياض قررت ترك السهر نهائياً؛ لأنه في رأيي غير مفيد. وقد أثبت العلماء اليوم أن النوم في الليل أفضل كثيراً من النوم في النهار. ثم إن السهر كثيراً ما يحرك على نفوثة صلاة الفجر مع الجماعة. وإن حضرته فإنك لا تندبر في كثير من الأوقات ما يقرأه الإمام. واليوم لجأت إلى النوم باكراً عقب صلاة العشاء مباشرة إلا في حالات نادرة.

أما الأوقات التي أقتضيها مع أبنائي وزوجاتي فهي في أوقات الصباح قبل ذهابهم إلى المدرسة. وفي فترة ما بعد الظهر.

وأنا لا ألجأ إلى النوم فيها سوى أني أخذ فترات وجيزة للاستراحة. كما أني أقتضي بقية المساء معهم أو أقوم ببعض الزيارات للأهل. ولقد طرأ على برنامجي العملي بعض التغيرات بسبب قلة المهام للوكولة التي فلا أضطر إلى الجلوس في المكتب ساعات طويلة كما كنت في السابق.

أكتفي الآن بفضاء بضع ساعات في مكتب الشركة إلى أن يحين وقت صلاة الظهر وأخرى في مكنتي الخاص. وفي العادة أنهى كل أعمالي قبل صلاة العشاء. وليس للرياضة مساحة كبيرة في حياتي - للأسف - على الرغم من توفر جميع الوسائل من مسابح وأجهزة غير أني لا ألجأ إليها في أوقات متفادته قليلة.

54

السيدة الأولى

في خضم انشغالنا الضمني بأسباب الحياة وقبل أن يحلَّ الله سبحانه وتعالى علينا بواقر الخبرات. توفيت والدتي رحمها الله بعد الحج من عام ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م في نفس العام الذي رحل فيه موحد المملكة العربية السعودية الملك عبدالعزيز - رحمه الله ..

وكنيت في جده وجامعي ما يحمل الخبر بل كانتا برقيتين أرسلتا في ذات الوقت.

الأولى أبلغتني بمرض الوالدة الشديد.

والثانية بوفاتها.

لا أحد كان يعلم أسباب مرض والدتي غير أنَّ المرض كان مزمنًا. فقد كانت منذ أن كانت في الخامسة والثلاثين تفتكي من مرض ألمَّ بها. وهكذا ظل معها إلى وفاتها. وهي في نهاية الخمسين من عمرها.

في الرياض التي كنا نعيش فيها لم يكن هناك مستوى طبييين

أحدهما يُدعى أحمد حيدر، وهو متخصص في أمراض العيون.
والآخر يسمى أحمد الطباع، وهو متخصص في كل شيء، وحينما
جاء الأخير إلى بيتنا في ذلك اليوم لم يستطع أن يشخص المرض.
وهكذا كنا أمام الأمر الواقع وكنا ندعو لها بالشفاء . .

لم تكن والدتي مجرد امرأة أرادت العيش - هكذا - على هامش
الحياة، فقد كانت امرأة نقية، هكذا نحسبها والله حسبها. ذات
حياء وخجل شديدتين . تراقب الله في سرها وعلمها . .

قصصت لي ذات مرة أنها وهي صغيرة قامت بأخذ بعض الثمر
من نخيل عم أمها عبدالعزيز بن محمد الراجحي. وكيف أنها
قامت بهذا العمل من أجل إطعام والديها وأهلها الذين كاد الجوع
أن يفتك بهم.

لكن هذه الحادثة ظلت في ذاكرتها سنوات طويلة يضيق بها
صدرها، ومن أجل أن خل نفسها منها ظلت تنحين الفرصة.

وصلها مني ومن أخي صالح - وقبل أن نعرف القصة - ريان
وبضعة قروش. فرأت أن الوقت قد حان لتتحلل من ذنبها. فحملت
المال، وذهبت إلى عم أمها، فقصت عليه ما كان من أمرها وأمر
الثمرات التي أخذتها من نخيلها. فأعجب الرجل بفعلها. ورفض
أخذ المال، وقبل رأسها ودعا لها، وعفا عنها.

لم تكن أمي حينما فارقت الحياة تلك سوى ثلاثة ربات فقط هي كل ما تملكه من هذه الحياة الدنيا. وقد كان يأتيها من المال الكثير وخاصة في السنوات الأخيرة من حياتها. غير أنها كانت تتصدق به بنفسها أو عن طريق أختها الكبرى منيرة. وقد كانت تلك عادة أخواتها الثلاث، منيرة وحصة ونورة اللاتي يكبرنها. إذ كانت أمي أصغرهن. وقد جبن على ذلك لما رأته من جوع وعوز في حياتهن الأولى مع والديهن.

كانت كل واحدة منهن تخرص على جمع ما تستطيع،

كانت منيرة تتصدق بما زاد عن حاجة زوجها الفلاح، وحصة بما رزقها الله به من تجارتها الصغيرة. ونورة بما يحمل لها زوجها دائم الخرجال. أما أمي فقد كانت تجمع ما تقوم بإعطائها إياه. وهكذا تعاقدن على البحث عن المحتاجين ومساعدتهم وظلنا كذلك طوال حياتهن برحمة الله تعالى . .

كنت قبل وفاة والدي قد تجاوزت الخامسة والعشرين من العمر وكنت قد فارقت زوجتي الأولى التي كانت حبها أمي كثيراً. وكانت ابنتي الكبرى نورة قد رأت الدنيا قبل ذلك بأيام قليلة. لا تتجاوز الأربعين يوماً غير أنها ماتت ولم تتمكن من رؤيتها. إنها إرادة الله سبحانه وتعالى. وما عسانا أن نفعل

لم أكن أفارق والدني إلا في فترات قصيرة بسبب رحلات عمل قصيرة خارج الرياض. وكنت قبل أي رحلة من هذه الرحلات أفهم بالاستئذان منها.

في بيتنا الكبير الذي كان يجمع شملنا جميعاً بزوجاتنا وأبنائنا كانت أمي هي السيدة الأولى تماماً كما كانت من قبل أن ننزوج . سيدة بيت يتسابق الجميع لخدمتها دون أن تطلب. وقد كانت زوجتي وزوجات إخواني جميعاً يقبلن على خدمتها بصدر رحب وهي تتقبل ما يقمن به. ولسانها لا ينقطع عن الشكر والتقدير والدعاء لهن دون أن تتدخل في شؤونهن الخاصة.

في أوقاتها الخاصة في البيت ظلت والدني. كما هي عادتھا دائماً. تهتم بشؤونهن وشجونهن منفرغة لهن ولعبادتهن. وظلت حتى بعد أن كنينا وتزوجنا نحرص على إيقاظنا لصلاة الفجر وتذكيرنا بصلاة الجماعة. متخذة من عصاها التي لا تفارقها أداة لمن عصي وبجانب ذلك كانت توصينا في كل يوم بتقوى الله في أعمالنا وحياتنا وبصلة الرحم.

وخلال أيام العمل كنا نحرص على الجلوس معها وتناول القهوة ونحن نستهعد للخروج أحياناً نعود وكنا نبادر بتنفيذ ما تأمرنا به. والحق أنها لم تكن كثيرة الطلبات بل كانت فائقة تكفي بما لديها.

وحيثما حففت بعض الأرباح من خلال عملي في دكاني الصغير
في شارع السويولم جئت إليها لأبشرها بما ربحته وحففت ، حيث
كنت قد جمعت يومها ثلاثمائة ريال. فمارحتها قائلاً :

أمي . . هل تعرفين رجلاً غنياً.

قالت : لا . إلا أن أسمع به .

قلت : أنا أغنى منه. فلدي الآن الكثير من المال ولك أن تطلبي
ما تريدين..

كان كل ما طلبته قطعه من خم وحبه من فاكهة الشمام.
ولا شيء غير ذلك. وحيثما نفذت ما طلبته سُخِّرت كثيراً.

وازدادت فرحتها حينما تفرغت ساعات طويلة لأعد لها في
مطبخها وجبتها التي أحب.

فهل وهبت حقها؟

لا أعتقد ذلك.

أبي . . كما عرفته

إنه كتاب وحده . سيرة أبي رحمه الله أربعة وتسعون عاماً من العمر . ومجموعة من الأبناء من زوجات عدة ، وبين هؤلاء وأولئك كانت أمي عائشة . وكنا نحن الأربعة . وكنت أنا شاهداً على بضعة وستين عاماً من عمره الطويل . .

كان أبي رحمه الله رجلاً صلباً ، شديد الشكينة ، سليم القلب ، قوي العزيمة ، متديناً محتسباً . هكنا عرفته . وهكنا ظل حتى لقي ربه في يوم من أيام عام ١٤١٢هـ / ١٩٩١م .

في حي ابن غدير الذي سكنا فيه مبكراً حينما قدمنا إلى الرياض أسكن أبي مع مجموعة من سكان الحي ما يمكن أن يكون نواة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

فقد اتفق أبي ومجموعة من أهوان الحي ، محمد بن بحر وعبدالرحمن ابن مرشد وعبدالعزيز بن غدير وإمام مسجد الحي الشيخ عبدالله بن بكر رحمه الله على مراقبة حبهما الصغير .

كان الاتفاق غير المكتوب يقضي بمنع أي شخص غير مسلمين من السكن في الحي .

أما صفات وشروط هذا التدين فكان حضور صلاة الجماعة في المسجد مع التشديد بشكل أساس على صلاة الفجر . في العادة كان أبي ومجموعته يواصلون نصحتهم لأهل الحي بضرورة الالتزام بصلاة الجماعة. وكانوا حينها تذهب نصائحهم أراج الرياح يضطرون إلى طردهم من الحي.

ذات مرة اضطروا إلى طرد مجموعة من الخدم كانوا يعملون عند الأمير سعد بن عبدالرحمن. رحمه الله لأنهم رفضوا الانصياع إلى نصائحهم. ثم إنهم وجدوا عندهم ربابه كانوا يستخدمونها للغناء. فأخذها أبي وكسرتها وعلقها في المسجد. وظللت هكذا لأيام عدة شاهدة على حزم مجموعتهم . .

بمرور الأيام والشهور اشتهرت هذه المجموعة. وأمر الملك عبدالعزيز - برحمة الله - بعد ذلك بتكوين هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعيّن على رأسها الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ رحمه الله الذي أول ما قام به زيارة أبي في بيته. وقد كانوا ينوون إنشاء هيئة خاصة بكل حي . وكانوا على معرفته مسبقه من قبل منذ أيام الدراسة الأولى في الرياض . .

كنت يومها شاهداً على ما دار في المجلس حيث جلس أبي

والشيخ عمر بن حسن آل الشيخ وبعض المشايخ على الغداء
وكنيت أصف أصف على الضيف بالمهفة.

شرح الشيخ عمر بن حسن لوالدي فكرة الهيئة التي أمر بها
الملك عبدالعزيز - يرحمه الله - وفكرة تخصيص هيئة مستقلة
لكل حي من الأحياء فتكون عضويتها من أربعة أشخاص. يكون
أحدهم رئيساً لها. ويحدد في المقابل رواتب الأعضاء بثلاثين ريالاً
وراتب الرئيس بأربعين ريالاً.

واختير أبي رئيساً للهيئة الخاصة بحي ابن غدير. واختير ثلاثة
آخرون معه. غير أن أبي فاجأ الشيخ عمر حينما رفض المنصب.
لأنه قد رُبط بالمال .

قال أبي: نحن لا نريد أن تأمر بالمعروف ونهي عن المنكر مقابل
المال. نحن نريد أن يكون ذلك خالصاً لوجه الله سبحانه وتعالى.

كانت هذه وجهة نظره وقد تقبلها الشيخ عمر ومن معه.
وعين بدلاً منه شخصاً آخر. لكنه مع ذلك ظل يأمر بالمعروف
ونهي عن المنكر. ويتعاون مع الهيئة التي أنشئت.

أبي ... وأنا ...

في المجلس البسيط وحيثما يكون الضيف يظل الضيف الصغير أو الفتى الكبير واقفاً مطأطئ الرأس، يمسك بإحدى يديه مهبطاً ويحمل بالأخرى طاسة ماء . وحيثما تنتهي المراسم، يظل أحدهم واقفاً مستعداً لتنفيذ الطلبات . . .

ربما أنا أو أحد إخواني هو من يقوم بهذه المهام، سنوات طويلة ظللنا أوفياء نمثل هذا الشهد، ولا جلس حينما يكون هناك ضيف حتى لو كان هذا الضيف رجلاً مسكيناً.

كانت الفرصة الوحيدة للجلوس مع والدي حينما يكون وحيداً لا أحد من ضيوفه معه.

أما أسلوب حديثنا معه فقد كان يختلف باختلاف طبيعة كل واحد منا، كان عبدالله ومحمد قادرين على المزاح والمناقشة بجديده أما أنا وصالح فإننا على العكس من ذلك تماماً، حيث تعود أبي

منا نحن الاثنين أسلوباً غير هذا الذي تعود من الأخوين عبدالله
ومحمد. وقد ظللنا هكذا حتى مائه . .

ذات مرة أحببت أن أمارحه. وكان ذلك قبل وفاته بعام ونصف
تقريباً. غير أنني فوجئت به وهو يبكي. فاستغربت الوضع. وسألته
عن سبب البكاء. قال لي لقد تعودت المراح من عبدالله ومحمد
غير أنني لم أتعوده منك أنت وصالح. فأرجو أن تكونا كما عودماني.
أتعبني الموقف كثيراً وطلبت منه السماح. فسامحني. وعدت كما
أنا منذ أن عرفني طفلاً صغيراً أحدثه بأدب مُطأطئ الرأس.

قبل انتقال عملي إلى جدة في عام ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م كنت أنا
وبقية إخواني نداوم على الجلوس معه بشكل يومي أكثر من مرة
في الصباح عقب صلاة الفجر. جلس معاً لتناول القهوة والشاي
وبعد الظهر حينما نعود من العمل جلس لتناول الغداء. ونظل
نتناقش في أمور عديدة وقتاً طويلاً. أما الجلسة الثالثة التي كنا
جلس معه فيها فهي عقب صلاة المغرب بعد انتهاء الدوام الثاني.
وفي هذه الجلسة نتناول طعام العشاء ونظل جلوساً حتى يحين
وقت صلاة العشاء التي تعني نهايتها نهاية اليوم. حيث نذهب
جميعاً إلى النوم مباشرة.

لم يكن يغير هذا الشكل من النظام سوى خروج أبي مع بعض
أصحابه لزيارة بعض أصدقائه. أو لعرفة سبب غيب أحدهم عن

صلاة الفجر مثلاً . .

كان أبي طوال هذه المجلات كثيراً ما يذكرنا بضرورة تقوى الله سبحانه وتعالى في جميع أمورنا. وضرورة توخي الحلال في كل معاملتنا التجارية.

وكان كثيراً ما يقرأ علينا آيات من سورة (ق). ويظل دقائق يكي من وقع آياتها. فقد كان يحب آيات هذه السورة.

وحينما رحلت إلى جدة للعمل والإقامة هناك كنت أدوم على الاتصال به مع سؤال أخي صالح عن صحته بحكم الاتصال اليومي الخاص بالعمل.

كنت أخصص في العادة ثلاثة اتصالات متفرقة في الأسبوع للتحدث مع والدي مباشرة. وكنت أحرص عليها خصوصاً أن الاتصالات في تلك الفترة كانت صعبة جداً. إذ يتطلب القيام بها الجلوس والانتظار مبدأً طويلاً. إذ لم يكن يومها هناك سوى خط تلفوني واحد بين الرياض وجدة.

كما كنت دائم الاتصال بزوجاته اللاتي كنا نحرص على الاهتمام بطلباتهن خاصة أن أبي قد توقف عن العمل منذ عام ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م. وقد ظللنا أوفياء لهن حتى بعد مائه وحتى الآن. إذ ما زالت بعض زوجاته على قيد الحياة. حيث يقوم بذلك أخي

محمد بناء على تكليفنا له.

بالإضافة إلى ذلك كنت أحرص على الحضور إلى الرياض بشكل منتظم من أجل زيارة أبي والجلوس معه، إذ لم تكن تذاكر الطيران ذاك الوقت عالية الثمن وكانت الدولة توفر للناس عمداً من التذاكر تصل من عشرين إلى ثلاثين تذكرة في السنة بنصف السعر، وكان ذلك يسهل علينا عمليات التنقل بشكل دائم ..

وأذكر أنه - بعد أن استقر بي المقام في الرياض - كنت أحرص حينما أعود من أسفاري الخارجية على الذهاب إليه أولاً والسلام عليه قبل أن أذهب إلى عائلي.

بعد وفاة والدتي - برحمها الله - ظل أبي مقبلاً في البيت ذاته مع بقية إخواني إلى أن انتقل إلى بيته الخاص من عام ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م إلى ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م في حي العطائف ثم بعد ذلك قمنا ببناء ثلاث فلل متجاورة له ولزوجاته الثلاث في حي المربع.

كان أبي بعد وفاة أمي قد تزوج بست نساء على فترات متخلقة، توفي بعضهن وفارق أخريات، وقبل وفاته كان بعصمته ثلاث نساء.

في بيته بحي المربع، ظل أبي خلال سنواته الأخيرة مداوماً على برنامج يومي الذي تعود عليه، وظل بالإضافة إلى ذلك إماماً لمسجد الأمير سعود بن محمد القرين من منزله، حيث يقضي

فيه معظم أوقاته فارناً للقرآن ومندبراً له. وقد ظللنا نحن كذلك على عهدنا القديم دائمى الزبارة له والجلوس معه حتى وفاته. برحمه الله.

في شهر رمضان وموسم الحج كان أبى يحرص على الحضور إلى مكة المكرمة لأداء العمرة والحج. وكان يقوم بذلك سنوياً.

وكنت - وأنا في مدينة جدة - أحرص على استقباله في المطار إذ كان يأتي مع أحد إخواني أو معهم جميعاً. ويبقى في بيتي يوماً واحداً ثم نذهب معاً لأداء فريضة الحج.

أما في شهر رمضان فقد كان يحرص على السكن في إحدى الشقق الخاصة بنا. وكنت من أجل راحته أقوم بإرسال إحدى زوجاتي لمساعدته في توفير احتياجاته الخاصة.

وقد كانت زوجاتي يتناوبن بشكل منظم على خدمته على امتداد شهر رمضان فكانت ثلاثتهن يقسمن الشهر بينهن بواقع عشرة أيام على امتداد شهر رمضان. وكنا نحرص على تجهيز إفطاره وسحوره وكل ما يريده. وكنت أحرص على الذهاب إليه مرتين في الأسبوع إضافة إلى يوم الجمعة. كما كان مدير مكتبي يقوم بإحضار ما يحتاجه من مواد غذائية وغيرها.

وبرغم سنوات عمري، وتقدم سني ظل أبى ينظر إليّ بذات

الصورة التي كنت فيها حينما كنت طفلاً صغيراً ..

مشهدان ما إلا عالقيين في نهني، وكلاهما بصوران ما نهيت إليه

الأول: أني كنت ذات مرة قادماً من رحلة عمل خارجية من مصر جديداً. وكنت وأنا قادم بحاجة إلى بعض الضروريات الشكلية التي كانت أساسية لرجل الأعمال حينها. فكنت بحاجة إلى مشط وإلى خذاء جيد. لألبسهما فور خروجي من المطار اتصلت على أخي صالح لكي يوفرهما لي. وعندما علم أبي بذلك سارع إلى تجهيزها بنفسه والخصور بها إلى المطار. وحينما خرجت شاهدته واقفاً وهو يحمل المشط بيده ويضع الخذاء تحت إبطه بانتظار طفله الصغير.

أما المشهد الآخر: فقد كان في الحرم المكي حيث كان أبي قد اعتاد منذ صغري على ضري. وقد كانت تلك عادة الأباء حينها. بالرغم من أني لم أكن أعانده أو أرفض له طلباً ولكن لعدم رغبتي في الدراسة أو لعب شيء آخر. وقد ظللت على ذلك سنوات طويلة حتى وأنا رجل كبير ولي عدد من الزوجات والأبناء والله الحمد.

أذكر في تلك المرة وقد كانت الأخيرة وكان عمري قد تجاوز السابعة والأربعين أنه اتصل بي في الصباح يطلب مني بعض النقود ذات الفئات الصغيرة التي يود توزيعها على فقراء الحرم. وقد طلب مني إحضارها له قبل صلاة الظهر. فاتصلت على مدير فرعنا في مكة المكرمة للقيام بذلك. وقد تأخر في تسليمها لوالدي إلى ما قبل

صلاة العصر، وحينما حضرت إليه وكان جالساً في الحرم المكي عرفت من نظراته لي أن ثمة أمراً غير عادي. فاحسست بأنه كان غاضباً مني فقصت بتقبيل رأسه وبديه كما هي عادتي مع والدي، وظلمت دقائق ادعوا له وأنا جالس على أطراف أصابعي فسألني عن سبب تأخير النفود فأوضحت له الأسباب غير أنه لم يقتنع بذلك.

كنت أعرف أنه في مثل هذه الحالات يلجأ إلى أسلوب الضرب غير أني لم أكن أظن أنه سوف يقوم بذلك وسط الحرم لكنه فعلها ..

ضربني ضربة قوية على كتفي وما هي إلا ثوان حتى سقطت على ظهري ورجلاي متعلقان في الهواء. كانت الأخيرة في حياته لكنني كلما ذكرتها أتدبر قول المولى سبحانه وتعالى . " فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما هوأ كرمًا (١٣) الآية.

هذه جزاء الإحسان إلا الإحسان؟

لا أحد منا في هذه الحياة قادر على الوفاء بحقوق والديه مهما كان هذا الفرد. ومهما قام به من أعمالٍ جَاهِدَهُمَ والحق أن من يقومون ببر آبائهم إنما يقومون بإعطائهم جزءاً من حقوقهم.

وهذا البر الذي يقوم به الأبناء تجاه آبائهم يجب أن يكون متداً بامتداد أعمارهم وأعمار آبائهم وأن تبدأ به منذ طفولتنا ليمتد معنا طول العمر ولنغرسه في أبنائنا.

مَنْ يشاهد اليوم ويسمع ما يحدث من عقوق للوالدين بطيب له الرأس وينذرنا في الوقت نفسه بعواقب وخيمة؟!!

أم لها أربعة أبناء متزوجين ينهرب كل واحد منهم من إيواء والديهم التي توفي عنها زوجها والدهم. ونظل تنتقل من بيت إلى آخر حتى يقوم أحدهم بمراقبتها إلى مكة المكرمة لأداء العمرة - أو هكذا ظنت السكينة - وهناك يتركها. ويقفل عائداً هو

وزوجته، تلتقطها أحد الحسنيين ويظل يطاردها ابنها من أجل أن يأخذها. وفي النهاية تموت، فيمر واحد منهم أو اثنان مرور اللثام لرؤية جثمانها وهي توارى الخرى . .

وأخرى تظل أياماً تطلب من ابنها أن يقوم بإيصالها إلى أهلها لئلا يترحمهم فقيل على مريض، ويحدد لها نصف ساعة لا غير لإنهاء زيارتها لأهلها وإلا تركها وذهب. وحينما تأخرت الأم ذهب الولد وتركها فتسمع بعد قليل نبأ الحادث الذي وقع له فجعله مشاوئاً عاجزاً عن الحركة وربما كان ما أصابه بسبب دعوة لأمه عليه.

في رأيي أننا نظل عاجزين عن الوفاء بحقوق الوالدين، وأن هذا العجز يظل بلازماً ماحبين وفي سبيل التخفيف منه لابد أن نجتهد أكثر وأكثر

طلبت أمي - برحمها الله - طيلة حياتها امرأة وفقه لأهلها ولأبناتها ولزوجات أبناتها، ولم تدخل يوماً في شؤوننا الخاصة، وحينما أحسست بالوفاء لم تطلب منا شيئاً ولم توضح بشيء، لأنها لم تكن تلك شيئاً. كما أنها تعلم أننا لا نملك شيئاً آنذاك.

وحينما وفقنا الله اجتهدنا للوفاء ببعض حقوقها علينا، مسجد هنا، ومساعدة وأعمال خير هناك، فنسأل الله أن يتقبل منا. ومن أجل البر بها بعد ما كنا ظللنا أوفياء لأهلها وإخوانها. وهو ما قصنا به جده والدنا - برحمه الله - وهو لا شيء أمام ما قاما به تجاهنا رحمها

الله رحمة واسعة.

أنا هنا في هذه السطور لا أركي نفسي ولا أركي ما قام به إخواني تجاه والدينا ولكني أحاول أن أقدم بعض ما أستطيع.

إن يرّ الوالدين من أعظم منع الحياة لأنها تقودنا إلى طاعة الله سبحانه وتعالى الذي ربط دخول الجنة بأداء حقوقهما. والحق أن الكثير من الفصوص التي تُروى في هذا الجانب يشفيها السلب والإيجاب يقدم لنا نموذجاً واضحاً عن مدى علاقة الإنسان بربه سبحانه وتعالى. وعن توقيفه له في هذه الحياة من عدمه . . لن ينال أحداً التوفيق في حياته ويظل هائلي البال إلا إذا نال رضا الله سبحانه وتعالى ثم رضا والديه . .

من واقع تجربتي الشخصية أجزم تماماً بأنني لم أصل إلى ما وصلت إليه إلا بحبي لله سبحانه وتعالى وطاعته ورضاه ثم رضا والدي. وأسأل الله سبحانه وتعالى أن أكون كذلك.

الأمر عندي لم يكن يوماً نتاج ذكاء أو جهد أو نحوهما وإنما هو توفيق من الله سبحانه وتعالى.

والحقيقة أن المر بالوالدين في ذاته يبدو عملية لها أصول وقواعد ليس المقام هنا مقام الحديث عنها لكن هو برأيي من غائم بذاته . .

أن نظل جالساً مع والدتك أو والدك ساعات. وأن تداوم على ذلك في كل يوم هو فن لا يستطيع كل منا ممارسته، لأنه توفيق

من الله سبحانه وتعالى.

الأم التي كبرت نظل ننظر إلى ابنها كبر على أنه طفل صغير
تتمنى أن تحضنه، وإن نقِلَ كما كانت في الماضي، وإن التفكير
في هذا الأمر من جهة الابن ومعرفة الطريق الذي يحقق لها ذلك
مع مراعاة مشاعرها ومراعاة زوجها وأبنائك لمشاعرها جانب مهم
وهذا كذلك فن لا يستطيع أبصاً كل منا ما رسمته إلأ من وفقه
الله سبحانه وتعالى على اختبار الزوجه الصالحة التي تعينه على
ذلك.

العملية إذن أكبر من أن ننصورها وأن تُسطَّر في بضعة سطور
وجمل وكلمات إنما هي فقط خلاصة تجارب أردت أن أقدمها هنا
ضمن هذه السيرة لا غير ..

الحياة مع أربم ..

كانت سنوات زواجي الأولى تلك جافة بعض الشيء خصوصاً أن خيوط الود كانت مقطوعة بيني وبينها، لكن ذلك لا يعني بأي حال من الأحوال أنها كانت حياة سيئة أو مليئة بالمشاكل والتعقيدات، لا لم يكن الأمر بهذا السوء وإنما كان قلبي فارغاً خاهها، فقد بحثت عن حيتها في قلبي، لكنني لم أجده - وهذه إرادة الله.

عاشت معي ست سنوات فيها أحسن ما يكون مع أمي التي كانت تكن لها حباً كبيراً ومكانة عزيزة فقد كانت لها بمثابة الخالة.

تمحضت سنواتنا معاً عن مولد طفل وطفلة ما لبنا أن مانا بعد مدة من الزمن وحينما ماتت أمي -برحمها الله- تفرقتا بهدوء مع العلم أني وبرغم هذا الجفاف الذي في قلبي خاهها إلا أنها كانت كالمملكة في بيتها.

وهكذا قُدر لهذا الزواج أن يتفطر عقده، ويذهب كل منا إلى حاله، فهي تزوجت من بعدي من هو أفضل مني لها وظلت

وفيه لتزوجها الجديد حتى مانها -برحمها الله- ولم أترد لحظة في حضور مراسم دفنها.

وأما أنا فقد ذهبت إلى الزواج من بنت عمي محمد العبدالله الراجحي فجعل الله لها مكانه عظيمه في قلبي منذ الأيام الأولى.

ومع مرور السنوات قدر الله لي ومع تنامي أعمالي وثروتي أن أتزوج من أخريات. ولعل تلك الزيجات الأخريات كانت نتاج العلاقات الودية التي كانت بيني وبين أبنائهن وإخوانهن.

والحقيقة أنني لم أجا إلى التعدد في الزواج إلا عندما رأيت أنني قادر بإذن الله سبحانه وتعالى عليه، والكل يعلم تمام العلم الشروط والحدود الواجب توافرها في الشخص الذي يريد الزواج. فالتعدد لم يبح إلا في حدود توفر الإمكانيات اللازمة لذلك، الإمكانيات المادية والقدرة على حسن المعاملة، والأهم من ذلك العدل بينهن. وهو في نظري الأصعب. خصوصاً فيما يتعلق بالليل القلبي. وهنا تكمن المشكلة أو المشكلات التي تحدث عادة في مثل هذه الحالات. وبالطبع تبغى عملية الإخفاء. أي إخفاء الليل أجدى وأنفع من أجل استمرار هذا الزواج. ومن أجل حياة هائلة لأبنائك من هذه الزوجه أو تلك.

فالتعدد في رأيي يتوقف على التقدير الشخصي لمن ينوي أو يريد القيام به، فهو شراكه من نوع خاص. شراكه تتطلب نوعاً من التعامل الراقى المبني على الاحترام المتبادل.

التعدد وإدارة التفاهم ..

مع امتداد السنوات وتنامي الأعمال وجدت نفسي أعيش وسط حياة جديدة فرضها عليّ التعدد.. تعدد الزوجات.

فكما أن الأعمال الناجحة تتطلب نوعاً خاصاً ومنظماً من الإدارة والعمل فإن الزواج من أربع كذلك يتطلب - في رأيي - نوعاً مبراً من التعامل والفهم.

فالحياة الزوجية - كما قلت - تُعدُّ نوعاً من المشاركة الراحية التي تتطلب العمل والعمل الدؤوب من أجل نجاحها. لا سيما أنها هي الحياة بعينها. فاختلاف التكوينات الشخصية والنفسية ومتطلبات هذه الشخصية أو تلك، وتفاصيل العلاقات، وكثافة الواجبات والحقوق، وغيرها من أمور تتعلق بالزوجات، تتطلب نوعاً من الحكمة والحكمة في التعامل، فالزوجة كائن يفيض بالكثير من المشاعر والأحاسيس التي يجب أن تراعى

وفي نظري ومن خلال تجربتي الشخصية فإن هذا أمر لا يمكن أن يقوم به إلا من هو مؤهل لذلك. وهذا التأهيل لا يأتي إلا لمن يتعامل بجد وطلاقة مع هذه العلاقة المقدسة، وهو يقدر ما هو صعب فهو سهل لمن عمل بما أمر به ديننا الإسلامي.

بحلول عام ١٣٩٩هـ/١٩٧٩. كان في ذهني أربع نساء. يختلفن بلاشك في الكثير من التفاصيل الحياتية. لكنهن يجتمعن في الكثير من الخطوط العريضة والمهمة. فلقد كنت محظوظاً كثيراً حينما رزقني الله سبحانه وتعالى زوجات صالحات مقدرات لظروف حياتي العملية..

فبالرغم من المستوى التعليمي البسيط والمتواضع الذي حظيت به زوجاتي. واختلف ذلك من واحدة إلى أخرى. فإن الشكل العام لقدار التعامل والأسلوب الذي يتعاملن به مع الحياة ومشكلاتها. وكذلك مع أمور الأسرة، ابتداء من التربة إلى التعامل مع الزوج فإنه في نظري يعدّ شيئاً رائعاً عندي وعند أبنائي. والحق أن تعهدهن لقراءة القرآن وحفظ أجزاء منه قد ساعد في تحقيق هذا. فهو بلاشك خير ما يتعلمه المرء.

في مدينة جدة وحينما كنا نعيش هناك. وفي الفترات الأولى من تأسيس أعمالنا كنّا جميعهن يسكنّ في بيت واحد. ومع ذلك لم يكن هناك أي نوع من المشكلات التي عادة ما تحدث بين الزوجات الضرائر.

كما أن المشاكل التي تحدث بسبب اختلاف الأطفال - أطفال الزوجات المختلفات - مع بعضهم البعض لم يكن يؤثر على علاقتهم وقد كنت منذ البدء قد وضعت خطوطاً عريضة وواضحة للحياة التي كانت ومازالت نجمعها تحت سقف واحد.

كنت أقوم بالتوزيع العادل بينهن في البيت الخلاب، وكذلك في توزيع التفقة والملابس والخدمة داخل البيت، وكل ما يتصل بذلك. كما كنا منذ وقت بعيد قد انفصنا على تنظيم الخروج من المنزل سواء أكان ذلك للشراء من السوق أم للزهرات التي كن قلبات الاهتمام به.

أما الأسواق فقد كنت أقوم بتوفير جميع ما يحتاجن إليه. وكان في المقابل لا يرغبن كثيراً في الذهاب إلى الأسواق. أما الزهرات فقد كنا نخرج بانتظام للجلوس على شاطئ البحر الذي هجرناه فيما بعد بسبب الزحام. فاستبدلنا به المزرعة التي اشتريناها في منطقة بحرة، حيث قممت بتوفير جميع وسائل الراحة فيها: من مسابح خاصة بالرجال، ومسابح خاصة بالنساء، وملاعب للأطفال. أما الزهرات الأخرى فقد كنا نقوم بها إلى مكة المكرمة والطائف في فترات مختلفة من العام. وفي المقابل لم تكن نقوم برحلات خارج المملكة العربية السعودية إلا للعلاج. وذلك لعدم رغبتهم ورغبتي في ذلك.

طوال تلك الأيام لم أكن أعتمد على السائقين الأجانب في تنقلات أعمري. بل كنت أقوم بذلك بمفردي. وفي أحيان أخرى كان يقوم بها عبدالله الدريبي شقيق إحدى زوجاتي أو علي الراجحي الذي كان يسكن معنا هو وزوجته في البيت نفسه.

رما الصورة بدأت بالاختلاف قليلاً وخاصة التنقلات وذلك حينما كبرت العائلة وم انتقلنا إلى الرياض. ولكنها لم تخرج أبداً عما بدأنا العمل به منذ أن كنا في جدة. ما زالت زوجاتي وكذلك أبنائي وبناتي يمشون على النهج نفسه الذي بنيناه عن اقتناع. فالافتصاح واحترام النعم والفواضع والتبعد عن الإسراف يُعدُّ الأساس الذي يقوم عليه بناء أعمري. وهذا الأساس لا يمكن أن يثبت أو يرسخ إلا إذا كان تابعاً ومتأسلاً في النفس.

ففي الرياض التي استقر بنا المقام فيها كانت المهام الموكلة لي أو النسي يجب أن أقوم بها كبيرة خصوصاً أن طرقة الراجحي للمصارفة والتجارة كانت في بدايتها. وقد تطلب ذلك مني جهوداً كبيرة من أجل إجاحها.

في المقابل كان ذلك يعني ضرورة التخلي أو لنقل مواكبة التغيير وتكييف المفهوم والنهج الذي عملنا به وفق المستجدات الجديدة خصوصاً أن عائلي كانت قد كبرت بعض الشيء. كما أن بعض أبنائي كانوا قد كبروا وتزوجوا. وأصبحت لهم حياتهم الخاصة.

في البدء استعنت بالله ثم بسائق واحد مع زوجته التي
تعمل خادمة داخل البيت. ثم بعد ذلك حينما رأيت الحاجة لأخر
قصت باستقدام سائق آخر مع زوجته. وقد كنت أهتم بالجانب
الديني والأخلاقي لكل من يعمل معي في بيوتي تلك كما كانت
زوجاتي يفرضن رقابة لصيقة عليهم حتى تضمن استمرار الهدوء
والطمأنينة التي جبلنا عليها.

وهي الوقت ذاته كانت زوجاتي يضمن بالكثير من الأعباء تجاه
الأبناء والبنات. من حيث تربيتهن وتوجيههن.

60

صالح وأخواته

مع صرخات البكاء الأولى تبدأ صورة جديدة للحياة ويرى في الوقت نفسه نوبها مائلاً في عقولنا أهد الدهر.

لا يمكنني بأي حال كما لا يمكن لأي أب أن ينسى تفاصيل اليوم الأول أو لنقل الساعات الأولى لاستقبال طفله الأول.

لم يكن صالح هو أول طفل لي فقد سبق أن زرقت من زوجتي الأولى طفلين لم يعيشا كثيراً فمع انفصالي عن زوجتي الأولى طويت صفحة مهمة من حياتي لكن طعم رؤيتي لمشهد الابن الأول لم يذهب.

شهد ابني صالح الحياة مع أول خطواتي في عالم الصرافة والعمل الحقيقي الجاد وقد أحدث مشهد ولادته تغيراً كبيراً في حياتي وبيني وعلتي أن أنكيف معه لأسيما أنها كانت من زوجتي التي أحببت.

وخلال أيامه الأولى تعودت أنبأي على ضحكاته البرية

وصرخاته وبكائه.

فالآن لست وحيداً وحدود مسؤولياتي لم تكن كما كانت.
فالابن صورة حقيقية لأبيه ولأمه ولأسرته وعائلته وبيته.

وحسني بتحقيق ذلك فهناك طريق طويل على الرء عبوره وعليه
أن يعد له العدة الكاملة..

لم يكن صالح سوى الابن الأول. فبعد سنوات لحق به إخوته
وأخوانه.. واحد وثلاثون ابناً وابنة من أربع زوجات. بلغ عدد الأبناء
ثمانية عشر ولداً.. فيما بلغ عدد البنات ثلاثة عشر بنتاً.

وهم اليوم يمثلون ثروتي الحقيقية حيث قمت منذ البدء
بالاهتمام بهم ورعايتهم بكل ما أوتيت من قوة. على أساس من
التربية الإسلامية الحقيقية التي تسعى من ورائها إلى تحقيق
غابتنا في هذه الحياة.

كان أبنائي من أم صالح أربعة أولاد وست بنات.

أما الأبناء فهم صالح. ومحمد وفهد. وعبدالرحمن. أما البنات
فهن نورة. وحصة. والجوهره. وموضي وأمل. ثم مها.

أما زوجتي أم عبدالله. فقد رزقت منها ستة أولاد وثلاث
بنات وهم عبدالله وخالد وأحمد وعلي وإبراهيم وفيصل وعائشة.

أما أبنائي من أم عمر فهم: عمر ويوسف وهدي ثم رمي.

في حين أن أبنائي من زوجتي أم قواز هم: قواز وعبدالإله، وعبدالعزیز وعبدالمسلم وعبدالحسن. ثم عبدالملك أما البنات فهن: غلاء ونوف. أما زوجتي لم تركي فقد رزقت منها بلقي تركي.

منذ البدء لم يكن أمام النهج الذي عملت به من أجل تربية أبنائي أي مجال للتفريق، سواء بين الجنسين أو بين الأبناء. وذلك من أجل تطبيق التربية السليمة.

كانت فكرتي تقوم في التعامل معهم على الاحترام المتبادل، كل حسب مكانته، وما أقصده هنا هو ضرورة فرض الهيبة اللائمة بينهم. وهذا ليس بالضرورة أن تأتي عن طريق استخدام القسوة والقوة المفرطة. وهذا ما لم أبدأ إليه أبداً.

كانت الدراسة والتعليم هما الهدف الرئيس عندي، لأنهما ذات أهمية كبرى وفي المقابل كانت التربية الإسلامية والتنشئة الدينية واجبة وبدونها لا يمكن أن يستقيم شيء.

في البيت كنت أهتم بتعليمهم أهمية الصلاة، صلاة الجماعة عامة، وقراءة القرآن الكريم خاصة، وكنت أتبع ذلك بالتطبيق المباشر فأظل شديد المراقبة وكثير السؤال عن أدائهم لها، وفي

البيت أيضاً كان استقبال الضيوف وتوفيرهم واحترامهم نقطة أساسية فكنت أعلمهم وأطالبهم بها فيظلون في خدمتهم ليس في بيتي فقط، بل في كل مكان نذهب إليه.

أما الدراسة التي باتت اليوم ذات أهمية كبيرة فقد خُصت منذ البدء على الاهتمام بها، وكنت كثير المراقبة لهم ومعرفة أدايتهم

في مراحل ما بعد الثانوية. تركت لهم حرية اختبار المجال الذي يودون الالتحاق به، وقمت بتوفير جميع المتطلبات ليس هنا في داخل المملكة العربية السعودية فقط وإنما في خارجها أيضاً، فأرسلت بعضهم للدراسة في الخارج، لكن ليس قبل أن أقوم بتوفير البيئة المناسبة لذلك.

فقبل ابتعانهم إلى هناك كنت أقوم بإعطائهم جميع التفاصيل التي من الممكن مشاهدتها هناك وكذلك الفروقات الكبيرة بين البيئتين. كنت أقوم بتزويجهم قبل أن يضعوا أولى خطواتهم في تلك البلاد، فكانوا يسافرون مع زوجاتهم وأقوم بتوفير السكن والصاريف الخاصة بهم في الحدود المناسبة.

وأظل في أثناء سنوات الدراسة لصديق الصلة بهم وأقوم باستخدام الوسائل المناسبة لذلك.

واليوم يحمل الكثير منهم التخصصات العلمية في الهندسة

والاقتصاد والإدارة والحاسبية. والدرجات العلمية الرفيعة التي وصلت إلى درجة الدكتوراة. وهم في الوقت نفسه على قدر المسؤولية كل⁸ بما يتناسب مع قدراته ومؤهلاته.

وهناك جانب آخر مهم. هو عملية الاختيار. أعني اختيار الزوجات له. فأننا في العادة لا ندخل في تفاصيل هذه العملية التي أتركها وفقاً لرؤيته ورؤية والدته وأخواته. لكنني أهتم بجانب مهم آخر وهو العائلة التي نهب للاختيار منها. فلا شك في أن العائلة التي يقع عليها الاختيار لابد أن تكون محافظة ومتدينة.

مما إلى هدف واحد

لعل أول ما يخطر على ذهن أي رجل حينما يبشر بمولوده الأول هو التفكير في الطريقة المثلى والأسلوب الأفضل للتربية والتوجيه.. وفي خضم الحياة ومشاغليها العديدة ينسى البعض هذا السؤال المهم وينسون في الوقت نفسه الإجابة عليه بطريقة عملية تطبيقية.

لاسيما أن هذا المولود في الغالب لن يكون هو الآخر.. بل هو من سيحدد مدى جناح أو فشل شكل التربية أو الأسلوب الذي سيضعه الرجل في تربية بقية إخوانه.

لكن ذلك لا يمنع بأي حال من الأحوال جند تلك الأساليب في أثناء التربية. فالأب في الغالب - كما هي الحياة في العادة - سيعمل على الاستفادة من الخبرات التي ستتراكم مع نموه بمشهد كل مولود جديد..

ويجب ألا ننسى أن عملية التربية والتوجيه لا يمكنها أن تنحصر

بمسلاسه وبقوة إلا من خلال التذاكسة العائليه التي تنطلق في البدء تحت مظله الأبوين ثم تمتد مع السنين لتشمل الأبناء الكبار ثم الدرسة والأهل وبعضاً من الفروع الأخرى..

يظل الرجل في الغالب أسير عمله ومشاغله في الخارج بعيداً بعض الشيء عن أفراد أسرته ومن ثم يكون بعيداً عن بعض التفاصيل المهمة التي تحدث في غيابهم وفي المقابل تظل الأم بحكم الفطرة هي الأقرب والأكثر فهماً لما يدور..

في سنوات العمل الطويلة ظلت زوجاتي في كثير من الأحيان هن من يقمن بتغطية جانب كبير من هذا الدور فشسوين الأعمال والأسفار الطويلة وغيرها من أعمال كانت تبعثني في الغالب بعض الوقت عن أبنائي لكنني في المقابل كنت على فهم كامل لكيفية التربيه التي كنا نقوم بها أنا وزوجاتي.

حينما كنت أعود من بعض الأسفار لم أكن أطرح الأسئلة التقليديه عليهم عن الأعمال التي قاموا بها.

كنت في الغالب أتوجه إليهم بربود الأفعال وسؤالهم عما يمكن أن يكون قد بدر منهم بدلاً عن السؤال مباشرة عما فعلوه.

ففي العادة يشترك الأولاد في مختلف مراحل حياتهم ببعض الأعمال والتصرفات الخاطئه، كالتقصير في الدراسة أو عدم تنفيذ

وكما ذكرت سابقاً أن هناك بعض الجهات تبقى ذات تأثير ما في تربيتنا للأولاد. فمع الوالدين هناك المدرسة والأصدقاء والأهل والشارع والأفعال والمشاهدات في الطريق وغيرها وجميعها تشكل بصورة ما ذهنية أطفالنا ما لم تكن تحت مراقبة الأسرة فإن نتائجها تكون سلبية للغاية.

في المدرسة يقوم المدرسون بدور كبير في عملية التربية والتوجيه وهم في الغالب أهل لذلك ولذا كنت أمد أواصر العلاقة الطيبة بالكثير منهم كلما سنحت لي الفرصة.

وكنت أعطي المدرسين في المدارس التي كنت أخلق بها أبنائي مزيداً من المرونة في التعامل معهم. وأحاول إظهار ذلك أمامهم حتى تبقى هيبته لدى أبنائي كبيرة. كما كنت - وخاصة في مدينة جدة - أقوم بدعوتهم من وقت إلى آخر في بيدي لتناول الغداء أو القهوة.

والمدرسة في الغالب يمكن أن تلعب دوراً إيجابياً في العملية التربوية إذا أريد لها ذلك. لذا كنت كثير السؤال والمراقبة عن أصدقائهم سواء في المدرسة أم الحي الذي يسكن فيه. وهذا مهم للغاية.

62

تلك هي هزيرقتي ...

بالرغم من أن الابن يحفل في عيني والديه صغيراً مهما كبر فإن أساليب التعامل معه والنواصيل تبدأ بالتغيير والتحول والتدرج مع كل مرحلة من مراحله العمرية..

فالحوارات لا تظل كما هي في سنوات عمره الأولى وكذلك مطالبته ونظرته للحياة فهو كائن يتفاعل مع محيطه الذي يكتسب منه الكثير من المفاهيم الجديدة.

وكأي أب في هذه الحياة فقد مرت بعدد من هذه التحولات التي تطلبت مني منهجاً محدداً للتعامل..

للسال والكمالات الشخصية كانتا في واجهته أدوات هذه التحولات. وفي المقابل شكل العمل أو الوظيفة التي يود الالتحاق أي من الأبناء بها لأنني أملك عدداً من الشركات العاملة.

بتدرج مراحلهم التعليمية كنت أدرج أنا كذلك فيما أعطيهم من مال. وهي في العادة تكون في حدود احتياجاتهم الشخصية

والهدف من ذلك تربيتهم على الاقتصاد وعدم الإسراف. فبالرغم من الأموال الوفيرة التي أنعم الله بها عليّ، إلا أنني دائماً ما أشعرهم بأنني فقير إلى الله وأنا محق في ذلك. كما أنبههم بضرورة الاقتصاد في كل شيء وهو من الأمور التي ينادي بها ديننا الإسلامي.

لذا كثيراً ما كنت أناقشهم في جدوى بعض المصروفات التي نذهب إلى أمور لا فائدة منها، أو يمكن تخفيفها بإمكانات أخرى كالذهاب لمشاهدة المباريات في الملاعب، إذ يمكن الاستعاضة عنها بمشاهدتها على شاشة التلفزيون.

وفيما يتصل بالدراسة فكانت أسلم لزوجاتي المصاريف اللازمة لكل ابن حسب مرحلته التعليمية. وذلك لأسبوع أو فصل دراسي كامل. وكانت مصاريف الأطفال الذين يدرسون في المرحلة الابتدائية قد حددتها بريالين لكل يوم، والمتوسطة بثلاثة ريالات أما المرحلة الثانوية فكانت أربعة ريالات، وما سوى ذلك فلم يكن هناك أي أموال إضافية أقوم بدفعها لهم سوى هدايا النجاح التي كانت في الغالب لا تتعدى المائة ريال، والتي يقسمونها مناصفة مع المدرسة. وأربعين ريالاً لوالدته. وعشرة ريالات لبشقي بها بعض الحلوى والمضروبات ليوزعها على زملائه وبعض موظفي الشركة. والهدف من ذلك واضح أن لا يبقى في جيبه شيء، وتحقيق الهدف

الذي وضعته منذ البدء وهو تعلم الاقتصاد وممارسته على أفضل مستوى. في الوقت نفسه كنا نقوم بتوفير كامل احتياجاته من اللبس والتأكل وأنوات الدراسة وغيرها.

تلك هي قاعدتي التي كنت أعمل عليها. وأقوم بتطبيقها بشكل عملي على مدى سنوات الدراسة. وهي قاعدة قد أنت أكلها.

أما فيما يختص بالنواحي الأخرى كالسيارة فلإني لا أشتريها له ما لم يكن قد تخرج من المرحلة الثانوية فحينها وبعد الزواج أشتري السيارة المناسبة له وبالسعر المناسب والهدف من ذلك تخفيف ما يحدث حوله من طيش الشباب والمراهقين وهو أمر لازم وضروري حتى تجنب أنفسنا وبلادنا الكثير من الحوادث التي تحدث بسبب التهور الذي يلزم هذه المرحلة العمرية.

في المرحلة الجامعية أكتفي بما تدفعه الدولة له من مكافأة شهرية وأعّوده على تكثيف نفقاته عليها وبخاصة أن كل مستلزماته الأخرى تكون متوفرة له بشكل ثابت..

ليس الذكر كالأنثى ...

ما زالت العبارة التي كان يرددتها عصي عبدالرحمن الراجحي
يتردد صداها في أذني..

البنت يا وليدي حمل من رجل..

هي بالفعل كما قال عصي حمل ثقيل لكنه حمل يحمل في
داخله الكثير من الخنان والعاطفة؛ لأنه حمل يتطلب المزيد من
الرعاية والكثير من الجهد الذي يكون في خاتمه أجر كبير من الله
ولمرة يأنعه تحظى بجانيك دائماً ..

تختلف التربية - لانشك - بين الأولاد والبنات وإن كان هذا
الاختلاف يكون محصوراً في تفاصيل دقيقة أو لتقل فروقاً صغيرة
فرضتها الطبيعة المختلفة بين الجنسين

وكما مع الأولاد لقيت بناتي الرعاية والاهتمام. ودفعتهن إلى
التعليم الذي وضعت له حداً هنا. وهو المرحلة الثانوية. وقد

استعاض بعضهن عن ذلك بحفظ القرآن الكريم كاملاً.

فسراري ذلك يكمن في رؤيته عندي حريص على تطبيقها فهي رأيي أن معظم ما تفضيه البنات في هذه الحياة يكون في بيتها لطبيعتها التي خلقت من أجلها فهي الزوجة والأم المسؤولة عن كثير من الجوانب المهمة حيث تنوج في خاقتها بترية وإنشاء جيل مسلم نافع. لكن ذلك لا يعني بأي حال قصور دورها في البيت، ففي الخارج لها المكانة التي تتوافق مع الشريعة الإسلامية، فهي الطيبة والمدرسة، ورؤيتي كانت خاصة وتناسب حالتني.

فبنائي لَشَنَ في حاجة للعمل فمن المدهي أن يتنحين جانباً يعطين الفرصة لغيرهن. فهناك الكثرات اللاتي في حاجة خاصة للعمل من أجل تسيير أمور حياتهن. ولعل هذا ما جعلني أجه لفتح فروع خاصة للنساء في مصرف الراجحي.

والحقيقة أني قد انجست إلى تطبيق هذه الرؤية منذ البدء وشاركتني زوجاتي في هذا ولا سيما أن جزءاً كبيراً من عملية التربة كان ملقى على عواتقهن.

اليوم أنا سعيد بما حققته وقد ساعدني على ذلك بالالتزام بالتعاليم الشرعية في كل تفاصيل حياتهن. وتلك نعمه تستحق الشكر. والحمد لله رب العالمين. فقد وفر لنا الدين الإسلامي كل

ما نحتاجه، لكني نعيش حياة أمنة. فالبنيت جوهرة ثمينة تستحق الاهتمام والرعاية.

كنت قبل أكثر من أربعين عاماً أسكن في شقة سكنية بمنطقة تدعى كنتشسناون ببريطانيا، وكانت الشقة ملكاً لامرأة بريطانية عجوز، كانت كثيرة الخرد عليّ في الشقة من أجل معالجة أدوات مطبخها المصنوع أغلبه من الزجاج، والتأكد من عدم تلف شيء منها.

ذات مرة سألتني العجوز بعد أن اطمأنت على أملاكها عن رأيي في الميني جوب واليكروجوب. وهما لباسان كانا في تلك الأيام جديدين على الناس. وبدو أن منظر هذا اللباس السيئ قد أثار اهتمامها وبخاصة أنه يكشف عن جسد المرأة بشكل معيب. أرادت المرأة معرفة رأيي في الأمر، لكنني رددت إليها السؤال فطلبت رأيها. كانت العبارة التي قالتها لي كافية ومتوازنة مع ما نادت به الشريعة الإسلامية. قالت لي بعبارة صريحة: إن المرأة مثل الجوهرة المحصنة، فإذا أخرجت محاسنها انتهت قيمتها. وذلك هو الرأي الصائب. فالبنيت يجب أن تكون مصونة، وهذا أفضل لها.

على الخفلي

على إمتداد سنوات طويلة ظلمت أعمل صرافاً عند أخي صالح براتب صغير. ثم في سنوات بعدها ظلمنا أخي صالح وأنا شريكين في شركة واحدة تعمل في الصرافة وبعدها بسنوات كثرت الشركة وكثر عدد الشركاء بانضمام بقية أشتائتي فيها، وظلمت أنا على قيادة العمل أدير وأنفذ برفض تام من الجميع.

اليوم كثرت الشركة وتعددت فروعها وأصبحت بجانبها أملك عدداً من الشركات والمصانع المهمة - والله الحمد - وفي المقابل كثر أبنائي. وتالوا من التعليم ما يؤهلهم لإدارة العمل.

وكما تدرجت أنا في أعمالي. وتدرجت خبراتي ومعارفي. اتجهت إلى تطبيق الفهم نفسه في أبنائي من أجل تحقيق الفائدة المطلوبة.

كان صالح وعبدالله أكبر أبنائي هما أول من قاما بالعمل معي. وذلك في أيام العطل ومناسبات الحج. والفصل من ذلك

تعليمهما إدارة العمل وفنونهم علماً بأنني لم أكن أعطيهم أي مقابل لما يقومون به حتى عندما كانا طالبين في المرحلة الدراسية.

وحيثما نألا من التعليم كفايتهما غيّبتهما في وظائف صغيرة، ثم تدرجا إلى مراتب عليا كلّ حسب قدراته.

كانت بداية عمل أبنائي من مدينة جدة التي لم يعمل فيها معي سوى صالح وعبدالله. أما حينما قدمنا إلى مدينة الرياض، وبدأ بقية الأبناء في التخرج من الجامعات ودخلوا مجال العمل في مختلف الشركات، رأيت أن من الأفضل توحيد الجهود وصيها في الجاه واحد.

والحقيقة أن كلاً منهم قد وجد ما هو مناسب له ولإهله ولقدراته التي يمتلكها. وأنا في ذلك أشأركهم وفق خبرتي وأرائي التي أظنها مناسبة. وذلك من أجل تهيئتهم لقيادة العمل من بعدي - إن شاء الله - بطريقة صحيحة خالية من التنافس والأنانية.

اليوم ولله الحمد يضطلع الجميع بالمهام الموكلة إليهم على أفضل ما يكون. فبعد صالح وعبدالله واصل الآخرون التدريب ذاته.

والحقيقة - أن الإنسان في العادة ينال الكثير من خبراته في الحياة من العمل الذي يمارسه. ويظل في أثناء ذلك أسيراً لظموحاته

واهتماماته التي يود إشباعها عن طريق العمل الجاد الشديد. وهذا ما جعلتنا في كثير من الأوقات نعمل على إحداث بعض التغيرات والتفلات النوعية في مسيرة العمل. ونحن لن ننسى في كل ذلك أن كل إنسان مُيسَّر لما خُلِقَ له.

نعم ... هم أنفسهم

ثمّة مشهد ربما شاهدته بعض الناس الذين كانوا ينزلون في إحدى الجزر الصغيرة القريبة من جدة على ساحل البحر الأحمر منذ عشرات السنين. وربما شاهدته بعض من كانت لتفاته مياه البحر في ذلك المساء.

رجل في متوسط العمر يجري ويحمل في يده رأس خروف مطبوخ وخلفه آخرون يحاولون اللحاق به. وحينما يحس الأول بقرب الإمساك به يذف بنفسه وسط مياه البحر. وهو ما زال مصراً على أكل الرأس.

لو قدّر لأولئك الذين شاهدونا في ذاك اليوم مرة أخرى ونحن في وسط أسواق المال في مكة المكرمة وجدة لما كان لهم أن يصدقوا أن هؤلاء الرجال الذين كانوا يتناطحون على رأس خروف هم من رجال الأعمال المتنافسين. ولربما ظنوا أن ذلك المشهد صورة لما يحدث بينهم في عالم المال والأعمال.

لكن الحفيظة أنسى وشفيقي صالح ومحمد وعبد العزيز وناصر السبيعي لم تكن في ذلك الشهد سوى أضواء يملكون حفيظة ما هم عليه في الحياة إذ لا يمكن أن تحدث مثل تلك الحكايات الأليفة إلا بين أناس تربط وشائج الحب العميقة بينهم.

كان منزل السبيعي في جدة ومكة المكرمة وطوال فترات ممتدة من أيام العمل الأولى ملجأً وملاذاً هادئاً لي ليس هذا فحسب بل كنت أجد في أحواله ما أحفاجه من عطف وحنان.

وكنا برغم المنافسة واختلاف وجهات النظر بيننا في بعض الأحيان نظل في أحسن حال وكأننا كنا نحقق تطبيقاً عملياً لما هو معمول به (وقت للعمل .. ووقت للحياة).

ذات يوم غائم جميل دعانا رجل يدعى ابن عبد الرب للخروج إلى البر للاستمتاع بمشهد الطبيعة وبطعم لحم النيس.

ولكني نستمتع بطعم المطهي احضرنا كميات من المقبلات الشهية. وحينما كان أحدها يجهز اللحم ويختار ما يناسبنا أجهزت أنا في ثوانٍ وفي غفلة من الجميع على الكبد (الثينة). وقد ظن الجميع اكتفائي بما أكلت ومن ثم خروجي من المنافسة. غير أنني كنت أجلس وأنظر إليهم معبناً لهم في داخلي مفاجآت أخرى.

كانت قطع اللحم للثينة والمختارة بعناية على وشك النضوج وقد تفاجأ الجميع الذين كانوا ينتظرون نضجها بارتفاعها في الهواء. حيث كنت في غفلة من الجميع قد أخرجت حذائي ولفذفت

به الحجر الذي كان يُشَوَّى عليه اللحم. ولذقه التصويب طارت
قطعة اللحم إلى أعلى. وطرت أنا ورائها، وطار الجميع خلفي وعبثاً
حاولوا اللحاق بي غير أنهم لم يعثروا إلا على العظام.

وعندما كانت الشمس تميل نحو الأفق في ناك اليوم كان الجميع
قد تعب من جولات الكرّ والفرّ التي كنت أنا وغيري نحدثها. وكنا
على استعداد تام لخوض الحياة مجدداً ولكن في ميدان آخر.

قائمة طويلة من الأسماء كنت وما زلت مع معظمهم نداوم
على الإغاء والصدافه. ربطني ببعضهم العمل فيما ربطني
بالباقين شؤون الحياة.

فمع الإخوان محمد وعبد العزيز وناصر السبيعي هناك سالم بن
محفوظ الذي كان يعمل في مجال الصرافه. وقد كان رجلاً يملك ذاكرة
قوية وقدرة رائعة على الإدارة وبالرغم من الصداقة التي ربطني
معه بحكم العمل في مجال واحد إلا أنها امتدت إلى صرافتي رحمه
من الأخوة الصداقة ولستوات قبل أن يتوفاه الله سبحانه وتعالى
واليوم ما زالت وشائج تلك العلاقة تمتد مع أبنائه.

وأنا أُلحِث عن الصداقات التي ربطني مع بعض الإخوة لا
يمكنني أن أنسى بأي حال من الأحوال عمر العيسائي رحمه الله
الذي تربطني به صداقة قوية امتدت أكثر من خمسين عاماً
وهو -للحقيقة- رجل يتصف بالأمانة والأخلاق العالية الكريمة
والوفاء. وكان رحمه الله لا ينقطع عن السؤال عني في كل الظروف

والأحوال بالرغم من تفصلي معه في بعض الأحيان. وقد عرفتته رجلاً يحب عمل الخير كثيراً.

وفي القائمة هناك أسماء كثيرة: سليمان الرشيد الذي ربطتني معه شـؤون العمل في الأيام الأولى حينما كان بالدمام وما زالت إلى اليوم .

كما أن هناك علي الجفالي، ومحمد أبو داود، ومحمد باخشيب، وأحمد باعوضه، وعبد اللطيف وعبدالله الرويع، وسليمان المقوم، وعبد العزيز بن شفري، وعبدالله السعيد، وعبدالرحمن العمودي، وعمر بادحدج، وسعيد باسـمـج، وعمر العيسائي رحمه الله وهناك من الأسماء: علي الحمد الراجحي وعبدالرحمن الحمد الراجحي رحمه الله، ومحمد صالح الحديثي، وصالح العبدالله الراجحي (أبو زيد) رحمه الله، وصالح العبدالرحمن الراجحي (أبو جابر)، وعبدالله العلي الحمد الراجحي (أبو عبد الحميد)، رحمه الله، وعبدالرحمن بن علي العسـبـهان رحمه الله، وصالح المسلمان رحمه الله، وعبدالله الريدي وسليمان الخلف، وعبدالله الصويغ رحمه الله، وعبدالله العبدالرحمن الراجحي، وموسى الحمد رحمه الله، وعبدالله الدريبي الذي رافقتني في العمل منذ وقت مبكر. بالإضافة إلى هؤلاء الإخوة هناك إبراهيم الخضيف رحمه الله، وصالح الهيدان، ومحمد الحبسني، وغيرهم كثير.

نحتاج إلى أن نكون معاً...

ذات يوم وبعد غياب ثلاثة أشهر عن عائلتي الصغيرة زوجتي
وطغلي ذي الأشهر القليلة عدت إلى الرياض.

كانت أمي قد رحلت، ومكانتها الذي اعتادت الجلوس فيه أصبح
خاوياً والحق أني وبرغم الحزن كنت أحمل في داخلي بعضاً من
الفرح، لبس الزميني زوجتي وطغلي الصغير فقط، بل لأنني كنت
أحمل إجازاً كبيراً لأخي الأكبر صالح الذي علمني الكثير من الدروس
المهمة في حياتي.

كانت نتيجة الأعمال التي قمت بها طوال ثلاثة أشهر في جدة
قد أثمرت أرباحاً فاقت السنين ألف ريال، وكانت بكاملها ملكاً
خاصاً لأخي صالح. أما أنا فلم أخذ منها سوى تسعين ريالاً كانت
مجموع رواتب عن الأشهر الثلاثة.

وعلى مدى الأيام التي امتدت إلى سنوات فاقت العشر ظلمت

مخلصاً وكذلك بغيره أنشغالي كثراً تمارس الاحترام المتبادل.

مرت الأيام مرة أخرى وحدث الانفصال المؤدي. ثم ما لبثت أن انصهرت حواجز الواهنة لتحتوينا جميعاً شركاء في شركة واحدة تحمل اسم العائلة التي ننتمي إليها.

ومرة أخرى بغيرنا كما نحن، في المناسبات الخاصة نقدم كبيرنا على صغيرنا وحينما نكون معاً يقوم أصغرنا بخدمة من هو أكبر منه، وحينما نت لروننا إبداء وشائج تلك العلاقة وقويت واخترت لقيادة العمل المشترك، وأعطيته كامل الصلاحيات لممارسة ما أراه مناسباً لمصلحة العمل وظلت الثقة الراسخة التي كانت أساساً لعلاقتنا الأخوية الثينة بتوفيق الله سبحانه وتعالى. كما ظلت علاقتنا قوية مع أخواتنا؛ مثيرة ومزنة وخضجة ولولو وهدي وموضي ومشاغل والعباء واليندري

اليوم كبرت العائلة المكونة من الأشقاء الأربعة، وتفرعت أصولها، لكنها بقيت كما هي ثابتة لم تتغير. ومن أجل ذلك رأى الجيل الجديد ضرورة ترسيخ تلك العلاقة، فكونوا معاً ما يمكن أن تسميه مجلس العائلة، واختارنا أخي عبدالله الأكبر سناً بعد أخي صالح، عميداً للعائلة كما انضم لهذا المجلس بعض إخواني غير الأشقاء كأخي عبدالرحمن.

الهدف من هذا المجلس الذي حُصِّن له ميزعة أخي محمد في الدرعبة حيث أوقف أخي محمد ميزعته لاجتماع العائلة الدوري لتعميق

وتأكيد وشائج العلاقة بين أفراد العائلة وتقريب القلوب وخصوصاً الأجيال الجديدة ولعل هذا له أهمية كبرى وخاصة في هذا العصر الذي يكتنفه الكثير من النقصات والمشكلات.

تحولات الأصب واليوم..

يقولون إن الذكريات الأولى نطوي عادة على جرح أمّا عندي فتبدو هذه العبارة في غير محلها..

حينما أجلس اليوم لأذكر تفاصيل الحياة التي كنت أعيشها قبل أكثر من سبعين عاماً وأقارنها بما أنا عليه اليوم، لا أملك إلا أن أقول ما كنت أرده دائماً. إن الإنسان كان نهم، لا يشبع، وإن رغبته دائماً في المزيد وانفتاح. ولعل الصورة تكون أكثر وضوحاً عندي حينما أبدأ بتتبع مراحل حياتي بدقة.

لم تخبرني حالات الجوع الفاسية التي كنت أمرُّ بها وأنا أحمل على رأسي أغراض شتى لأناس مختلفين في سوق المظيرة إلى الانزلاق في مهاوي الحرام السرقة وأخواتها، بل كانت فثشور الشمام التي أجدها هنا وهناك كافية لإسكات صيحات معدني. وكنت أتمنى الحصول على ريال واحد ثم عندما وجدته ثبتت ألف ريال. وحينما

وجدته مميتة أمية أخرى أن أجد خمسين ألف ريال لأسكن في
الديانة المنورة، وألفرغ للعبادة

وماذا ؟

تحقق ما مميت، ماذا فعلت؟!

مميت ما هو أكثر وأكثر حتى ملكت الأماني مني، ووفقت في
تحقيق الكثير، وبين هذا وذلك كنت أنسى الزواج، وكنت كما كان
يفكر أندادي في معنى الآية الكريمة: "إن يكونوا فقراء يغفرهم الله
من فضله"^(١) ونظّل وبحسب اعتقادنا في انتظار الأموال التي
ستساقط علينا تبعاً

وكنت أسأل نفسي: متى سأكون مثل أبي وأصدقائه؟

ومتى سأزق بأبناء وينات؟

صصت الأهم وتحقق الكثير واختلعت الحياة، واختلف أناسها
كان الجيل الذي كنت واحداً منه يعيش في ظروف حياتية صعبة
لكنه كان يتصف بصفات مبرزة، الجدية في العمل، والصبر عليه
وذلك ما نكاد نفقده اليوم في بعض أفراد هذا الجيل.

والحقيقة أن أفراد جيلنا كانوا من أولئك الذين يباشرون أعمالهم
بأنفسهم حتى وإن كان لهم مساعدون من أبناء أو عمال قادرين

١٥ سورة النور، الآية ٢٩.

على حمل الأعباء عنهم كما كانوا حريصين على الكسب الحلال
مهما توافرت أصداده وتنوعت.

والحقيقة التي أريد أن أؤكد عليها هي أن لذة الحياة في الأيام
الأولى لا تضاهي وإن تحققت الرغبات والأمنيات. فإن على الإنسان
أن يعمل وهذا ما فعلته وفعله الكثير من أفراد جيلي الذي كان
يعمل وفق قاعدة واضحة أحب أن أذكرها هنا من أجل هذا الجيل
الذي نحن بينه الآن.

كان للصدق قيمة ثابتة وأصيله في كل تعاملات الحياة وفي
مقدمتها ميدانها التجاري. كما كان الجميع يؤمن بأن الأوراق
مكتوبة ومقدرة. وما كان عليهم لفظها إلا العمل والعمل. أما
إذا لم يوفقوا فإن هذا هو نصيبهم وما عليهم إلا تركه والاتجاه
إلى أعمال أخرى.

ولأننا فهمنا هذه القواعد وعملنا من خلالها نجحنا في تحقيق
ما نحن فيه. ولأجل ذلك كان للحياة طعم آخر غير ما نذوقه
اليوم. لكن ذلك لا يعني غياب تلك القيم والقواعد من عالم
اليوم. وإنما هي الحقيقة بشوئها بعض الضباب الذي يمكن إزالته
بالرجوع إلى الأصول.

أحبهم... أكرههم...

عشت حياتي بسنواتها المديدة وأنا أحب المشي كما عشتها وعركتها وأنا أكره الكسل ... في بداية حياتي كنت مرغماً على المشي، والمشي مسافات طويلة وساعات عديدة لأقوم بتحقيق شيء نافع، وقد كانت هذه العادة التي أحببتها بمرور الأيام تقدم لي فوائد كثيرة ليس على جسدي فقط، بل على مستوى تفكيري وعملي فيما بعد...

الحقيقة أن تلك الخطوات التي كنت أخطوها قد أناحت لي صفاء نهياً فريداً، كما أناحت لي في الوقت نفسه فرصة للتأمل والمراقبة. لقد كان المشي عنصراً مهماً مهّز شخصيتي وانعكس ذلك واضحاً في عملي للمتابع.

وأصبح فيما بعد واحدة من المكونات الأساسية لتصوراتي للعمل والحياة، فارتبط عندي بالعمل الشاق، وتحمل الجوع وحمل

الأشياء التافهة والاكتفاء باليسير من الماء والغذاء ومن ثمّ أصبح عنواناً لمطلوبات العمل بل شرطاً من شروط إجازه الأساسية. وقد أدى هذا التكوين الذي انتظمت صورته عندي إلى كرهى للكسل وكرهى للذى يتصف به.

فى العمل غالباً ما أكون على استعداد لتجاوز عيوب أى رجل عامل عندي إلا الكسل. فهو عندي دلالة على عدم حبه للعمل الذى يعمل فيه. كما هو دلالة على الخاخي والتذمر وعدم الصبر بعنى عندي عدم مقدرة صاحبه على الاستمرار والإجتهاد.

وفى البيت حرصت أشد الحرص على طرد الكسل . فعلمت أنا وزوجاتي على نهج أدبائنا على كرهه. وحبهم فى المقابل للشدة والصبر والتحمل التى هى فضلاً عن كونها ثباتاً رجولية فإنها فى الوقت نفسه تمثل عندي شروط العمل الناجح وقيمة للعامل الفاعل.

الحقيقة أن جيل اليوم فى أمس الحاجة لغرس هذه الخصال فى نفوسهم كما أنهم فى أمس الحاجة لترك الكسل وحبابة الدعة والترف وكثرة التذمر إذ كيف له أن يطالب بالحياة الهائنة وهو غليل الإنتاج كثير المطالبات؟

لقد تعلمت من خلال حياتي العملية الطويلة أن كل الأعمال يمكنها أن تكون شريفة إذا خلت من الغش والخيانة والسرقه.

ومارسها صاحبها وفقاً للشرعة الإسلامية.

ليس في قاموسي عمل متواضع وآخر غير متواضع. فكل الأعمال تعد سواء ما دامت تحقق الذات ويعتمد عليها ويستغنى بها في الوقت نفسه عن الآخرين. إنَّ الرجل العامل لا يخدش قيمته في رأي سوى الكسل والنهائون ولذلك قال أمير المؤمنين ع ربن الخطاب رضي الله عنه وعن أصحابه أجمعين "إني لأرى الرجل ليس في مهنة في الدنيا ولا في عمل للآخرة فيسقط من عيني".

هنا نعم .. أما هناك فلا ..

لقد كانت الظروف الحياتية التي نشأنا فيها صعبة جداً، ولعلها هي التي صبغت حياتنا وحباة الكثير من أفراد ذلك الجيل بالدقة والتفكُّف والبساطة..

لم أحب يوماً التذير، كما لم أحب البخل، وإنما أحببت البساطة والتدقيق في إنفاق المال، ولعل هذا سمة طبيعية ومشتركة لدى الكثير من أفراد جيلنا الذي نشأ في وسط المملكة العربية السعودية بسبب ظروف النشأة الصعبة والفاسية..

أعتقد أن البساطة يجب أن تميز كل حياتنا: ملابسنا، ودورنا، وتعامُلنا وطعامنا وشرايينا، كما يجب أن نعرف المكان المناسب الذي يجب أن نذهب إليه أموالنا، إن التذير هو حالة من حالات الجهل والاستعراض والكفر بالنعمة، وهو كفيل بسد أبواب الرزق.

لقد أدرت منذ بداياتي الأولى أنَّ في كل شيء قيمة كامنة

وميزة اقتصادية غير مستثمرة ولا يمكنني بأي حال من الأحوال التفاوضي عنها أو الابتعاد عنها، ومن أجل ذلك كنت وما زلت دائم الاهتمام بالطرف الخفي في كل شيء، وكنت وما زلت عدواً شديد الضراوة للتبذير والاستعراض والبذخ ونصبوا قوياً للتواضع والبساطة. والتسامح.

ولهذا الاعتراف بعض التفسيرات . فأنا في جانب محب للبخل والإنفاق في الأعمال الخيرية ولله الحمد وحريص على أن يكون إنفاقي فيها دائماً ومستمراً. ولذا كنت حريصاً على وضع الضوابط لأوقافي حتى لا تطوب وتنتلشي مع الزمن.

فالأعمال الفردية في الغالب تتلاشى مع ابتعاد منشئها، لذا كنت حريصاً على بقائها وفقاً للضوابط والأنظمة التي وضعتها.

وأنا محب للدقة فيما عدا ذلك. لأنه ببساطة غير باقي إذ يمكنني تحقيق رغباتي اعتماداً على الأقل. ما يضمنني أن أكل خبز الأمس اليابس أو أشرب ماء من القاع!!

من المهم جداً أن يعرف الإنسان الفرق الحقيقي بين التبذير والبخل من ناحية والدقة والبساطة من ناحية أخرى.

وكذلك من المهم أن يعرف حدودهما ومكانتهما . حينها سيعرف كيف يستخدم هذه الأموال

هـ هو الطريق الوحيد

في بدايات حياتي لم أستطع مجازاة الحياة الدراسية، كما لم أستطع البقاء في المكان نفسه مدة طويلة. فودعت مقاعد الدراسة باكراً، ومع ذلك استقطبت في مشاريعي وشركائي النعدة أبرز التخصصيين، فاستفدت من خبراتهم العملية كما استفادوا هم من أفكاري وافتراحاتي.

لقد أدركت مبكراً ومع ابتعادي عن المقاعد الدراسية أن الله قد بسّر لي طريقاً آخر يمكنني من تحقيق الكثير.

هذا الاعتقاد أضيقني على شخصيتي منذ وقت مبكر نوعاً من الاعتزاز والثقة بالنفس وبالقرارات التي كنت أتخذها، لأن هذه الثقة كانت في الأصل معززة بحسن إيماني عميق بأن الله سبحانه وتعالى سينولاني بالرعاية والحماية والتوفيق، ولن يخذلي أبداً، ومن هنا كنت جَمُوراً في تنفيذ الكثير من المهام دون خوف.

كنت أرسل الملايين من الأموال داخل المملكة العربية السعودية وخارجها دون أدنى خوف من فقدانها أو ضياعها. ودون أية ضمانات ضرورية أو غير ضرورية. بل وحتى دون معرفة من يحملها. ومع ذلك لم أفقدُ شيئاً واحداً في كل هذه العمليات في حين يتعرض غيري - كثيراً - لمسائل فادحة بالرغم من الإجراءات الاحتياطية. وبهذه الثقة العززة بالإيمان كنت أقدم للخبراء والاختصاصيين الذين يعملون معي عدداً من الاقتراحات والأفكار التي كانوا يرونها غريبة وخالية من كل قواعد السلامة والاحتياطات اللازمة ومع ذلك تنجح في تحقيق ما نريد والحمد لله.

اليوم كما كنت بالأمس ما زلت أؤمن بعمق بأن (المواهب الريانية) مختلفة ومتفوقة على المواهب العلمية والأكاديمية. لإدراكي بأنني - والله الحمد - أمتع بشيء منها. ولعل هذا ما جعلني أخط لنفسني درياً مغالراً وأتميز في مبادرات ونشاطات كثيرة وكبيرة ومتباينة. فأحقق فيها النجاح. ليس هذا فحسب بل لإدراكي بأن توفيق الله لي هو الذي ساقني إلى النجاح فيما فشل فيه الآخرون.

الحقيقة التي يجب أن ندركها أن التعليم المدرسي ليس هو الطريق الوحيد للمعرفة والابتكار مع أنه مهم بلا شك.

اكتشاف المعمل واستثمار الآشياء...

لقد وقفني الله سبحانه وتعالى في تجاوز الظروف الحياتية الصعبة التي وجدت نفسي فيها، ليص على مستوى حياتي الشخصية الضيقة وإيما على مستوى الحياة بشكل عام. وحيثما كان زمن الطفلة والنهضة الكبرى التي شهدتها المملكة العربية السعودية وما زالت والحمد لله لم أنوف وأكتفي بالخيارات التجارية الضيقة التي شرعت نوافذ الريح المحدود.

كان المشهد التجاري الذي أحدثته الطفلة الاقتصادية السريعة والتنويع فرصة للجميع، فقد شُرعت الأبواب من كل جهة للكسب السريع. لكن ذلك لم يكن لكل شخص وإيما كان لمن يريد أن يعمل.

بادر الكثيرون لاغتنامها وفتحوا فيها. وكنت من بينهم. ولكن حينما ركن البعض للأعمال المريحة السهلة التي مسحت عنهم غبار الفقر ومعاناة الأيام السابقة واصلت أنا وغيري الطريق.

الحق أنني كنت مدفوعاً للعمل بطاقة وروح وثابة لا تعرف الهدوء
والسكون والاستقرار. ورغم تلذذي بالأرباح والمكاسب الكبيرة التي
رزقنيها الله سبحانه وتعالى، إلا أنني لم أتوقف لعلمي أن العمل
هو الأساس الرئيس لتصرف هذه الطاقة واستثمارها إيجابياً.
إن العمل المستمر يشكل الأرضية الطبيعية لامتصاص القدرة
والطاقة التي أملكها. وهو ما هيأ لي وفتح أمامي أبواباً متعددة
ومجالات كثيرة للتفتح والنمو. عرفت من خلاله أن العمل والإبداع
غير متصل بمجال واحد أو قطاع معين، بل هو ممتد بامتداد الأفق.

لا يعني لي إشباع نشاط معين نهاية المطاف، بل هو ورقة وفرصة
للصعود إلى نشاط آخر وأرض خصبة جديدة قابلة للبذر والنمو والتفتح.

كم كان منعاً هذا التطفل والتطلع إلى آفاق جديدة ولا سيما
أنها كانت تحديف إلى رصيد خبراتي وخبرات ومهارات جديدة وأفكاراً
أخرى. حتى أنها كانت تسوقني إلى التطلع لاستثمار الفئات أو
كما يراه غيري.

لم تكن الإشارة المتساقطة من ألواح الخشب أو بقايا أوراق الشجر
أو حتى روث الحيوانات في نظر الكثيرين سوى لاشيء، ولا فائدة منها.
أما عندي فقد كانت تعني لي الكثير. ولذا فمت باستثمارها وعندما
صدقت نظرتي، أدرك الآخرون أنها شيئاً ذا قيمة كبيرة. وعندما
التفتوا إليها كنت قد سبقتهم بمراحل طويلة.

لا يحتاج رجل الأعمال إلى المال والعمال والآلات لكي يستثمر
ويحقق الأرباح. بل المسألة هي نظري أكثر من هذا بكثير. فمنه أمور
أخرى لابد أن تتقنها: الرؤية الشافية والفهم الدقيق. واكتشاف
المهمل وفهم البيئة المحيطة بالعمل .. وفوق ذلك الفهم والإيمان
والتيقن بأن كل شيء هو بتوفيق من الله سبحانه وتعالى.

أين أضع أموالى.. كيف يفكر رجال الأعمال؟

لكل شيء قيمة وميزة اقتصادية، ما تراه أحياناً شيئاً ثانوياً هو عند غيرك بخلاف ذلك، وما تراه غير مجد عندك قد يكون نافعاً لغيرك أو لاجتماعك، من المهم أن تفكر تفكيراً جماعياً باستخدام ضمير الجماعة، هذا مهم في أحيان كثيرة، وذلك هو ما نادى به ديننا الإسلامى الحنيف.

الحقيقة أن الكثيرين يخلون دفع ريال واحد لعمل جماعى، في حين أن أحدهم على استعداد لدفع أضعافه في شيء يرضى به نفسه.

في أحيان كثيرة يتجه الناس إلى الإسراف دون وعى، فبالرغم من وجود خيارات كثيرة لتجاوز هذا الإسراف إلا أنهم يتجهون إليه دون التفكير في بدائل أخرى.

نحن بحاجة إلى أعمال عقولنا لتحقيق ذلك.

قبل أكثر من خمسين عاماً كنت أستخدم ظروف البرقيات

الأكتب عليها الحسابات والعلومات التي أريدتها وأصبحت تلك عادة أصيلة عندي. فأصبحت الأوراق النظيفة عندي أياً كان مصدرها شيئاً مهماً يمكن الاستغناء منها. وقد نقلتها معي إلى جميع أقسام الأعمال التي أدبرها.

في شركة الراجحي المصرفية عممت التجربة. فأصبحنا نقوم باستخدام الظروف أكثر من مرة، فنلجأ إلى إزالة العناوين والأسماء السابقة بطريقة فنية. لم نعاود الكتابة عليها. وقد وجدنا أن هذه الطريقة توفر لنا الكثير من الأموال. لاسيما أن أسعار بعض هذه الظروف وخاصة الكبيرة منها تصل إلى ربع ريال وأحياناً أكثر من ذلك.

حدثني أحدهم ذات مرة بأن الذكير وهو أحد أكبر رجال الأعمال بالعراق. ويحمل الجنسية السعودية. استرد من أحد البدو القادمين من نجد قرصاً مالياً بسبب إسرافه بحسب نظريته. إذ رآه بعد أن أقرضه المال وكانوا يجلسون بجانب النار في إحدى الليالي الباردة. وهو يخرج عوداً من الثياب لمشعل به سيجارته. ولأنه رجل اقتصادي بحث أغضبته فعل الرجل الذي كان بإمكانه إشعال السيجارة من النار الموقدة بجانبه.

الحقيقة - أن كثيراً من الناس يصفون مثل هذا التفكير وهذه الأعمال على أنها نوع من البخل والنفقار. وهم في ذلك مخطئون

خصوصاً إذا نظرنا إليها من نواح أخرى أكثر شمولية. فالتفكير بهذه الطريقة لا يعني أن هذا الشخص أو ذاك غير نافع لمجتمعه أو وطنه والحقيقة أن هؤلاء في الغالب أكثر الناس نفعاً

طُلب من مجموعة من الشباب في باكستان القيام بجولات على عدد من التجار لجمع التبرعات لبناء أحد المساجد الكبيرة. وفي أثناء هذه الجولة صرت إحدى هذه المجموعات على واحد من أكبر التجار هناك وفي أثناء دخولهم عليه وجدوه يتحدث في الهاتف وهو يقوم بإشغال سيجارته بنصف عود من الشفاب على حين يقوم بالاحتفاظ بالأخرى. وعندما رأيت المجموعة التي قدمت لأخذ التبرع ذلك منه همت بالرجوع والخروج من محله ولكنه فطن لهم فسألهم عن سبب ذلك فقالوا له، في الحقيقة داخلنا اليأس منك حينما رأيناك تفتصد في عود الشفاب.

ضحك التاجر وقال لهم: إن ذلك هو ما أقوم به مع نفسي لأنني بإمكانني الاستفادة منه. أما بخصوص العمل الخيري فأنا ليست كما تظنون ثم قال لهم انهبوا واجمعوا الأموال وعندما تنتهون انظروا كم تفيض لبناء المسجد فأنا على استعداد لدفعه كاملاً.

العمل واللهو.. فهم المضمون

لم يكن العمل عندي يوماً ما شيئاً بغيضاً أحاول الهرب منه أو الابتعاد عنه. كما لم أستخدم في مفردات أحاديثي كلمة تعني ضغط العمل أو كلمة نوازي مضمونها: لأن العمل في رأبي هو أبصر الأمور وأسهلها ولا يأتي من وراءه إلا الكثير من الفوائد مهما أنفق الإنسان في أدائه من الوقت والجهد.

في المقابل يخسر الذين يفضون ساعات طويلة وهم يلتهون أو يلعبون بإحدى الألعاب. يخسرون الكثير من الوقت والجهد دون فائدة مع عدم استعدادهم لتمضية نصف أو ربع هذه الأوقات في أداء عمل مفيد.

في الحقيقة.. إن الإنسان لا يمكنه أن يؤدي أعماله بنشاط وأمانة ما لم يحب عمله. كما لا يمكن أن يحدث هذا الحب ما لم يعزز في داخله النتائج الإيجابية التي يمكن أن تأتي من وراء العمل.

إن العمل المنظم حتى وإن لم يكن مريحاً بما فيه الكفاية يحمل للنفس ألواناً من السعادة واللذة عاصده إذا ربطها بالاحتساب الكامل والإفئتناع النام والإيمان العميق بأن ما يقوم به يحقق لنفسه ولدينه ولوطنته ولأهله أعظم الفوائد. وأن ما يقوم به من عمل ليس إلا نوعاً من أنواع العبادة.

إن العسل حقيقة يحيي النفس ويقوي القلب والجسد على مواجهة متاعب الحياة، ويغرس في النفس نوعاً من السعادة على عكس اللعب واللهو الذي يرهق الجسد والنفس.

لكن ذلك لا يعني أن على الإنسان قضاء جل وقته في العمل؛ فالنفس البشرية تحتاج إلى الراحة والسكون حتى تستعيد حيويتها.

بين زحمة الأعمال الكثيرة التي أقوم بها أخصص لنفسني في كل عام وقتاً للاستراحة أفضيه بعيداً عن شؤون العمل وشجونها، بالانفصال كاملاً عن أجواء العمل.

كثيراً ما أوافق مجموعة من الأصدقاء من هم في عمري أو قريب منه للخروج في رحلات برية لقضاء أوقات جميلة يغلب عليها المرح والراحة.

ورغم أنني من محبي الرحلات البرية إلا أنني أرفض بشدة

الكثير من الممارسات الخاطئة التي حدث فيها، مثل الانقطاع عن العبادة وتضييع الصلوات والسهر الطويل، والصيد الجائر، والإنفاق الكبير الذي ينفقه هؤلاء في شرائهم لأدواتهم ومعداتهم، مع إخلالهم بالنظام البيئي، فالكثير من هذه الحيوانات والطيور التي يقوم الصيادون باصطيادها تكون في الغالب ذات فائدة كبيرة لبيئتنا.

في مشروعنا للروبان اكتشفنا أن جمع الطيور البحرية على أحواض الروبيان دليل على وجود بعض الأمراض فيها؛ لأن هذه الطيور في العادة تتجمع لأكل الروبيان الميت، وكثرة هذه الطيور يعني كثرة تفوق الروبيان النافخ من وجود بعض الأمراض.

إن هناك الكثير من الحيوانات والحشرات ذات فائدة كبيرة للبيئة والإنسان، ويجدر بنا الابتعاد عن صيدها بطريقة جائرة.

والحق أن النزعة البرية والانقطاع عن العمل بعضاً من الوقت يتيحان للإنسان وقتاً للنأمل والراحة وشحن للطاقة للعودة بكل نشاط إلى العمل الذي يحبه.

معايير العمل والحياة

كانت الحسائر التي تسببت في تجريبي الأولى من مشروع الدواجن بالغصيم كبيرة جداً. ومع ذلك لم أفكر في إيقاف التجربة وإنهائها: . لأنني كنت - وما زلت - موقناً بأن التوفيق بيد الله سبحانه وتعالى. وأن العمل الصالح والصادق لا بد له من النجاح.

كما أن النظرة الصحيحة والدقيقة للمعايير التي يقوم عليها أي عمل هي التي تحدد مدى نجاح العمل.

ولأننا مسلمون فإن الاهتمام بهذا الجانب يبقى ضرورياً خاصة أن أي عمل - مهما كان صغيراً أو ثانوياً - لا تقوم معايير الأساسية على طاعة الله سبحانه وتعالى. فكيف يكون فاشلاً، لأنها تبعدنا عن الغاية التي وُجدنا من أجلها في هذه الحياة.

والحقيقة التي تستشفها من هذا المعنى أن مراقبة الإنسان لجميع تفاصيل عمله وإخضاعه لهذه المعايير الأساسية ينسحب

على صجل شيوخ حباله.

ولذا يبدو أن اهتمام الآباء بفرس هذه العابرين في نفوس أبنائهم منذ الصغر شيئاً مهماً لكي يتشربوا عليها.

لكن هذا لا يمكنه أن يتحقق إلا بالتطبيق الخفيف أي أن يكون الأب في البدء مهتماً بهذا الأمر، إذ لا يعقل أن يشاهد الابن أباه في البيت قد عاد مبكراً من عمله، فيظن أن ساعات العمل هي دون ما هو متعارف عليه بين الناس، أو يشاهده في عمله وهو ينفق معظم وقته يتحدث في الهاتف أو يتشغل بأمرٍ ما خلاف العمل.

فبجانب الاهتمام بهذه العابرين الأخلاقية التي من شأنها بناء جيل عامل محب للعمل فإن مزج الخبرة العملية والدراسة الأكاديمية أمر مهم. وهذا لا يتحقق إلا بالخبرة المبكرة.

لقد كان الجيل السابق يمارس أعماله في أعوام مبكرة من عمره فمع الدراسة كان الآباء يهتمون بمرافقة أبنائهم إلى الحقول للعمل ورغم أن الظروف الحياتية اليوم قد تغيرت، إلا أن ذلك يمكن أن يحدث، خصوصاً أن هناك الكثير من الخيارات اليوم.

وفضلاً عن ذلك، فإن بإمكان الأب تعليم ابنه منذ وقت مبكر معنى المسؤولية، بإشراكه في تنفيذ بعض المهام المحيية إلى نفسه

ما يعزز ويساعد في بناء شخصيته، ثم إن مشاهدة الابن لأبيه وهو يقوم بالإشراف المباشر على عمله وتواجده بصورة منتظمة على رأس عمله وإدارته أمر مفيد.

بهذه المعايير وبغيرها نستطيع بناء جيل يؤمن بأن النجاح في العمل إنما هو أمر رباني وبأن الصدق والأمانة ضروريان ليس للعمل فحسب بل للحياة كلها.

75

دروس رحلة قديمة

ليس هناك شيء أفضل من أن يعيش المرء سليم الصدر، ففي خضم الحياة وأعمالها ومشاكلها، يقع بين المرء والناس ما يعكر الصفو ويلاً القلوب بالمنغصات، وقد جئنا إلى ذلك بعض أمور بسيطة.

لقد تعودت طوال حياتي على تنقية قلبي وصدري من كل الشوائب التي تعكر صفو حياتي، فماذا يستفيد الإنسان من حمل الضغائن في قلبه تجاه الآخرين، أو تجاه عابر سبيل؟.

إن صفاء النفس الذي يحدث بالمرافقة الدائمة لمثل هذه الأمور يساعد صاحبه على التركيز على ما هو أهم، فيصبح شخصاً نافعاً ومنتجاً لا يكثر لمصفات الأمور وفي المقابل يساعد صفاء النفس على استرجاع الذكريات الطيبة التي تملأ الراحة على النفس.

في رحلة من رحلاتي السنوية التي كنت أقوم بها إلى البكرية لتوزيع زكاتي وركلة إخواني وبعض الصدقات.

وكانت الرحلات في تلك الأيام تتم على اللواري التي يتطلب السفر بها البقاء على ظهرها مدة طويلة قد تمتد إلى ثلاثة أيام.

وكانت المقاعد الوحيدة التي توجد في مقدمتها تتطلب حجزاً مسكراً. ولرغبتني في السفر عليها فمضت بذلك في الوقت المناسب. غير أنني فوجئت في الوقت المحدد للسفر بوجود راكب آخر كان هذا الراكب أمير إحدى القرى، وكان معه ابنه وابن أخيه مع أصدقائه العشرة. وأصر أن يأخذ مقعدي في السيارة، وعيناً حاولت إقناعه بترك المقعد. وحينما لم جد حلاً للمشكلة حضرني السائق بجانيه في محاولة لإيقاف الجدل الذي طال بيننا.

بعدها سارت الرحلة بسلاسة. غير أننا كنا نحمل في أنفسنا ما نحمله من حرارات.

في اليوم الثاني وصلت رحلتنا إلى الركبة التي كانت تتوقف بها السيارات عند مرزعة أحد الأشخاص الكرماء. واسمه محمد السنيدى. وكانت تربطني به معرفة وصداقة قديمة. ولأنه كان يقوم بتزويد المسافرين بما يحتاجونه من أغراض. طلبت منه عدم بيع أي مواد غذائية أو زبائح لأمر القرية أو لأصدقائه. وقد نفذ ما طلبت. فحينما جاؤوا للشراء رفض الرجل. وطلب منهم الذهاب إلي. وكنت قد اشتريت تبيحة كاملة.

وبعد تردد جاء أحدهم إليّ وطلب مني شراء نصف الذبيحة بضعف السعر، رفضت. وطلبت أن يأتي بدلاً عنه الأمر نفسه. وحينما جاء بعد تردد طويل طلب مني الشراء. فقلت له: أنا على استعداد لإعطائك ما تريد لكن ليس قبل أن توافق على شروطي.

قال لي وما شروطك؟

قلت: أولاً أن تغيل نصف الذبيحة مجاناً.

وثانياً: أن اتغدى أنت شخصياً معي.

وثالثاً: أن تنسى ما حدث بيننا.

اتدهش الرجل ووافق على ما طلبته منه. وحينما عدنا للسفر مرة أخرى طلب مني الركوب أولاً. ثم قال لي: إن هذه هي المرة الأولى التي يلوي فيها ذراعي شخص ما.

رددت عليه في الحال بأن ما حدث لم يكن (لي ذراع). وإنما قصت به لأجل ألا تتفرق وقلوبنا مليئة بالأحقاد. ولو أردت ما ذهبت إليه لبعثت الذبيحة بضعف السعر.

ابتسم الرجل. وأبدى التودد لي في ما تبقى من الرحلة. بل ذهب إلي أبعد من ذلك حينما دعاني للفهاف معه لإكرامي.

أحب أن يأتي عملي إلى بيتي

يفكر الكثير من الشباب الباحث عن العمل وفقاً لبعض الأفكار الخاطئة التي لا تخدم في الغالب مصالحه العامة، وهو بهذا يحرم نفسه وأهله ووطنه الكثير من الطاقة والفدرات التي كان من الممكن أن تلعب دوراً إيجابياً وفعالاً في تنمية مصالحه الشخصية والعامة.

والحقيقة أن هذا التفكير إما هو نتاج لعدد من العوامل، وهي عوامل لا تخرج في مجملها عن البيئة التي نرث فيها الشباب - فالأب والأم والإخوة والزوجة والأصدقاء جميعهم يشكلون عوامل أساسية في نمط ونظرة الشاب للعمل.

في مجتمعنا السعودي يشكل الشباب شريحة كبيرة من شرائح المجتمع، وهو طاقة تستحق التركيز عليها باعتبارها الأكثر تأثيراً على الاقتصاد، والأكثر إنتاجاً وتضكيلاً للمستقبل. وبالرغم من ذلك فإنه عازفاً عن الإقدام وبناء الذات ويضع لنفسه معوقات

العمل بعض الأخطاء التي تستحق النظر إليها.

ما زال الشباب اليوم يفكر ويبحث عن العمل وفقاً للمكان الذي سيعيش فيه. بدلاً من التفكير في المكان الذي يجد فيه مسنداً لرجله. ولذلك تراه يرفض العمل الذي يكون بعيداً عن مكان إقامته أو المكان الذي يحب العيش فيه. ويظل عاطلاً عن العمل.

وإذا نظرنا إلى الماضي القريب رأينا كيف كان الشباب يتكبد المشاق. ويظل شهوراً طويلة مغترباً عن أهله في سبيل توفير لقمة العيش لنفسه ولأهله.

كان الناس يسافرون إلى الهند والعراق وسورية يفضون في البحار مديداً طويلاً. ويبحثون في كل مكان عن أرزاقهم.

اليوم ليسوا في حاجة إلى كل هذا التعب والمشاق. وإنما هم في حاجة إلى أقل من ذلك بكثير إذ هم في حاجة للابتعاد عشرة أو عشرين أو ثلاثين كيلومتراً. ورغم ذلك ترى الكثيرين يرفضون ذلك ويظلون في سبيل تحقيق رغباتهم فابعين في بيتهم.

الحقيقة أننا حينما نفحص في الأعماق نجد أن هذه عوامل وراء هذا التفكير. فالشباب هو نتاج البيئة التي يعيش فيها. فهو يرى صورة لهذا الرقص من بعض أصدقائه. وربما من والده أو أقربائه. ثم إن دور الوالدين في البيت يلعب دوراً حاسماً في هذا التفكير.

فهما لم يعوداه أو يربياه على حب العمل، والتفكير السلبي تجاه هذا الأمر، وربما ينضم في ذلك الزوجة التي ترفض الانتقال معه للعيش في مكان العمل، وتظل إزاء ذلك سلبية التفكير تبحث عن مصلحتها في العيش في المكان الذي تحب.

في المقابل نجد أن هذه العوامل التي تلعب دوراً مهيماً خلق شباب عامل وقباضي يمكنه التحول بشكل سلس إلى لعب دور مشجع، وذلك إذا قمنا بتغيير نمط التفكير لديه فالوالدان يملكان القدرات اللازمة للتربية، وبإمكانهما توجيه أبنائهما من خلال غرس المفاهيم الجيدة للعمل في نفوسهم منذ الصغر وكذلك تعويد أبنائهما على التفكير الإيجابي الذي يفود إلى المصلحة العامة.

منذ أكثر من خمسة وثلاثين عاماً كان لرجل أعرفه بنتان قام بتزويجهن في ليلة واحدة لأبناء عمهن.

كان أحدهما جندياً يعمل في خفر السواحل براتب لا يتعدى المائة والخمسين ريالاً، وطلب منه الإقامة معه في البيت، ولكن بنفسه كانت ترفض هذه الفكرة طلبت من زوجها الجندي الاجتهاد لبناء نفسيهما، فقامت بمساعدة زوجها، وشجعته على الدراسة، وقد كانت هي في الأصل مدرسة.

أما هو فلم يكن يعلم شيئاً عن القراءة والكتابة، وبالأجتهاد تمكن

الجندي خلال مدة وجيزة من اجتياز المرحلة الابتدائية والمتوسطة. وحصل على وظيفة أفضل، ورتاب يساوي أربعة أضعاف راتبه. ولأن زوجته كانت أكثر فهماً للحياة ورغبة في استمرار التطور عادت إلى الإكتفاء بفارق مئة وخمسين ريالاً من راتبه الجديد. وأدخرت باقي المبلغ في أسهم في شركة الكهرباء. وبمرور الأيام حققا أرباحاً كبيرة مكنتهما من شراء منزل خاص بهما. وظل الرجل يتدرج في وظيفته التي وصل فيها إلى درجة مدير إدارة بإحدى الوزارات منذ سنوات قليلة.

السؤال إذن يتطلب عملاً مشتركاً وتضحيات في سبيل تحقيق الأهداف الكبرى. ومن جانب آخر فإن التفكير السليم تجاه العمل والحياة يقود إلى نتائج جيدة فالافتصاد والنظرة الناقبة في الخرص على عوائد مستمرة تجلبها عاملان مهمان في توفير الكثير من الشاق في هذه الحياة: إتحار المال، وإتحار الصحة.

إن الادخار وتعلم فنونه يجب أن يكون من الدروس الأولى التي يجب أن نتعلمها وأن نغرسها في عقول أبنائنا. فنحن لا نعلم ما يخفيه لنا الزمن. وكما أن ادخار المال مهم يفي ادخار الصحة مهماً أيضاً.

فالجسد يهرم، والقدرات العقلية تتناقص، والساعات والأيام والسنين التي تمر لا يمكنها أن تعود.

فلماذا يظل إذن شبابنا اليوم يضيّع وقته وجهده وصحته وشبابه في البحث عن الأعمال التي تناسبه تماماً وقد يحصل على ما يناسب - وهو هدف وأمنية لكل واحد - . لكن في سبيل تحقيقه لابد من بعض التنازلات والتضحيات.

إن الشباب اليوم في المملكة العربية السعودية - في رأيي - هم أقدر وأقوى من غيرهم في كثير من الدول الأخرى وهم بحاجة إلى أعمال عقولهم وأنفسهم للعمل والاجتهاد. كما أنهم بحاجة إلى التفكير بنضوج ليدرك حب العمل في أنفسهم. ومن ثم بناء الخبرة التي لا تأتي إلا بالصبر وعدم التعجل.

والحق أن شباب اليوم هم أكثر حظاً من سبقوهم في الماضي فهناك منسجع في الخبرات، والفرص مهيأة لمن يريد اكتسابها واستثمارها. لكن ذلك لا ينحقي إلا بالاجتهاد واستثمار الوقت والابتعاد عما هو ثانوي.

العمل في التجارة يتطلب صبراً طويلاً وعزيمة قوية واستخداماً للعقل وبروية وعدم تعجل واعتماداً على النفس . كنت أنا وأخي صالح - في جميع مراحل عملنا- نظل نحمل مفتاح نكائنا في جيوبنا طوال الوقت. ولا نسلمه لأحد. فنأتي في الصباح لنفتح. ونظل به إلى أن نهاية اليوم فنغلقه ونحمله في جيوبنا مرة أخرى.

إن الطموح الذي لا يسند به العمل والاجتهاد هو مجرد أمني

وأحلام بفظه وإن الاستخدام الصحيح للعقل يقود إلى النجاح،
كما أن التوظيف الصحيح له يحقق ويختصر الكثير من الوقت.

لم يكن الشخص الذي اخترع الحاسوب والجوال سوى شخص
استخدم عقله بشكل صحيح فنجح في اختراعه ويمكن لطبيب
اليوم تحقيق ذلك وأكثر. إذا أجه إلى ما هو مفيد وبالشكل الصحيح
وفي الوقت الصحيح.

الخبرات الأجنبية .. إستراتيجية التعامل

لا يمكن لأي كائن من كان في هذا العالم أن يعمل وحيداً دون الاعتماد على الآخرين أو دون مشاركتهم والإستفادة منهم.

فالأعمال كما هي الحياة تتطلب نوعاً من المشاركة والتفاعل. وجميع المشاريع الضخمة بل حتى الصغيرة هي نتاج للعمل المشترك. لكن يبقى هنا كثير من الأسئلة المهمة التي تحتاج إلى إجابة حول أي نوع من الاعتماد أو المشاركة نتحدث؟

وما شكل هذا الاعتماد؟

هل هو كلي أم جزئي؟ وهل هو نوع من التلاحق أو التكامل أو هو اعتماد مبني على مبدأ توزيع المهام والوظائف؟ أم هو مبني على الانكال أو التكامل؟

بفراة دقيقة حركة أصحاب المال في ميادين الإستثمار التي نشاهدها اليوم نستطيع أن نصنف رجال الأعمال إلى نوعين:

هذان النوعان هما اللذان يوضحان أو يجيبان عن الأسئلة التي طرحناها سابقاً.

هناك نوعان من رجال الأعمال .

النوع الأول، هو الذي لا يملك رؤية إدارية واستراتيجية واضحة ويتحكم في عقله ما يمكن أن نطلق عليه "عقدة الأجنبي".

والآخر بخلاف ذلك حيث يملك أفقاً واسعاً، ويستطيع إدارة أعماله وفقاً للمتطلبات التي أمامه، كما أنه يستطيع محيض الكوادر العاملة واختيار أفضلها. هذا جانب وفي جانب آخر، في عالمنا الإسلامي هناك الكثير من الخبرات الجيدة التي تمتلك الكثير من القدرات التي تؤهلها للعمل والاستثمار، لكن إذا تفحصنا هذا النوع من القدرات جيداً نستطيع التمييز بين نوعين من هذه الكفاءات: نوع يمتلك القدرة وزمام المبادرة والطموح للعمل والإجاز، وآخر ينقصه الطموح، وتسيطر عليه سلبية كبيرة في المشاركة والتعاون. وتراه في الوقت نفسه يغلف نفسه وإمكاناته العقلية الكبيرة بستار من التفوق والانكفاء على الذات، وهو في هذا بنأى بنفسه عما أراده الله سبحانه وتعالى منا في المشاركة والعمل والاستخلاف والتعمير في الأرض.

بالنظر إلى العاملين السلبين في هذين النوعين نستطيع أن نقول وبصورة واضحة إنها وراء التأخر الكبير الذي نشهده

في أغلب عالمنا الإسلامي، فصلاً لا شك فيه أننا حينما كنا نشق
بقدراتنا في الماضي استطعنا تحقيق الكثير من الإنجازات، أما اليوم
فلن هاتين الصورتين - مع الأسف - مثالان واقعنا.

وهذا لا يمنعنا من التفاؤل خصوصاً أننا بدأنا نشهد بداية
قوية لتوظيف خبرات محلية طموحة في المؤسسات الاقتصادية
ويعنى آخر فلن رجل أعمال واسع الأفق، وخير محلي طموح بلعبان
دوراً أساسياً في تشكيل وقيادة مؤسسات متطورة.

وهذا القول لا يعني بأي حال رفض استخدام الخبرة الأجنبية
تماماً، وإنما الحاجة إلى تحديد نوعية هذا الاستخدام منذ البدء.

أما أنا فلا أنكر استخدامي واستفادتي من هذه الخبرات في
بعض مشاريعي وفي بعض مراحل عملي، لكنني كنت منذ البدء
واضحاً في الطريقة التي يجب اتباعها للاستفادة القصوى من
هذه الخبرة، خاصة أن العالم الغربي اليوم متقدم تقنياً وفنياً على
عالمنا الإسلامي..

وكنت أقوم عادة بالبحث عن الخبرات التي أود الاستفادة منها
من بين أبناء الوطن فإذا لم أجد لها أجه إلى البحث عنها من بين
أبناء العالم الإسلامي، فإذا لم أجد لها إجهت إلى العالم الغربي
وفي كل ذلك أحدد منذ البدء ما أريد أن أحققه وما أحتاجه

منهم، وكنت حينها أسافر إلى الخارج للاستفادة من الخبرات العالمية في عمل ما. لا أتذكر في أي رحلة من هذه الرحلات دون وضع برنامج محدد لما أريد القيام به.

وحدث أن طفت حول العالم في ثلاثة وعشرين يوماً من أجل عمل ما وبفضل الله حققت ما أردته كاملاً.

لماذا؟ لأنني كنت أعرف ما أريد من هذه الرحلة.

المطلوب إذن من رجل الأعمال لكي يستفيد من الخبرات الأجنبية هو أن يلعب دور القيادة وعدم الاعتماد كلياً على الخبير الأجنبي دون مراقبته ومشاركته وتوجيهه.

ففي المشاريع التي أعتمد فيها على هذه الخبرات أقوم بدور كبير في مراقبته عملي. والتعاون في حل ما يمكن أن يكون خطأ أو نحو ذلك. كما أقوم بالبحث عن الجوانب التطويري الذي يحتاجه العمل.

أما المطلوب من الخبرات المحلية فهو المزيد من العمل والمزيد من الطموح والنظر إلى العمل بوجه أكثر إيجابية.

بناء الثقة .. الخيط الذي يقود إلى الحل ..

تنتاب العلاقة بين الشركات وأصحابها من جانب، والعاملين فيها من جانب آخر الكثير من حالات الد والجزر. كما يقع ضمن العلاقة بعض المشاكل التي يكون لأسبابها صور متعددة.

وما كان من أكبر المشكلات التي نواجه الشركات الخاصة بشكل عام مشكلة التسرب الوظيفي. وهي مشكلة في رأيي تلخص لنا بشكل واضح ما يمكن أن نسميه بانعدام الولاء من قبل الموظف - أياً كان هذا الموظف - تجاه شركته التي يعمل بها.

وهي حالة يشترك فيها في كثير من الأحوال طرفا العملية: صاحب المنشأة أو إدارتها والموظف.

وإذا انطلقنا في خيلنا لهذا من الطرف الآخر أي الموظف فإننا ونظرة سريعة إلى ما هو حاصل اليوم في الكثير من الشركات نستطيع الوصول إلى لب المشكلة التي نتلخص في الجانب المادي وهو جانب مهم للغاية -ومن وجهة نظري- يجب أن لا يكون هو

العامل الحاسم لدى الموظف للتخلي عن شركته والانفصال إلى أخرى.

وأنا حينما أخذت عن هذه الجزئية إنما أخذت عنها من خلال الواقع الذي أعيشه من خلال أعمالي.

فكثير من هذه الحالات تحدث بسبب تلقي الموظف زيادات بسيطة لا تتجاوز في الغالب ومهما كبرت إلى ١٠٪ عما يتقاضاه من عمله الحالي. وهذا هو الغالب الذي يحدث في معظم الشركات في منطقتنا العربية عامةً والمملكة العربية السعودية خاصةً. وهو ما لا يمكنك رؤيته في البلاد الأخرى في أوروبا وأمريكا وحتى في بعض دول آسيا، لأن هناك علاقة قوية تربط الموظف وشركته. علاقه فوامها الانتماء للشركة التي تعلم وتدريب فيها وتكون فيها خيرة كبيرة.

مرة أخرى.. أنا هنا لا أخذت عن التصرب الذي يحدث بسبب العروض المغرية، وإنما أخذت عن العروض التي يمكن أن توصف باليسيرة التي كلها قلت تحدث بشكل يومي في الكثير من الشركات.

ولا شك في أن الموظف الذي يقوم بذلك يكون قد حقق بانتقاله بعضاً من طموحاته المادية. وهي مكاسب ليست كبيرة حينما تنظر إلى الجوانب الأخرى التي فقدها أو أحدثها في شركته.

ولعل أول هذه الجوانب هو الجانب النفسي الذي ينتج بسبب تغير بيئة العمل. وهذا ينسحب بلا شك على جوانب أخرى تتصل بحياته الشخصية والاجتماعية.

جانب آخر مهم وهو أن الموظف بعمله هذا يكون قد أضاع على نفسه فرصة كبيرة في التطوير واكتساب الخبرات، كما أنه قد أحدث خللاً كبيراً في الشركة التي يعمل بها خاصة أن هذا يحدث في كثير من الأحيان دون أن يقدم الموظف للشركة إنذاراً أو مهلة للبحث عن البديل. وأمام ذلك يكون الموظف قد أضر بالشركة وألحق بها بعض الخسائر، فقد يتوقف جزء من عملها، كما أنه سيهجر الشركة على البحث عن بديل يحتاج إلى تدريب وتأهيل. وذلك بأخذ الكثير من الوقت. ثم إن هذا البديل وفي سبيل تعلمه وإتقانه للعمل سيلحق بعض الخسائر في الشركة في أثناء تدريبه، إضافة إلى الخسائر التي نتجت بسبب تدريبه هو أيضاً.

وبالنظر إلى أصل المشكلة نجدها تتمحور حول الجانب المادي. وهذه المشكلة يمكن إيجاد الحل الصحيح لها بالاتفاق، لأن بإمكان أصحاب العمل تقديم هذه الزيادات للعاملين، لكنهم يخشون من سوء الفهم الذي يمكن أن تسببه هذه الزيادات، بأن يطالب العامل بهذه الزيادة في كل مرة ويستخدمها أداة للضغط ومن ثم التهديد بترك العمل.

في الجانب الآخر لا شك في أن صاحب العمل يقع على عاتقه جزء من المسؤولية، إذ لا يمكن أن نتوقف العلاقة بينه وبين العاملين معه عند حدود الأمال؛ فهذا العامل هو إنسان يحمل الكثير من المشاعر والأحاسيس، كما يحملها صاحب العمل، فهو بحاجة إلى أن يجد جسور هذه العلاقة إلى مدافئ رغبة، فالأخلاق العالية.

وتفهم عطاءه. وتخفيه في الوقت المناسب. ومشاركته في أحزانه وأفراحه. والسؤال بين وقت وآخر عن أحواله. كل هذه الأمور وغيرها لها أثر فعال في توطيد العلاقة بين صاحب العمل والعاملين معه. ومن ثمّ بناء روابط الثقة والولاء .

وفضلاً عن ذلك. فإن تفهم أداء الموظف أو العامل بين الحين والآخر وترقيته. واستخدام نظام الحوافز. من شأنه أن يحدث الكثير من الإيجابيات في العلاقة وفي منع التصرب.

لدينا في مصرف الراجحي موظفون يعملون معنا منذ البدايات الأولى. وقد تدرجوا في مناصبهم. وتدرجت معها إرتفاعاً عوائدهم المالية.

وبالعودة مرة أخرى إلى الموظف. فإن حبه للعمل الذي يمارسه دوراً مهماً. إذ لا يمكن أن يبدع العامل في عمله أو يعطي عطاء جيداً ما لم يكن هذا العمل الذي يمارسه متوافقاً مع ميوله وتطلعاته حتى يحقق لنفسه وللشركة التي يعمل فيها المزيد من النجاح.

كما أن على الموظف أن يحمل في داخله أهدافاً واضحة يعمل من خلالها. ولا يركز إلى الأفكار السلبية. كضعف الإمكانيات واللواجب لديه. فالعمل يتطلب المثابرة والجهد.

التجربة .. والرسالة

في بدايات هذا القرن راودتني فكرة إنشاء أول مصرف إسلامي في المملكة المتحدة "بريطانيا". وهو الأول من نوعه على مستوى العالم.

تلك الفكرة نفلتني على وجه السرعة من جدة إلى لندن في محاولة جادة لإقناع البنك المركزي البريطاني بجدوى ذلك المشروع الجوهري. إلا أن البنك واجهني بالرفض؛ بسبب تلازم الفكرة بالدين.

لم يكن وارداً في ذهني كيفية إقناع الفكرة سوى محاولة الإقناع بأسلوب الأخذ والرد. وبصورة ما استطعنا التوصل إلى حل.

كان ذلك عندي درساً بليغاً تعلمت منه وقبله وبعده أن النجاح لا يأتي إلا بتوفيق الله سبحانه وتعالى.

كان ذلك الموقف وما سبقه وما لحقه من مواقف يؤكد لي شيئاً أساسياً بأننا في هذه الحياة لسنا سوى أسباب مسخرها الله سبحانه وتعالى لتحقيق غايات محددة. وفي حياتي المليئة بالأحداث والمفاجآت والمواقف والتجارب والإجازات التي مرت بمراحل

مجاوبته ومتعددة ما يؤكد لي ذلك.

نعم لكل الناس في هذه الحياة طموحات وأمال. وفي سبيل تحقيقها يستغرضون الكثير من الوقت. وفي النهاية تأتي النتائج إما متوافقة مع ما ذهبوا إليه وإما مجانبه له.

وفي سنوات عمري التي وصلت إلى عقدها الثامن سعيت كما يسعى غيري. وفي الوقت نفسه عملت من أجل تحقيق الكثير من الأحلام والأمال.

وبين هذا وذاك أفضيت وقتاً طويلاً في التفكير والكفاح ليس في فكرة واحدة أو هدف واحد أو مكان واحد، وإنما في أشكال مختلفة من الأفكار والأعمال والأهداف والأماكن. وكانت نتائج متوافقة لما سعيت إليه. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

واليوم حينما أستعيد مجمل تجاربي الحياتية أجد أنها لا تعدو أن تكون توفيقاً من الله سبحانه وتعالى.

لماذا عليّ خلع ثوب الأمم؟

نحناج كثيراً إلى أن نتذكر تفاصيل الأُمس. ليس للتلذذ بأيامه أو الأسى على أحواله، لاسيّما أن الإنسان الشرقي يعشق ماضيه بقوة. ولكن لأننا نحناج بين وقت وآخر إلى إعادة التولّد إلى حيّاتنا. ولأن هذا مهم عندي فإن تفاصيل حياتي السابقة حاضرة دائماً في ذهني أعتمد عليها في الثبات على منهج حياتي.

إن الشكر كلمة لله.. وشكر الله سبحانه وتعالى يشمل عدم الجحود بنعمته وعدم الإفراط فيها. فما يصير الإنسان لو تذكر معاناة الفقر والجوع والتعب والحاجة والغاقة التي مرّ بها في حياته وما يصيره أن يعترف!

لقد تعرّفت في حياتي على عدد من الناس يرفضون حتى مجرد التفكير في ما مروا به وهم من أجل ذلك يعيشون الحياة بطولها وعرضها. لا يهتمون بما قد فعله لهم الأيام القادمة.

كنا في نزهة علوية أنا وإخواني ومجموعة من الأصْدقاء
والعاملين معنا. في عهد من الأعياد حينها مرُّ بنا أحد الأغنياء
الذين كنا نعرفهم وقد رأنا نفطر في ذاك الصباح بحبات من النمر.
وقد تعجب على ما يبدو من حالتنا فصاح باستغراب، وهو يرفع
يده هل من المعقول أن يفطر أبناء الراجحي بالنمر فقط !

ولأنني كنت أعرف تاريخ حياته فقد كان فقيراً للغاية. ردت
عليه بقولي

وما الذي يمنع ذلك الحصد لله الذي رزقنا به، ألم تكن تبحث عنه
في الماضي ولا تجده؟

سكت الرجل. ومضى. ومضت الأيام. وكنت أشاهده خلالها
وهو يصرف ببذخ. ولا يهتم بما ينفق. يسافر هنا وهناك هو وعائلته
. حتى إنني جلست على مائدته ذات مرة في مصر وقد غصت بكل
ألوان الطعام وبكميات كبيرة.

وبعد سنوات. وبينما أنا أراجع ذات يوم أسماء بعض مستحقي
الزكاة. وجدت اسمه على إحدى قوائم شركة الكهرباء. يطلب
مني مساعدته بعد أن دار عليه الزمن؟

الحقيقة أنني لم أذكر هذه القصة هنا إلا للتنبيه إلى أمر مهم
هو ضرورة فهم المعنى الحقيقي للاقتصاد الذي يعتمد على الدقة
والبساطة والشكر.. شكر النعمة التي قال الله تعالى مخاطباً

لنا،^(١١) لنن شكرهم لأزيدنكم ولنن كفرهم إن عذابي لشديد^(١٢) وكذلك يجب علينا الخوف من الوقوع في ما حذرنا منه رب العالمين حين قال **كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَ طَافِي**^(١٣).

ومن الغريب أن يفهم غير المسلمين هذا المعنى الدقيق للاقتصاص الذي نادى به الإسلام منذ أكثر من أربعة عشر قرناً أكثر منا نحن المسلمين.

حكى لي أحد الناس ما مر بأحد معارفه الطيبين وقد كان مبتعثاً للدراسة في بريطانيا هو وزوجته، وقد أقاما بإحدى الغرف التابعة لسكن إحدى العائلات البريطانية كما هي العادة لمن يذهبون لدراسة اللغة الإنجليزية هناك. وكان من ضمن ما هو مطلوب من صاحبة السكن غسل الملابس وتقديم التوجبات.

وفي صباح اليوم الأول لهم قدمت العجوز للزوجين الشابين وجبه الإفطار، ولأنهما كانا متعودين على الخرف في بلدهما صارا يأكلان من الأطباق مباشرة. وعندما جاءت العجوز لتأخذ الأطباق وجدت بقايا الأكل على الطبقين، فغضبت من فعلتهما لأن من عاداتهم في الأكل أن الذي يريد الأكل يأخذ ما يكفيه في صحن وإذا أراد الاستزادة قام بأخذ ما يناسبه. أما ما فعله الشاب وزوجته

(١١) سورة إبراهيم، الآية ٢٠.

(١٢) سورة العنكبوت، الآية ٦٠.

فقد كان غريباً عليها، وخاصة أنها كانت مضطربة لرعي ما بقي في كيس النفايات حسب نظامهم وهو ما لا يلجؤون إليه إلا نادراً.

وحسب تعلم العجوز ضيقها فنون الاقتصاد ألقت عليهما محاضرة طويلة، علمتهما خلالها ضرورة تعلم الاقتصاد والاكتفاء بالحاجة كما ذكرتهما بالأضرار التي أحققها بالاقتنصاء الريطاني جراء فعلتهما هذه. فهناك الماء المطلوب لغسيل هذه الدهون، والشوائب الناتجة عنها ومدى إضرارها بنظم المجاري زيادة على الإسراف.

والخليفة أن المرأة العجوز كانت مُحَقِّقة فيما ذهبت إليه خاصة أن نظرتها كانت تنسحب على ما يمكن أن يحدثه أمثال هؤلاء، وكيف أن تراكمات مثل هذه الأفعال قد تؤدي إلى إحداث الكثير من الأضرار.

المشكلة أننا نفكر وننظر إلى الأمور من ناحية فردية متناسين ما يمكن أن ينتج عن أفعالنا على المستوى الجماعي.

الأعمال الخيرية - حقيقة ..

إنه لأمر صعب أن يتحدث الإنسان أو يكشف عن جانب من جوانب العلاقة التي تربطه بخالفه سبحانه وتعالى، وأصعب ما يكون الأمر حينما يدور الحديث حول ما يفهم به الإنسان من إنفاق في سبيل الله.

ومن هنا فإن الخشية من الوقوع في الرياء تجعلني في كثير من الأحيان أتردد في الحديث عما قمت به من أعمال خيرية.

والحق أنني لم أقصد الحديث في هذا الجانب إلا من أجل توضيح بعض الجوانب التي رأيت أنها منمّرة ومقيدة وداعمة لي ولغيري في الناسي بهذه الأعمال الطيبة.

كما أن إظهار أعمال الصدقات يبدو في بعض الأحيان واجباً على الإنسان إذا رأى أن الصلحة العامة ربما تتحقق من وراءها: فإله سبحانه وتعالى يقول "إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن

لخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم^(١٦)

فإبداء الصدقات إذن ليس محرماً ولا مكروهاً ما دام يحقق
الصلحة العامة. وتكون سبباً في فعل الخيرات.

إن الفهم الحقيقي لرسالة الإنسان المسلم في هذه الحياة الدنيا
جعلته ملتزماً بالعمل بما قاله الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم
”وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه“^(١٧)

فالل مال الله. والإنسان مُستخلف فيه. وعليه الإنفاق وفق
هذه القاعدة.

بالنسبة لي فإن إنفاق مليون ريال في سبيل الله أهون عليّ من
إنفاق ريال في أمر غير ذي فائدة.

والحق أنني حينما أرى بعض الناس . وهم أقل مني مالاً ينفقون
ويبدلون أموالهم وأوقاتهم في سبيل الله وطاعته. فإن ذلك
يدفعني إلى بذل المزيد ومضاعفة إنفاقي.

وإني وأنا أنقل عبر هذه المسيرة تجربتي في هذا الجانب إما أريد توضيح
بعض الأمور التي أهمها أن حب الإنفاق في المقام الأول هو من توطيق
الله سبحانه وتعالى ولا يمكن لأحد أن ينفي أو يزعم غير ذلك.

١٦) سورة البقرة، الآية ٢٦٦.

١٧) سورة الحديد الآية ٢٧.

كما أنني من خلال هذه التجربة قد علمت بغيرنا أن الإنفاق سبب من أسباب الغنى وليس كما يفهم بعض الناس ويعتقدون ويصابون بحب الثروة وتكديس الأموال.

لقد كنت محظوظاً حينما فهمت وعملت وفقاً للقواعد الحكيمة التي اشتمل عليها قول الله تعالى: "مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنثت سبع سنابل في كل سنبلة ستة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم" (١٦) الآية .

كما كنت محظوظاً أكثر حينما شاهدت بأمر عيني تصديقاً لا يقبل الشك فيها من خلال ما قامت به من الإنفاق وما لقيته بعد ذلك من الخلف الضاعف أضعافاً كثيرة ولم يكن ذلك في حالة واحدة فتمثل الوصف بالصادقة وإنما كان ذلك الخلف في مرات متعددة ثبت ما لا يدع مجالاً للشك أنه راضيه بذلك نفسه، وموقفه بموعود الله تعالى بالأجر والخلف السريع إلا ورأى موعود الله الدنيوي عياناً وما ينتظره في الآخرة هو أعظم وأكثر إذا قبله منه ربه جل وعلا.

(١٦) سورة البقرة، الآية ٢٦١.

الإحسان إلى الآخرين وبذل المعروف من أفضل ما يتقرب به الإنسان إلى ربه سبحانه وتعالى. وفعل الخير إذا صحبته نية صادقة خالصة هو سبب للفلاح. ولذا أمر به المولى جل علام. وحث في الوقت نفسه على السارعة والاستباق فيه. عن مطرف عن ابن أبي آتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ الهاكم النكائر قال، "يقول ابن آدم، مالي مالي قال، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأضعت^(١)."

إن المال الحقيقي هو إذن الذي ينفق في سبيل الله تعالى. فهو الباقي الذي يذخره المؤمن لنفسه يوم القيامة..

وإن الإنفاق من المال في سبيل الله - عز وجل - وإن كان ظاهره

(١) رواه مسلم رقم ٣٧٦ كتاب الزهد والرفق، باب الدنيا مسكنة مؤقتة وجنة الكاثر، ومات رضي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، مالي مالي، إنما له من عالم ثلاث، ما لك ففطن أو لبست فأبليت أو أكلت فأفنت وما سواه فلك ففطن، فاحب وتاركه للثلاث أطرحه مسلم ومات حيات وأحمد.

أنه بنقص المال إلا أن الحقيقة هي أن الله يبارك فيه. وينميه. والصدقة كما جاء في الحديث "لا تنقص من المال بل تزيده"^(١٦) فهي تبارك المال وتدفع عنه الآفات. وتفتح للمتصدق أبواب الرزق زيادة على الأجر والثواب يوم القيامة. فالصدقة لا تنقص من المال أبداً. ولعل هذا ظاهر بنص حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "ما نقص صدقة من مال"^(١٧) كما هي ظاهرة بالشاهدات وبالبحرية.

والحقيقة التي لا يختلف عليها اثنان، أن هذه الهمة العالقة في البذل والعطاء إبتغاء مرضاة الله تعالى لا يمكنها أن تنأى لكل واحد، وذلك لأن "الصدقة برهان" كما يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فهي دليل وبرهان على صدق إيمان المتصدق كما أنها لا تنأى إلا بتوفيق الله سبحانه وتعالى.

في ساحات الحرم المكي في شهر رمضان. وفي أوقات الحج هناك في الهجر والقرى والمدن، وبين الخيام وبيوت الشعر في البراري. وفي

(١٦) مجمع الزوائد وعزلهما إلى سنة التبرار وأشار للمصنفين بذلك نزهة ابن عثيمين شرح رياض الصالحين المجلد ٢ باب التكرم والجود لا صحة لها لا تصح سنداً أولاً مثلاً مجمع الزوائد أوردتها الخميني بذلك نزهة ابن عثيمين وعزلهما إلى سنة التبرار وضعفها.

(١٧) رواه مسلم ٢٦٥٢ باب البر والصدقة ١٥ الترمذي، التلخيص ٢٦٦ وما نقله مالك عبد من صدقة أبو كعبشة الأنصاري، الترمذي رقم ١٢٦٥.

أماكن أخرى شاهدت أناساً يتنافسون في عمل الخير.

وفي وسط الأعمال تعرفت على عدد من رجال الأعمال الخيريين الذين كانوا يحاولون بشكل متفنن إخفاء ما يقومون به، حتى لا يعلم الناس بذلك الأعمال التي ينفقون بها وجه الله تعالى.

إن هؤلاء وأولئك أناس قد وفقهم الله لعمل الخير وبذل كل معروف، ولولا ذلك لما تمكنوا من الإنفاق بهذه الطريقة، فنحن نعلم تماماً مدى حب الإنسان للمال ونسكه به والبحث عنه، لذا تبقى عملية الإنفاق صعبة على النفس من لم تعود عليها لمن لم يوقفه الله تعالى لها.

وتبدو الصعوبة في قميتها حينما تكون العملية في بدايتها أو حينما تكون مجرد فكرة لكنها ما لبثت أن تتحول إلى سهوله ويسر، ثم إلى لذة وسعادة يجدها النفق حينما يستمر فيها، وحينما يجد الابتسامه قد عادت إلى الوجوه الباكية، والسعادة قد أطلت منها مرة أخرى.

إنه عمل يتطلب جهاداً كبيراً، جهاداً مع النفس، وإيماناً عالياً، وإخلاصاً وصديقاً مع الله سبحانه وتعالى. أما الاستمرار فيه بعد البدء فلا يحتاج إلى كثير من تعب لأن النفس الطيبة تكون قد أخذت عليه فلا تستطيع الفكاك منه، ولا سيما أن فوائده لا تنقطع..

الإحسان إلى الآخرين وبذل المعروف من أفضل ما يتقرب به الإنسان إلى ربه سبحانه وتعالى. وفعل الخير إذا صحبته به صادقة خالصة هو سبب للفلاح. ولذا أمر به المولى جل علاه وحث في الوقت نفسه على المسارعة والامتناع فيه عن مطرف عن ابن أبي قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ الهاكم التكاثر قال: "يقول ابن آدم: مالي مالي قال: وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفقتت أو لبست فألبست أو تصدقت فأفوضت" (١).

إن المال الحقيقي هو إن الذي يتفق في سبيل الله تعالى. فهو الباقي الذي يدخره المؤمن لنفسه يوم القيامة.

وإن الإنفاق من المال في سبيل الله - عز وجل - وإن كان ظاهره

(١) رواه مسلم رقم ٣٦٦٦ كتاب الزهد والرفق باب الدنيا سجون المومن وجنة الكافر. وعنه زبي هزيمة رضي الله عنه قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: مالي مالي، إنما له من ماله ثلاث: ما لله فله أو لبيد ففلس أو أمضى ففلس وما سواه ذلك فهو: ذاهب وتاركه الناس أغربه مسلم وأبى حاتم وأحمد.

كنت فيه المطباح والفهوجي، والرجل النطشيط، وقد رأيت أن أفضل ما يمكن أن أقدمه من غير في هذه الرحلة هو مساعدة من كان معي - وهكذا وظفت نفسي مسؤولاً عن كل ما يحتاجه الناس، والخفيفة أني وجدت لهذا العمل تأثيراً كبيراً في نفسي وعرفت حقاً أن العمل الخيري لا ينحصر في توزيع الأموال فقط، فهناك أنواع من أفعال الخير كثيرة يمكن للإنسان أن يطرق بابها.

والله سبحانه وتعالى يقول: "يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون"^(١) وهذه الآية تدلنا على أن الشفقة على الناس ومواساة الفقراء، وأهل الحاجة، والصدقة، وحسن القول والفعل، جميعها يمكنها أن تندرج تحت العنوان الكبير "العمل الخيري".

في السنوات الأولى من العمل كنا نختار البكرية لتوزيع أموال الزكاة والصدقات، لأنها الدينه التي ننتمي إليها. وهي المدينه الفضله لدينا.

وكنا نستعين بأقاربنا في التعرف على من هم في حاجة إلى هذه

(١) سورة البقره، الآية ١٧٧.

وعلى مدى السنوات التالية كان الجميع يعرف مواعيد قدومنا فيظلون في انتظارنا ويفرحون كما نرح نحن بما نقوم به.

ورغم مشاركتي القليلة التي كنت أسهم بها مع إخواني في بدايات تلك الأعوام، إلا أن إحساسي جاء ما أشاهده من تعابير الفرح لدى هؤلاء عزز في نفسي حب هذا العمل، وغرس في حب الاستمرار فيه بقوة وهكذا ظلت في كل عام أخص الوقت للذهاب إلى هناك للقيام بواجب من أحب الأعمال إلى نفسي، وزاد في نفسي حب الإنفاق بسخاء، وما في نفسي الخرد في المسارعة فيه.

والخليفة أتي قد لمست عياناً كل ما قرأته أو سمعته من معاني في الآيات القرآنية الكريمة وفي الأحاديث النبوية الطريفة التي حث على عمل الخير، ولعل هذا ما دفعني إلى التركيز عليه.

منذ أكثر من خمسة وثلاثين عاماً حدث أن فقدنا كثيراً من الأموال التي نديرها في العمل المصري في عملية استبدال للجنهات المصرية في أيام حكم الرئيس جمال عبدالناصر، وكانت كل الشواهد التي حولنا تدل على تورطنا في خسائر كبيرة لا يمكن

الخروج منها.

وفي وسط هذه الأجواء كان موعد سفري السنوي إلى البكرية قد حان من أجل توزيع الزكاة والصدقات التي تعودنا عليها. وللظروف التي وجدنا أنفسنا فيها رأى مَنْ كان يعمل معي من موظفين ضرورة تأجيل الموعد لحين الخروج من الأزمة، ولكنني مخالفاً لهم، بل كنت أرى أن ذلك مستحيل لأن حب هذا العمل كان قد بدأ يترسخ في نفسي بشكل كبير، وهكذا مضيت إلى ما عزمته عليه.

وبينما كنت هناك أقوم بما جئت من أجله واصلتني أخبار بأن الأزمة في طريقها إلى الحل. وأن ٧٥٠ من الأموال قد استردت. ومع مرور الأيام ارتفعت النسبة إلى ٧٨٠ ثم إلى أعلى حتى لم يتبق سوى تسعمائة ريال هي كل ما فقدناه.

وفي المقابل لم تستطع الكثير من المصارف الأخرى استرداد أية مبالغ. وتكثرت بسبب هذه العملية جل أموالها. هذه الحادثة وحوادث أخرى أذكرها هنا رادت في اقترابي أكثر إلى هذا العالم المليء بالكثير من الفوائد "عالم الصدقات وفعل الخير".

ذات مرة وبينما كنت مشغولاً بصلاة العصر ورد إلى ذهني فكرة بناء مسجد. وكنت في تلك الأيام قد أشخيت أرضاً في جنوب مدينة جدة، وكانت المنطقة التي أشخيت بها الأرض خالية تماماً من المساجد، وخوفاً من تفويتني للفرصة قممت بتنفيذ الفكرة

مباشرة. وفي الوقت نفسه دعوت عبد الله الدروبي. وطلبت منه تجهيز المواد اللازمة لذلك. ولما رأى ضيق الوقت طلب مني تأجيل الأمر للغد. غير أنني رفضت ذلك. وطلبت منه التجهيل خوفاً من التأجيل الذي لا يجر وراءه سوى الخسارة.

وبين ساعات العصر القليلة كان كل شيء قد جهزناه مواد البناء، والمقاول، والأرض، وفكرة المبنى.

وقبل أن يحين موعد صلاة المغرب بدقائق هاتفني شخص لم أعرفه من قبل، وعرض عليّ شراء بعض الأسهم. اشتريتها في الحال وبعد خروجه من عندي هاتفني أخي صالح الذي تعود على الاتصال بي دائماً للاستفسار عما هو جديد في الأسواق. فعرضت عليه الأسهم فوافق على شرائها بريح يساوي تكلفه بناء المسجد الذي أعتزم بناءه. وبعد أخذ ورد في السعر رفضت العرض. وأبقيت سندات الأسهم معي حتى وافق على شرائها بعد أسبوعين بسعر تجاوزت فيه الأرباح تكلفه بناء المسجد بسبعة أضعاف.

وفي مرة أخرى قُدر لي أن أشاهد الأرض التي عليها مسجد الربوة. وكانت في ذاك الوقت مجرد أرض فضاء، لكنها جاهرة ومهيأة لأن تبني مسجداً وقد فتح الله عليّ وأنا أقوم بالبناء برزق وغير كما فتح الله علينا بالتوسعة وبناء مغسلة الأصوات.

أبواب جديدة..

ولعل من فضل الله ونعمته علينا أن جعل أعمال الخير متنوعة ومتعددة ومن فضله أيضاً أن جعل التنافس فيها متبايناً بين الناس؛ فما ينشط فيه هذا لا ينشط فيه آخر، وكل ذلك من أجل إشباع احتياجات الناس.

والرسول -صلى الله عليه وسلم- يبين لنا أن كثيراً من الأعمال تدخل في باب الصدقة، فما هو عليه أفضل الصلاة والسلام يقول: "تسبك في وجه أخيك صدقة، وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال صدقة، وإمضاءك الحجر والشوكة، والعظم عن الطريق صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة".

في الماضي كانت الأعمال الخيرية موجهة إلى نوع واحد من الأعمال وهو مساعدة المحتاجين، وكنا كما كان معظم الناس نقوم بهذه الأعمال وفقاً لاجتهادنا، ولكن مع التنظيم الذي

أحدثته الدولة أصبحنا نعمل تحت ظل هذه الجمعيات الجديدة التي نعمل وفقاً لمناهج مدروسة.

والحق أن ذلك كان قراراً صائباً؛ لأن مثل هذه الجهات قادرة بإذن الله على تنفيذ البرامج الخيرية دون عوائق أو عقبات كما أنها وبصفقتها الرسمية تكون مدعاة للثقة بين الناس. خصوصاً أن الناس في هذا الزمان قد غلب عليهم عدم الثقة ببعضهم البعض، لكرهه للمدعين والحقائين؛ واختلاط غير الأمور بشورها.

فالسؤال عندي كما هي عند الكثيرين عمل خيري تعاوني نريد من خلاله تحقيق معنى الآية الكريمة: "وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان"^(١).

والجواب أن العمل الجماعي الخيري بشكله المنظم قد فتح أبواباً كثيرة وأبواباً كثيرة لأنواع من العمل الخيري. فأصبحت هناك جمعيات لتحفيظ القرآن الكريم، وأخرى لكفالة الأيتام والمفقرات، ومكاتب لتوعية الجاليات ولجان للمسجونين، وأخرى لدعم الزواج وغيرها بما يحقق المصلحة العامة.

ولقد تمت منذ عام ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م أو ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م بالعمل أنا وإخواني من خلال هذه الكاتبة، فأصبحنا نقوم بتحويل

(١) سورة المائدة، الآية ٢.

كل أموال الزكاة والصدقات والأوقاف إلى المكاتب المتخصصة. وقد انحصر دوري في الإشراف عليها بشكل قليل، لتوفر الكفاءات الجيدة والفائدة بإذن الله على مراقبة العمل والإشراف عليه من آخراتهم بعناية ودقة. لا سيما أن مثل هذه الأعمال تتطلب نوعاً معيناً من الدقة. فعندما يكون الشخص المسؤول عن القيام بمثل هذه الأعمال ثقة وذو كفاءة فإنه سيوفر لصاحب هذه الأعمال الكثير من الوقت والجهد. وسيجعله مطمئن البال وبأن أمواله المخصصة لأبناء الخير ستذهب إلى المكان المحدد وفي الوقت المحدد. كما أنه سيكون مطمئناً بأنها لن تذهب إلى جهات أو أفراد منحرفين.

وهنا لا بد أن أشير إلى أن هناك عدداً من الأسماء بدأوا معي في تنظيم هذا العمل منذ عام ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م وقد كانوا وما زالوا يعملون بإخلاص علماً بأن أكثر الأعمال التي يقومون بها الهدف منها اجتناب الأجر بالإضافة إلى عدد من الرجال الذين يعملون في مناطق مختلفة من المملكة العربية السعودية.

واليوم تتركز أعمالنا الخيرية وتنفذ من خلال المؤسسة الخيرية التي أطلقنا عليها اسم "مؤسسة سليمان بن عبدالعزيز الراجحي الخيرية" التي تمتد فروعها إلى مختلف مناطق من المملكة العربية السعودية.

ومن خلال هذه المؤسسة نقوم - والحمد لله - بالكثير من الأعمال بشكل منظم وواضح. فنقدم الدعم للجمعيات الخيرية وجمعيات تحفيظ القرآن الكريم. كما نقوم بكفالة عدد من الأسر بجميع احتياجاتها ومساعدتها على أعباء الحياة. وكذلك متابعة أبنائهم في المدارس وتهتم بجانب آخر وهو جانب التدريس. حيث نقوم بتنفيذ عدد من برامج التدريب والتأهيل للخريجين وغيرهم. كما نهتم بدعم المشاريع الصحية وخدمتها. وكذلك خدمة بيوت الله في عدد من المدن. فنقوم ببنائها وترميمها وتجهيزها بالفرش والصواريح وجميع المستلزمات الضرورية. ونتابع في الوقت نفسه البرامج الدعوية ونشرف على دعمها. ونرعى البرامج التعليمية والتربوية. ونرعى الشباب والنساء والأيتام ونتابع أوضاعهم.

باختصار فإن المؤسسة تعمل على تحقيق الكثير من الأهداف المتوافقة مع ما تحث عليه الدولة من رعاية اجتماعية وصحية وتربوية وتعليمية متوازنة مع النهج الإسلامي الصحيح.

فكرة تستحق التنفيذ..

أنا ألق عادة بفرائري ، ويتوقعاني وأفكاري: لأنها في الغالب تنجح - ولله الحمد - إلى كل ما هو صائب وضروري.

في جنوب مدينة جدة فكرت قبل سنوات في إنشاء مسجد لعدم وجود مساجد فيها، وكان ما قصت به صائباً ومهماً والحمد لله.

وفي سنوات لاحقة رأيت من خلال اطلاعي على الإحصائيات المستجدة عن سكان المملكة العربية السعودية أن فكرة إقامة المجمعات الخيرية في المدن الكبيرة ذات جدوى وأهمية كبرى. لذا قصت بإعطاء هذا الجانب أهميته التي يستحقها..

فلنحزن نعلم أن للمسجد في حياتنا - نحن المسلمين ولله الحمد - دوراً عظيماً ومهماً، فهو يعد من أهم الركائز الأساسية التي يُبنى عليها المجتمع الإسلامي كما أن حاجة الأمة الإسلامية إليه عظيمة، فالمسلم يكتسب من خلال المسجد مجموعة من

الصفات الإسلامية المهمة. ويتعلم منه العقيدة والآداب. ولذلك يادر الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- عندما وصل إلى المدينة المنورة في بناء المسجد ليكون اللبنة الأساس والأهم في بناء المجتمع. ومجتمعنا المسلم اليوم في أمس الحاجة إلى إشادة المساجد الكبيرة ذات النجهيزات المتعددة والخدمات المتنوعة.

في البدء فكرت في هذا الشأن مع مجموعة من الأشخاص من ذوي الصلة. ووصلنا إلى ضرورة تنفيذ عدد من المساجد الكبيرة في المدن الرئيسية. فاخترنا من بين المدن مدينة أبها. وقمنا بتنفيذ واحد من أكبر المساجد فيها. وقمنا بتهيئته بكل ما يحتاجه وبالرغم من ضخامته إلا أن مساحته التي تتسع لألفي مُصلٍ يتلى بالكامل في معظم الأوقات.

هذا المسجد الذي يحمل اسم والدتي رحمها الله يمثل اليوم عن آخره وهذا بحفرنا لإنشاء المريد من أمثاله في مناطق أخرى.

في الرياض التي كنا قد نفذنا فيها أول هذه المشاريع. عملنا على بناء مسجد آخر في الجهة الأخرى من الطريق الدائري الشرقي وهو مسجد بحتوي على مصلى للرجال مكون من ثلاثة أدوار يسع ١٨ ألف مصلي، ومصلى للنساء مكون من دورين يتسع لـ ٢٥٠٠ مصلي. وفي المسجد فاعة لاستقبال كبار الزوار. ومكتبة

تتسع لمائة شخص تضم ٢٠ ألف كتاب وخدمة الإنترنت وقاعة للمحاضرات والندوات تتسع لـ ١٥٠ شخصاً وفي المسجد ٤٩ غرفة للمعتكفين مفروشة ومجهزة بالكامل شاملة دورات المياه والمطبخ. كما ألحق بالمسجد مفسلة للأموات تتسع لـ ١١ جنازة في أن واحد ستة رجال وخمس نساء. مع مراعاة الخصوصية لكل جنازة وزودناها بأفضل المواد الكيميائية والتجهيزات الميكانيكية اللازمة لتجهيز الميت. وفيها أماكن واستقبال وضيفة أهل الموتى. وفي المسجد نظام للترجمة الفورية بأربع لغات مختلفة مجهزة بأحدث التقنيات وكذلك والترجمة بلغة الإشارة لخدمة ذوي الاحتياجات الخاصة من الصم والبكم. كما زود المسجد بأحدث الأنظمة المتقدمة في التقنيات الصوتية وأجهزة التحكم مع إمكانية تشغيل وإدارة جميع الأنظمة من غرفة التحكم. وملحق بالمسجد أماكن للوضوء ودورات مياه ومحطة لمعالجة مياه الوضوء.

وهذا ما قمنا به أيضاً في بريدة التي بنينا فيها أكثر مسجد في منطقة القصيم يستوعب ما لا يقل عن خمسة عشر ألف مُصل، ويتكون من عدة طوابق.

هذه المساجد وغيرها ما نعمل على تنفيذها في مناطق أخرى من المملكة العربية السعودية مجهزة بجميع التجهيزات اللازمة

وملاحق بها عدد من الملحقات المهمة التي تعمل على تحقيق الأهداف الأساسية للمساجد.

ففي هذه المساجد مراكز لتحفيظ القرآن الكريم للرجال والنساء، وغرف للاعتكاف ومقاسل للأصوات، ومكتبة، كما تقوم بإضافة بعض الأماكن التي نرى أنها ربما أن تأتي بعوائد أو فوائد لصالح المسجد، لكن هذه قليلة للغاية لأن تمويل نفقات هذه المساجد يعتمد في الأصل على مؤسسة سليمان بن عبدالعزيز الراجحي الخيرية، وبإشراف من وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد التي تشاركنا عملية اختيار الأنحة.

والحقيقة أنه من خلال مؤسسة سليمان بن عبدالعزيز الراجحي الخيرية تعمل على تخطيط ودراسة مستثمرين لتنفيذ عدد من هذه المجمعات في مدن مختلفة من المملكة العربية السعودية، ففي مكة المكرمة نسعى لبناء مسجد يتسع لأكثر من خمسة وعشرين ألف مصلٍّ وبناء دور خاصة بتحفيظ القرآن الكريم وهذا ما نفكر في تنفيذه أيضاً في المدينة المنورة وبعض المدن الأخرى - إن شاء الله تعالى - لنسهم من ورائه في بناء جيل مسلم متعاون معتر بدينه يعون الله وتوفيقه.

الأوقاف .. سنوات من أجد النظام

كثيراً ما كنت أردد وما زلت إن بذلي للأموال في سبيل الله خير لي من بذلها في أمور الدنيا حتى وإن صغرت قيمتها.

والحقيقة أنني قد تأثرت كثيراً بأحدِيث النبيّ الشريف الذي يوضح لنا الرسول الكريم صلوات الله عليه وسلامه فيه حقيقة المال للمسلم في هذه الحياة، فهو ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فأبىس^(١)، ولأخير يجب أن نعمل: فهو الذي سيبقى معنا إلى الأبد.

والحق أن حب الإنسان لهذا العمل ينمو مع كل قرش يدفعه في سبيل الله، ويزداد هذا الحب بزيادة الإنفاق.

هذا المفهوم وهذا العمل الذي عاهدت عليه ربي ثم نفسي لم

(١) أخرجه مسلم وأبو حنيفة وأحمد بن حنبل في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العبد مالي مالي، إنما له من مالي ثلاثة، ما أكل فأفنى، أو لبس فأبىس أو أعطى فأبىس، وما سواه ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس.

يكن بعيداً عن إخواني وأفراد أسرتي ، أبنائي . وبناتي وزوجاتي.

وحينما كنت أجتاز معهم أطراف الحديث عن فكرة ما للأعمال الخيرية لم أكن أجد منهم تشجيعاً فقط بل مزيداً من الخش على الإنفاق. وكثيراً ما كنت أقوم بتحديد أرقام محددة لبعض الأعمال التي كنت أنوي القيام بها وأجد في أثناء حديثي من يحثني على مضاعفته وزيادة القيمة. وهذا ما كنت أتمناه من العديد من منهم في بذلهم للأموال الخاصة بهم في سبيل الله.

والحقيقة أن ذلك يقودني إلى ما يجب أن نقوم به تجاه أبنائنا عند التربية التي يجب ألا نتعدى هذه الحدود فالعمل الخيري هو جزء أساسي من حياة المسلم التي يجب أن يكون عليها.

فكل عمل يقوم به الأب. ويشاهده الابن هو درس عملي بليغ. ولعل هذا ما ينطبق على كل الأعمال الخيرية. فنحن بعملنا هذا إما نغرس في نفوسهم حب العمل وتطبيقه كما يجب ألا ننسى أن المشاركة الفعلية لها دور إيجابي كبير في هذا النوع من التربية. بمعنى التطبيق العملي من جانب الابن. وكذلك الطرح والتوضيح من جانب الأب.

ولعل هذا الجانب يقودني للحديث عن الأوقاف وهو عمل - كما نعلم - جميل وفيه خير كثير إن شاء الله. والحقيقة أني قد أجهت إلى هذا الجانب بعد نقاش وحوار طويل مع عدد من المشايخ والعلماء

وطلبة العلم بخاصة أن هناك أمثلة كثيرة وشواهد متعددة ماثلة للعيان عن بعض المشاكل التي نشأت بسبب الأوقاف، وقد تحدث معي الكثير عما يمكن أن يحدث من مشاكل مستقبلية بسببها.

ولكن وبسبب إقناعي الشخصي فإنني عملت على المضي فيه وبسوء فهمت بوقف جزء من أموال وأموالي لتكون لي أجراً بعد مالي بإذن الله.

والحقيقة أن على الإنسان أن يملك بعض الفهم لهذا العمل وبعضاً من سعة الأفق، فهو عمل خيري يفيد الكثير من المسلمين الذين هم في أمس الحاجة إليه، وفي رأيي أنه لا يحتاج إلى مجاهدة كبيرة مع النفس، وذلك حينما ننظر إليه من منظور إيماني، كيف ذلك وهو بمثابة الشجرة الدائمة الإثمار.

كنت كثير البحث والاستماع لمشاريع بعض المنظمات الخيرية التي تعمل في دول آسيا وإفريقية حيث تجتهد في تحقيق بعض أهدافها، والحقيقة أنني رأيت أن المسلمين هم أفضل من يستطيع الفيلم يمثل هذه الأعمال خصوصاً أن الإسلام قد حث عليها.

ومن هنا رأيت أن الأوقاف يمكنها أن تخدم الكثير من الجوانب في الكثير من الناطق في العالم الإسلامي إذا كانت وفق الحدود والضوابط والشروط التي حددتها الشريعة الإسلامية.

وقد عملت على مدى عشرين عاماً على تحديد النظام الأمثل لإدارة هذه الأوقاف. ففهمت بتحديد مصادرها ومخارجها ومصارفها ووضعت الضمانات الكافية لبقائها مدى الحياة إن شاء الله. وحدثت في الوقت نفسه الكفاءات اللازمة لإدارتها، والطريقة المثلى لتموها في المستقبل. ولم أنسَ تكوين مجلس وصاية لها. ففهمت باختيار أعضائه من أبنائي هم: صالح، وعبدالله، ومحمد، وخالد، وعمر، ويوسف، وفواز، وعبدالله، والشايع، عبدالرحمن بن عبدالله بن عبد الرحمن الراحمي، وإبراهيم بن عبدالله بن سليمان الجبروع، وصالح بن سليمان بن نافع الهيدان، وصالح بن حسين بن عبدالله العائد.

أما وصيتي فقد أوصيت بثلاث مالي وأملاكي "من نقد وأموال مستثمرة أو معدة للاستثمار من أسهم وشركات ومؤسسات ومصانع ومزارع وعقار وغيرها" ليكون مع الوقف في إدارة واحدة لتحقيق هدف واحد هو العمل الخيري.

والحق أن هذا العمل الذي أردت تحقيقه بعد توفيق الله لم يأت بجهد يوم واحد، بل تطلب سنوات طويلة مررت فيها بأفكار متعددة وأنظمة مختلفة.

وما أريد أن أقوله هنا إن مثل هذه الأعمال كنت أناقشها كثيراً في الاجتماعات واللقاءات الصغيرة التي أجمعني بأصدقائي أو

بإخواني من التجار ورجال الأعمال ، فكثيراً ما نتناقش فيما يجب أن نقوم به. وكنا نستخدم من النصائح التي تتخلل أحاديثنا، وكثيراً ما تنجح في تنفيذ بعض منها.

لهب من الهميز أن يلهم المرء بكل طموحه وتفاصيل الحياة لرجاء كالشيخ سليمان بن عبدالعزيز الراجحي .. ولهيب من الهميز أيضاً أن يتناول المرء كل أشكال التجارب التي خاضها في حياته، لهب لكثرتها وتنوعها وهي حقيقة، بل لتراكمها وقوتها أيضاً..

لقد سُحِرَ لهذا الرجل أن يحقق، في تلك سنوات، واحدة من أكبر امبراطوريات المال في عالمنا المعاصر وما يزيد من عظمتها وأعجاباً أنه قد بدأ من الصفر!!

إن الباحث، في أصل هذه التجربة الثرية لا يستطيع التحدث عن حياة الشيخ سليمان الراجحي، ولا عن إنجازاته الضخم هذا دون النظر أو الخوض في الحب الإيماني الذي لازمه.

لقد أسس الشيخ سليمان بن عبدالعزيز الراجحي حياته على الالتزام الثابت بالمعقيدة الإسلامية نشأة وسلوكاً وبقيةً بأن الله سبحانه وتعالى هو الذي يتولاه بالحماية والتوفيق.

ربما هذا هو ما يفسر للتكثيرين ومنهم أولئك الذين عرّفوه أو تعاملوا معه أو شاهدوا سلوكاته وجولاته في هذه الحياة. كيف أنه كان يرسل أمواله وأموال الغير إلى أماكن بعيدة حتى عن موطنه دون أية ضمانات أو حتى معرفة بالشخص الذي يحملها.. وكيف أنه حينما فقد جزءاً منها وقد كانت في مرات قليلة لم يتأثر، بل أثبت أن الله لن يضيعه وقد

صدق صدقه الله فاسترداه.

يقول الاقتصاديون، إن أساس الاقتصاد والفرقة هو الأرض والعمل ورأس المال، غير أن تجربة الشيخ سليمان بن عبدالعزيز الراجحي تذهب بعيداً عن هذه المقولة.

حينما بدأ حياته لم يكن يملك من هذه الثلاثة إلا واحداً. لقد عرف الشيخ منذ وقت مبكر أن العمل هو الأساس، لكنه وفي المقابل عرف أن هذا الأساس لا يمكنه أن يقوم دون قاعدة أهم، هي نظرية الصداقات والثابت والأصل المضمّن للحياة، هي الالتزام بالعقيدة الإسلامية في كل تفاصيل الحياة..

لم يكمل الشيخ سليمان بن عبدالعزيز الراجحي مراحل التعليم، لأنه لم يكن رجل تعليم تقليدي، فتكوينه الشخصي لا يستلهم تعلم هذا النوع من المجال، ثم إن ظروفه الاجتماعية والجهنية دفعت به إلى خارجه.

ومن المؤكد أنه عرف ذلك مبكراً وعرف أنه قادر على تحقيق شيء آخر يعجز عنه غيره، ولكنه عرف أيضاً ما هو أهم بأن ذلك لا يمكن أن يتحقق دون التوفيق من الله سبحانه وتعالى.

وخلال سنوات استلزام أن يقلب كل الصور المالية والظروف الصعبة المحيطة به وينقلها لصالحه، بل

يجعلها طوعاً في يده فصار الطير غني والجموع شبعاً
والخاجة وفرة.

كانت صورة الحياة التي وجد الشيخ سليمان الراجحي
نفسه فيها زائفة، فبالإضافة إلى الظروف الحياتية
الصعبة والقاسية التي ميزت عصره ذات ظروفه الخاصة
به وبمائلته أيضاً كانت في الواقع جزءاً منها، بل هي الجزء
الأكثر فتامة.

لكن الواقع أن هذه الصورة التي لا تشجع على الإبداع
أو على التفكير السوي دفعتهم وبعضاً من أفراد جيله إلى
الاتجاه إلى الجانب الآخر فيه أو بالأحرى البحث عنه.

نشأ وهو يحمل في دواخله الكثير من الصفات التي
ساعدته فيما بعد على تجاوز مرحلته تلك.

نشأ سليمان الراجحي وهو يعرف قيمة العمل.. ومن
هنا تعلم كيف يصبح الإنسان جاداً في ممارسته وصبوراً
على مشاقه، وفي الوقت نفسه قادراً على مباشرته
بأنفسه، وتحمل كل أعبائه، نشأ وهو يعرف أن العزم على
الكسب الحلال والأمانة والصدق في التعامل هما القيمتان
الأساسيتان للعمل، وممارسة كذلك لا يمكنها أن تكون دون
إيمان الشفيع بأن الأرزاق مكتوبة ومقدرة.

ولأجل ذلك كان يعمل ويعمل دون توقف، والحقيقة أن الظروف التي طرأت بعد ذلك قد ساعدته كما ساعدت غيره في تجاوز تلك الصورة القاتمة.

لكن... ألم يكن هناك غيره عايش تلك الفترة وشهد طجرتها؟

الحقيقة المصعبة هنا أن تجاوز الشيخ سليمان بن عبدالعزيز الراجحي الظروف الحياتية الصعبة ذلك لم تجئ إلا للتغلبه واغتنامه للفرصة التي أتت.

فبالرغم من أن معظم أفراد جهله قد أمرو أنفسهم في خياراته السهلة المليئة بالربح اليسير، إلا أن الشيخ سليمان بن عبدالعزيز الراجحي قد أعلن منذ وقت مبكر من هذه الفترة في مفارقاته وتفرداته حيث إنه لم يركن إلى هذه الخيارات، بل قفز إلى ما هو أعلى اعتماداً على روحه الخلاقة ومطابقته المعززة بالإيمان، ثم أنه لم يتلذذ بالأرباح التي نتجت من هذه الفترة ولم يفكر في الركود والاستراحة، بل واصل في قفزه ولكن ليس في اتجاه واحد هذه المرة، بل في اتجاهات متعددة.

لقد حمل الشيخ سليمان بن عبدالعزيز الراجحي في داخله كثيره الكثير من المعلومات، لكنه لم يركن إليها ولم يعلقها، بل ساندتها بالصبر والاجتهاد فتحلفت على أرض الواقع.

ولقد علم منذ البدء أن التراض الفشل أمر قائم، لكنه في الوقت نفسه لا يجره إلى اليأس، فالانحداب من التجارب الفاشلة في رأيه هو الفشل بيمينه، ومن هنا خط نفسه قاعدة جديدة هي الاستفادة من الفشل بمراجعة العوامل التي تسببت فيه، ومن ثم الاستفادة من دروسها في الشروع والانطلاق لتجربة أخرى جديدة.

يؤمن الشيخ سليمان الزاجحي بضرورة تلاقى الدراسة الأكاديمية بالتجربة العملية والمراغب الشخصية، ويؤمن أن الفرد يواجه دون الأخرى لا يأتي بالنتائج.

ويؤمن في الوقت نفسه أن الله سبحانه وتعالى وحده قدرات خاصة، مكنه من النجاح في نشاطات متعددة في وقت واحد، وهو التفسير الوحيد لتفوقه على الكثيرين من الأكاديميين الذين استعان بهم في مشاريعهم المختلفة، وهو بهذا يضع قاعدة مهمة أن التعليم ليس هو الطريق الوحيد للنجاح بل هو أحد هذه الطرق الموصلة إليه.

في وسط جيش العاملين الذين يتخبطون في العمق بمشاريعهم المتعددة يتخبط الرجل بلشاعله الوافر وروحه الخلاقة، لا يفتي الوقت الطويك في مشاكل العمل وتمقيداته، بل يتجه مباشرة إلى تحليلها، فهو يتصرف بمقاربة المسيطر، ومن أجل ذلك لا يهتف ولا يلهو أحد

على خطاً وقم عنه. يغلب على تفكيره الإيجابية وتشم من شخصيته الثقة القوية بتحقيق الإنجازات والقدرة على العمل والعمل لوقت طويل ... ببساطة لأنه يحقق له السعادة والحيوية والنشاط والإنجازات الكبيرة.

ولد سليمان بن عبدالعزيز الراجحي في الكويت عام ١٣١٨ هـ / ١٩٠٩ م في زمن كانت الحياة بمسورة عامة تعيش عملاً حضارياً ونشأ في كنف والده الشيخ عبدالعزيز ابن صالح الراجحي ووالدته الفاضلة الكريمة عائشة بنت سليمان الراجحي.

انتقل مع عائلته إلى الرياض وأدخله والده مدرسة ابن سنن أو ما تعرف ذلك الوقت بمدرسة الأخوان، تعلم شيئاً من مبادئ القراءة والكتابة وقد واجه في أثناء دراسته ظروفًا حياتية صعبة فاشتغل حمالاً، وترك الدراسة لتتاقبها مع طبعته الحركية. كان يقوم في أوقات فراغه بمساعدة أخيه صالح في بيع العملات، وقد أصبح كفاؤه مرة عاملاً ومطباةً وأحياناً يائماً في التجمعات إلى أن سافر مع والده إلى حائل وذلك بسبب وفاة عمه، لخدمة والده، وكان في أثناء فراغه حالك يشتغل في البيع والشراء وبعد عودته من حائل عاود الاشتغال في بعض المهنة.

ما بين عام ١٣٦٠ هـ / ١٩٤٥ م - ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦ م اشتغل عند

أخيه صالح في مجال الصرافة ما بين الرياض ومكة المكرمة وجدة، وفي نفس الوقت كان يذاكر في بيم وشراء الأثاث والأقمشة، وفي عام ١٣٢٠هـ / ١٩٥٠م شارك أخاه عبدالله في تجارة الأخشاب والأسمدة وبعض مواد البناء وواصل تنويع تجارته، فانتسب محطلات للوقود في كل من بريدة وعفيف وكانت في تلك الفترة يتردد على مكة المكرمة حاجاً ومعتصماً ومهاجراً ومن ثم قرر الإقامة في مكة المكرمة ممثلاً لأخيه صالح في مجال الصرافة، وفي عام ١٣٢١هـ / ١٩٥١م عاد إلى الرياض ليدبر أعمال أخيه صالح، وفي عام ١٣٢٣هـ / ١٩٥٣م انتقل إلى جدة ليتولى إدارة أعمال أخيه صالح هناك، وفي عام ١٣٢٧هـ / ١٩٥٧م شارك أخاه صالحاً في أعمال الصرافة.

وفي عام ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م قاما بفتح مكاتب صرافة داخلية في كل من: المدينة المنورة وبريدة والحمام والخبر والإحساء وحميم مشيخ وأبها وتبوك وفي عام ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م اتجها إلى التعامل مع البنوك الخارجية في كل من لبنان وسورية والكويت والبحرين والولايات المتحدة الأمريكية ومختلف دول العالم وفي عام ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م قرروا إنهاء الشراكة، وفي نفس العام شرع الشيخ سليمان الزاجعي في إنشاء مؤسسة الخاصة به مؤسسة سليمان بن عبدالعزيز الزاجعي الخيرية.

وفي عام ١٣٩٨هـ / ١٩٧٧م اجتمع الأشقاء صالح وعبدالله

ومستلزمات ومحمد وإتلفا على المشاركة وتأسيس شركة الراجحي المصرفية والتجارة.

وفي عام ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م افتتح مكتب لندن وتبلن فكرة المصرف الإسلامي وقام برحلات إلى بعض دول العالم لشرح فكرة المصرفية الجديدة وفي نفس العام شرعا في التحول من شركة الراجحي للمصارف والتجارة إلى شركة الراجحي المصرفية للاستثمار. وفي عام ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م صدر نظام الشركة ومن ثم انشؤ مرة أخرى إلى مصرف الراجحي.

خلال مجال الزراعة وذلك عن طريق شراء عدد من المزارع في البكيرية وفي وادي الرمة والبهليلت وسمنه وأم طهيرة والضلعة ووادي الدواسر والجوف تحت مسمى الوصلية الزراعية.

وفي عام ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٦ م أنشأ الوصلية للحوادث على رقعة جغرافية بمنطقة القصيم تضم جميع أقسام المشروع الإنتاجية والأقسام الأخرى المتعددة من مساكن ومساجد ومصانع ونواد رياضية وثقافية وطرق وشبكات مياه وكهرباء وشبكات اتصال حيث أصبحت مدينة متكاملة.

وفي عام ١٤١١ هـ / ١٩٩٢ م أسس مشروع الوصلية الزراعية البسيطة بمنطقة الجوف وهي مدينة زراعية متكاملة

تضم ٢٥٠,٠٠٠ ألف رطل من الأغنام و٢٥٠,٠٠٠ ألف شجرة من جميع أنواع الفواكه و٥٠٠,٠٠٠ شجرة زيتون وعشرات الآلاف من جميع أنواع الخضروات ومساحات من القمح.

وفي محافظة وادي الدواسر أسس مشروعاً زراعياً توسع فيه في زراعة القمح وأشجار التفاح كالجرجي والشفراء والسكري وزراعة العنب والبرسيم والتمر والزبدع وتربية وتسمين الأغنام السودانية «سولتي» ويضم المشروع ورشاً ومستودعات ومسكن للعاملين ومكاتب إدارية.

وفي عام ١٤١٨هـ/١٩٩٧ م أنشأ مع شركاء آخرين شركة روبيات الوطنية في محافظة الليث على مساحة ٦٠ كيلو متراً مربعاً والتي تقدر واحدة من أكبر المشاريع في العالم لاستزراع الروبيات.

وفي عام ١٤٢٢هـ/١٩٧٩ م أسس المصنع الوطني للمواد الغذائية.. الواقعة على مساحة تقدر بأكثر من ٦١,٠٠٠ ألف متر مربع وبأسلاك ٦٠٠ هليون ريال سعودي وفي عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤ م أدخل تعديلات على المصنع شملت التوسعة والتجديد وتطوير خطوط الإنتاجية وتحديث خطوط تقنية المصانع ويقوم المصنع بإنتاج المصنائر التبريدية بمختلف أنواعها ومجموع المصناعات.

وفي عام ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م أسس مصنع الوطنية لصناعة الأوعية.

وفي عام ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٠م أسس مصنع الرياض للكرتون الذي يعد من أولئك المصانع التي تصنع الكرتون المضلع عالي الجودة في المملكة العربية السعودية ويقوم المصنع بإنتاج الكرتون لمختلف الاستخدامات.. عبوات المصانع وشركات الشحن ومصانع المفروشات وكراخيت المرطبات والآليات والتمور والخبز وصناديق ذاتية الإغلاق لتعبئة الخضروات والفواكه والدواجن وصناديق كرتون بمواصفات خاصة للتلاجات والمكيفات، وأطباق البقيق المتكاملة لجميع مقاسات البقيق.

وفي عام ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م أسس مصنع بنك الوطنية.

وفي عام ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٦م أسس مصنع بلاستيك الوطنية أحد مصانع الوطنية للصناعة، وهو أحد أكبر المصانع العاملة في صناعة البلاستيك بالمملكة العربية السعودية حيث يشغل مساحة ٦٠.٠٠٠ ألف متراً مربعاً في المدينة الصناعية الثانية بالرياض.

تلك علامة سريعة تتناول بإيجاز مخططات من حياة الشيخ سليمان بن عبدالعزيز الراجحي.

إنني حينما أجرد نفسي لاستنطاق الواقع.. وأفكر في حركة
كفاحنا المستديرة للمضي لاستكشاف وعلوم
الأبعاد والترقي إلى أبعد المصالحم يتراءى لي والذي في كل
المواقف فقد كان المزيمة الصادقة المخلصة - بتقدير الله..
وراء ما نحن فيه اليوم.

إن لدي اعتقاد يزاد في نفسي تمكناً وهو أن ما حدث من
تغير وتحول كبير في حياتنا إنما كان بفضل الله ثم بسبب
السلوك السوي المتزن، والفضائل الكريمة، والفهم العليا الذي
تلقيناه من والدي والذي كان لها أكبر الأثر في حياتنا.

ولد والدي عبدالعزيز بن صالح الراجحي في البكيرية عام
١٣١٨هـ. كانت البكيرية في ذلك الوقت قرية متواضعة
تقع شمال وادي الرمة تلحقهم أطرافها الشرقية مع التلال
الرميلة «الخميس» ويشرف على أجزائها الغربية جبل ساف
تبعد ١٠ كم إلى الجنوب الغربي من مدينة بريدة، و ٢٠ كم
إلى الجنوب الشرقي من مدينة عبيدة، وكان لهذا الموقع
الاستراتيجي أثر كبير في رفع مستوى البكيرية التجاري
والحضاري.

نشأ والدي نشأة دينية وقد تلقى تربيته الأولى على يد
والده الشيخ صالح الراجحي وكان لذلك التربية أثراً كبيراً
على حياته، عاش طفولته كبقية أفراد جيله ملازماً لوالديه
ومكرساً وقته لحفظ كتاب الله، ودراسة العلوم الشرعية
على الشيخ عبدالله بن سليم.

وعندما شب تلك في تحمل مسؤولياته ما بهت الفلاحه والبناء إلا أن تلك الأعمال لم تتوافق مع تطلعاته فقد وجد نفسه في العلم الشرعي والدعوة إلى الله. وعندما تقوى في ذلك التحق أوفده الملك عبدالعزيز - رحمه الله - إلى مضارب الشياطين للإمامة والإفتاء والتدريس فأقام عندهم مدة من الزمن ما لبث أن عاد بعدها إلى البكيرية ليقيم له محلاً صغيراً لم يستمر فيه طويلاً..

تعرض والذي الحياة صعبة وقاسية، صقلته المتاعب وانحكته الشدائد. ولكن البناء القوي يحتاج إلى أساس قوي يستند إليه لكي يثبت مع الزمن وهكذا كان أساس والذي قوياً صلباً ورغم قسوة الوسائل وشح الإمكانيات إلا أن قلبه كان مليئاً بالإيمان.

كان والذي يواجه أزمة ولم يكن مقدراً له أن يتغلب على تلك الأزمة ولكن إيمانه بالله سبحانه وتعالى يظهره أن الموقف الأمثل له ولعائلته مغادرة البكيرية والرحيل إلى الرياض. في عام ١٣٥٠هـ وصل إلى الرياض ونشأ نشأة جديدة فقد لاحظ والذي أنه يعيش في عالم متغير عن عالم البكيرية ولابد أن تختلف طريقة الإنتاج.. تقلب في كثير من المعن.

كان الهدف النهائي لوالدي العقيدة والمبدأ ولذلك لم يلهفك بشؤون الحياة وشجونها بل توجه إلى هدفه الأساس وهو الارتباط بالعقيدة في كل مجالات حياته والانضباط بها انضباطاً كاملاً تمتك ذلك في الإمامة والأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله بصبر ونية صادقة
واهتمام وقد كان لهذه النظرة العميقة المفهوم والذي
للحياة تأثير كبير على حياته.

كان أبي يتحتم بصفات أخلاقية كريمة فقد كان قلبه
الكلام كريم الأخلاق متواضعاً صبوراً وكانت تلك القيم ثابتة
ومتأصلة في حياته.

إن أوضح السمات في شخصيته والذي الرخمة مع العزم
وكانت تلك بمذابة سياسة ثابتة عنده. ذلك أن منهم
الغريبة عنده يستند على تلك القيم الأصيلة وقبل ذلك
على العقيدة الإسلامية التي تمتك له سلوكاً منضبطاً
وأساساً لحياته، فعمله يتلزم الدين بالسلوك.

لقد أصبح تأثير والذي علينا حقيقة ثابتة، فقد استند
في تربيته على العقيدة الإسلامية والقيم والمثل العليا
وعلى أسلوب الحوار وقف مسئلة أبوي يقوم على روح
الصدق، والتواضع، والخفة المتبادلة، والتواضع، والتواضع،
والثاني والتواضع، والتواضع، والتواضع، والتواضع،
والاستقامة على السلوك أولى درجات التألف الجماعي.

لا شك بأن التزامنا بمنهج الله أولاً ثم بمنهج والدنا قد حقق
لنا فتحاً كبيراً في عالم المال والأعمال والأخلاق والقيم.

أما والدتي الكريمة عائشة بنت سليمان الزاجحي فقد كانت امرأة
صابرة زاهدة محتسبة كثيرة الصيام كثيرة الصلاة تقيّة ورعة
عظيمة ذات فضلك نبيلة وسجيا كريمة وخلف رفيم.

صارت أيامها بالمطاعسات وشغلت وقتها بالمعاهدات وبررت

بعض حولها عاشت حياتها في رضى وفناعة تامة، قدمت لنا الكثير، الدعاء والمحبة، والمشورة، والنصح، شكت في أوضاع حياتها من مرض ألم بها فعاشت حياتها صابرة محتسبة شاكراً.

ومعها يكن من أمر فإن الكلام عن والدتي لا تكفيه الصفحات الكثيرة، غير أن ميزتها الأساسية قوة إيمانها بالله سبحانه وتعالى.

بيتي

وبيتي

زوجاتي

قليلون في الحياة هم أولئك الذين تسعدهم زوجاتهم وإن كنت أحدهم وهذا في حد نفسه يستحق مني أن أقابله بأكثر من الاحترام.

إنني معهما تحدثت عن زوجاتي فابتعت عندي فوق مستوى الوعظ المباشر فأنا كثير الخطبة بهن ولا اعتقد أنني سوف أوفيهن حقوقهن، ولكن ليس الغرض من حديثي رد الدين وإنما مجرد دفع النخبة والتفخر.

إن مسألة العلاقة العملية التوافقية بيني وبين إخوتي أراهم تفكيرى منذ سنوات طويلة واستأثرت بجزء كبير من وقتي، وأخذت من تفكيرى وإحساسي وتأملي الشيء الكثير.

بيتي

وبيتي

إخوتي

لم نحاول يوماً ما أن نكرب علاقتنا على أسس عاطفية أو تخيلات أو فرضيات أو آهاني.. وإن كانت العاطفة في مقبل حياتنا لعبت دوراً فاعلاً في تشكيلك صميم التقارب العائلي فهما يعلنا إلا أن الكفاح الطويل الذي خضناه سوياً بإيهات عميق ورغبة مستبصرة وبحبوية وفاعلية كرس إحساسنا في

تحويل تلك العلاقة إلى أفكار وروايات ومقاصد وواجبات وأهداف تطورت مع الوقت إلى أنظمة ومؤسسات ومشاريع، وأنزلنا الغايات والمبادئ منزلة الحقائق.

لقد أحررنا منذ وقت مبكر أن تملكنا القدرة وبقيانا على الجدارة محكوم بضبط توازننا ورغباتنا بما نمتلك من قيم وفضائل ومبادئ وبما نفيد ونقدم كان هذا مبدأنا ومبدأنا الذي اقتضى هنا كلاماً مستمراً في مبادئ العمل الجاد الصامت.

إن العزم الحقيقي والقدرة الحقيقية تتجلى في اكتساب الذهنية الطاعنة والأشكار الإيجابية المتعاسكة وإيقاظ الضمائر وتجديد منابع الحيوية والقدرة على الإبداع واستكشاف الحقائق.

إن ما تعتقده بالممارسة أن القوى الإيجابية في الإنسان لا تأتي بالإنجازات إلى الماضي ولكن بالنظر إلى المستقبل فالإنسان لا يستطيع أن يقدم شيئاً لأحد قبل أن يكون قد حقق ذاته «فلا يستطيع أن تشيع النور إذا لم تكن قد استنرت. ولا أن تبعث القدرة إذا لم تكن هذه القدرة قد انبعثت منك. ولا تخصص الاستنارة ولا تتولد القدرة صفواً أو تأتي حبة أو منحة بك هي نتاج كلام عسير واكتساب مضى ومخاسبة دقيقة مستمرة» (١).

هكذا كنا.. كان كل واحد منا قد سهر في تحقيق ذاته باكتساب القدرات والتقدم من خطوة إلى خطوة ومن لحظة

(١) زويك، فستيفيلد، في معركة المعصرة العلمية الأولى، بيروت، ١٩٦٤م.

إلى خلقه ومن دائرة إلى دائرة وفق رؤى صالحة ومسالك
نبيلة تتلزم فيها التنمية العقلية والشرقية الطليقة.

نتقاسمنا خصائص وفضائل مشاركة فلاحنا منا يتصل
بالمساق اتصالاً وثيقاً ويأثر به ويتفاعل معه.

فتجربتنا في الحياة متدرجة ومتماسكة نتقدم برفق
وبانتظام واستعداد لا نعرف له حداً أو نهاية.

لقد كانت في ذهننا صورة واضحة للإنجاز المنشود وإن كنا نتاج
جاء نتيجة مشاركة مزدوجة. كان أخي صالح قد سبقنا إلى
سوق الحياة. كانت المبادئ التي سادت حياته جردت تفكيره
من الخيارات والرغبات المسجلة كان يصل حياته بالتعليم
الذي قادته إلى مجالس العلماء طالباً مثابراً مستغنياً شحرج
في حلقات العلم الشرعي دارساً على علماء وقته وعندما
بلى من العلم مبلغه صار محدثاً وفاقياً وواعظاً.

وواصل حياته في نظم الوقت بالعمل فانطلق بفاعلية
تدرج في ميادين المال والأعمال يتصلم دوماً إلى الأمام
ويبني المستقبل وكذلك كان أخي عبدالله وأخي محمد.

فالإنسان مهما أوتي من طاقات فإنه لا يستطيع أن ينهض
في كل ميدان بعيداً عن العمل الجماعي... إن وحدتنا
التوافقية هي التي أفضت بنا إلى ما نحن فيه اليوم.

١٣١٨هـ. مولد الشيخ عبدالعزيز بن صالح الراجحي.

١٣٢٨هـ/١٩١٩م الشيخ عبدالعزيز بن صالح الراجحي معلوماً لدى الشياطين.

١٣٢٨هـ/١٩١٩م بداية عمل الشيخ عبدالعزيز بن صالح الراجحي في متجره في البكيرية.

١٣٤٠هـ/١٩٢١م رحلة الشيخ عبدالعزيز بن صالح الراجحي إلى الرياض.

١٣٤٨هـ/١٩٢٩م مولد سليمان بن عبدالعزيز الراجحي.

١٣٥٦هـ/١٩٣٦م الشيخ عبدالعزيز بن صالح الراجحي فلاحاً في الحلافة بمنطقة القصيم.

١٣٥٣هـ/١٩٣٤م دخول صالح وعبدالله بن عبدالعزيز الراجحي مدرسة بن سنان.

١٣٥٣هـ/١٩٣٤م بداية عمل الشيخ عبدالعزيز بن صالح الراجحي في الصفاة.

١٣٥٣هـ/١٩٣٤م الانتقال من البكيرية إلى الرياض.

١٣٥٥هـ/١٩٣٦م بداية عمل صالح بن عبدالعزيز الراجحي بالصفاة.

١٣٥٦هـ/١٩٣٦م إنشاء مؤسسة صالح عبدالعزيز الراجحي.

١٣٥٩هـ/١٩٤٠م شراء الشيخ عبدالعزيز بن صالح الراجحي أرضاً من مزارع آل بخير.

١٣٥٩هـ/١٩٤٠م شراء الشيخ عبدالعزيز بن صالح الراجحي أرضاً في خلة ابن غدير وإقامة بهته الأول.

١٣٥٩هـ/١٩٤٠م-١٣٦٠هـ/١٩٤١م استخراج الشيخ عبدالعزيز

أبنت صالح الراجحي بيتاً في وطنه.

١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م - ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م عودته الشيخ عبدالعزيز بن صالح الراجحي إلى البكيرية.

١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م - ١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م قراءة صالح بن عبدالعزيز الراجحي على ساحة الشيخ محمد بن إبراهيم.

١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م تأسيس أول هيئة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الرياض.

١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م شراء الشيخ عبدالعزيز بن صالح أرضاً في تخيلك آل ضافي.

١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م عمل سليمان بن عبدالعزيز الراجحي عند أبنت سلمه.

١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م الشيخ عبدالعزيز الراجحي يتلقى برفقة من أخيه الشيخ محمد في حائل.

١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م طفول سليمان بن عبدالعزيز الراجحي المدرسة. وكان عمره أربعة عشر عاماً.

١٣٦٢هـ/ ١٩٤٣م إنشاء مسجد آل بغير.

١٣٦٣هـ/ ١٩٤٤م زواج عبدالله بن عبدالعزيز الراجحي.

١٣٦٣هـ/ ١٩٤٤م عمل سليمان بن عبدالعزيز الراجحي عند محمد الصميت.

١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م عودته الشيخ عبدالعزيز بن صالح الراجحي إلى حائل مرة أخرى.

١٣٦٤هـ/١٩٤٥م استقالة سليمان الراجحي عن العمل لدى ابن قيس وفتح ذلك لبهم السكر والشاي والمفاتيح والخفويات والكبريت خلف درواسة آل سويلم.

١٣٦٥هـ/١٩٤٦م عمل سليمان الراجحي عند ابن مرشد.

١٣٦٥هـ/١٩٤٦م شراء الشيخ عبدالعزيز بن صالح الراجحي بيتاً في حلة ابن شخير.

١٣٦٥هـ/١٩٤٦م افتتاح أول محل للصرافة.

١٣٦٨هـ/١٩٤٨م-١٣٦٩هـ/١٩٤٩م بيع العملات بمكة المكرمة.

١٣٦٩هـ/١٩٤٩م سفر سليمان الراجحي إلى الكويت.

١٣٧١هـ/١٩٥١م بداية التحول إلى بنك العالم بالدولار والإسترليني.

١٣٧٢هـ/١٩٥٢م-١٣٧٣هـ/١٩٥٣م انتقال سليمان الراجحي إلى جدة لإدارة أعمال أخيه صالح في جدة.

١٣٧٣هـ/١٩٥٣م وفاة والدته عائشة بنت سليمان الراجحي.

١٣٧٣هـ/١٩٥٣م-١٣٧٤هـ/١٩٥٤م عودته إلى الرياض من مكة المكرمة من عمله عند أخيه صالح بن عبدالعزيز الراجحي.

١٣٧٤هـ/١٩٥٤م-١٤٣٥هـ/١٩٥٥م أول سفر لسليمان بن عبدالعزيز الراجحي إلى مصر.

١٣٧٤هـ/١٩٥٤م انتقال سليمان بن عبدالعزيز الراجحي إلى جدة.

١٣٧٤هـ/١٩٥٤م استبدال العملات الأجنبية وقبول الدولار.

١٣٧٧هـ/١٩٥٧م بداية الشراكة مع أخيه صالح الراجحي.

١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م افتتحت مكاتب صرافة في المدينة المنورة،
وجريدة، والدمام، والظهر، والإحساء، وخميس مشيط،
وأبها وتبوك.

١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م التعاقد مع البنوك الخارجية في كل من،
ليبنان، وسورية، والكويت، والبحرين والولايات المتحدة
الأمريكية.

١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م بداية التعاقد بالشيكات.

١٣٩١هـ/ ١٩٧١م فتح الفرقة مع صالح بن عبدالعزيز الراجحي.

١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م إنشاء مؤسسة سليمان بن عبدالعزيز
الراجحي الخيرية.

١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م تأسست مصنع الوصل للمواد الغذائية «الوجبة»

١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م تأسست مصنع الوصلية الصناعة الأوبية.

١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م إنشاء الوصلية للتجارة.

١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م مشاركة الأشقاء صالح وعبدالله ومحمد في
تأسيس الراجحي للصرافة والتجارة.

١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م انتقال سفارات الراجحي إلى الرياض.

١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م تأسيس مصنع الرياض للكرتون.

١٤٠١هـ/ ١٩٨١م تأسيس بنك لندن (بنك الإسلامي).

١٤٠١هـ/ ١٩٨١م تأسيس شركة الراجحي المصرفية للاستثمار.

١٤٠١هـ/ ١٩٨١م تأسيس مصنع بلاستيك الوصلية.

١٤٠١هـ/ ١٩٨٢م تأسيس شركة الوصلية الزراعية البسيطة

بمتملكة الجوف.

١٤١٦هـ/١٩٩٧م إنشاء شركة الوطنية لزراعة الروبيان في

محافظة الليث.

١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م إنشاء مؤسسة سليمان بن عبد العزيز

الراجحي الخيرية.

١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م كتابة الوصية.

90

مؤسسة سليمان

ابن عبد العزيز

الراجحي الخيرية

تدمو الفطرة السليمة كل أبناء البشر إلى فعل
الخير أينما كانوا فالمعانيق هو الذي يجعل من الدنيا
جسراً يعبر عليه أمناً للأخرة.

والعمل الطيري هو واحد من الأعمال المظلمة التي
تحقق للإنسان هذه المزية إذا ما عرف كيف يحققها
بشكلها الذي نادى به الإسلام.

الكثيرون اليوم يحلمون بتحقيق ذلك وفي
المعابد أيضاً هناك الكثيرون الذين هي استطاعتهم
تحقيق ذلك عملياً وليس بالأحلام، وما بيت هؤلاء
وأولئك الإرادة والوسيلة.

كان الشيخ سليمان بن عبد العزيز الراجحي منذ
أيامه الأولى يعمل على تفعيل هذه المعاني وهو يعلم
قيمتها الحقيقية التي تمتد إلى سنوات بعيدة فهي
متجذرة في شخصيته يمتد منذ طفولته ولعل هذا
التبلور لشخصيته قد بان بشكل واضح حينما رزقه الله
بعض المال الفلبي في أيامه الأولى ومع هذا لم يتردد
في الإنفاق.

وإذا كانت البكيرية هي محطته الأولى فإنها
ليست الأخيرة ولكنها كانت البداية المصممة للامتداد
لما هو أبعد وأعمق.

ففي عام 1421هـ/2000م انطلقت مؤسسة سليمان بن عبدالعزيز الراجحي الخيرية كبادرة إنسانية وما كان لها أن تكون لولا دعم وتبني وتمويل الشيخ سليمان بن عبدالعزيز الراجحي فقد كانت مؤلماً بالفكرة سبباً إلى تنفيذها.

تسمى مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية إلى أن تكون رائدة في مجال العمل الخيري وذلك من خلال تحقيق جملة من الأهداف.

- الرعاية الاجتماعية بكل أنواعها داخل المملكة العربية السعودية.

- الرعاية الصحية وإنشاء المراكز الصحية والتأهيلية.

- الرعاية التعليمية وإنشاء المراكز التعليمية للمساعدة في إجراء البحوث والدراسات ذات النفع العام للمجتمع في المملكة العربية السعودية.

- الدعوة الإسلامية وفقاً المنهج السلفي الصحيح ووفق منظور الجهات الشرعية في المملكة العربية السعودية.

- إنشاء الجوامع والمساجد والأوقاف وفقاً لخطة معتمدة من مجلس الإدارة.

ومؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية مشروم إنساني يستهدف الشمول والتوازن

الأهداف

في تقديم العمل الإنساني.

وتتكون هذه المؤسسة من:

- إدارة العمل الخيري.
- أمانة المشاريع النوعية.
- إدارة التخطيط والتنسيق والمتابعة.
- الدراسات والبحوث.
- إدارة البرامج والأنشطة الخيرية.
- إدارة العلاقات العامة والإعلام.
- إدارة الخدمات المساندة.
- الإدارة المالية.

وتقدم المؤسسة خدماتها الإنسانية لمختلف شرائح المجتمع السعودي عبر أفرعها المنتشرة في مناطق ومدن وقري المملكة العربية السعودية،

الرياض والقصيم وحائل وأبها ومطريف ومكة المكرمة والمنطقة الشرقية وجازان وحفر الباطن.

وتقوم سياسة المؤسسة في تقديم خدماتها الإنسانية على تلبي احتياجات المجتمع والعمل على تلبيتها من خلال التخطيط السنوية لكل فرع، والتأكد من أن خدمات وبرامج الفرع توجه إلى الفئات المستهدفة من خدمات المؤسسة، الجامع، ومفصلة الأموال ومخازن تحفيظ التراث الكريم ودور البهات

لتحفيظ القراء الكريم (النسائية) والمكتبة العامة.

والعمل على إبراز دور المؤسسة في المنطقة
التي يخدمها الفرم.

والإشراف على أعمال اللجان الاستشارية الدائمة
لدراسة طلبات الدعم والتأكد من إنجازها لأعمالها
في الأوقات المحددة.

وقد وضعت المؤسسة أوليات للعمل الخيري وهي:

- تقديم العمل الجاري الدائم على المنقصر.

- تقديم العمل النواسم نفعه على المحدود
المنقصة..

- تقديم العمل الطارئ الذي يفوت على العمل الذي
يمكن تأجيله قليلاً..

- تقديم العمل الذي يحقق سُنة خير ليقتدي به
الأخرون.

- تقديم العمل الذي يحقق اشتراك مؤسسات
متعددة على غيره.

- تقديم ما كانت الحاجة إليه أشد.

تتركز مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي
الخيرية على جملة من الدعائم الأساسية لتفعيل
وتنظيم العمل الخيري هي:

أولويات

- أن يكون المشروع والقائمون عليه وفق المنهج الشرعي الصحيح.
- أن يكون المشروع تحت إشراف جهة رسمية.
- أن يعطى المشروع بتوكية معتمدة.
- أن يكون لدى القائمين على المشروع حسن التصرف فيما يرد إليهم من أموال.
- أن يكون قد أرسل تقارير للدعم السابق.
- أن لا يتكرر الدعم للمشروع ذاته في السنة الواحدة.

91

جامعة
سليمان
الراجحي

جامعة أهلية غير ربحية ملتزمة بالمنهج الإسلامي لتلبي عدة أهداف منها المساهمة بدور تعليمي وثقافي في رفع المستوى الثقافي والعلمي لبناء الوطن بشكل خاص ولأمة الإسلامية والعربية بشكل عام وذلك تلبياً لاحتياجات سوق العمل في المملكة العربية السعودية من الكوادر العلمية الفنية المؤهلة تأهيلاً عالياً لخدمة القطاع الصحي في المملكة والمتمم العربي. كذلك استقطاب الكفاءات الأكاديمية والعلمية العالمية الأنض من كافة النواحي العلمية، وتوظيف خبراتهم في الوطن وتبني طرق التعليم العالي الحديثة باستخدام أحدث ما توصلت إليه تقنية المعلومات في مجال التعليم العالي، هذا استخدام أحدث تطبيقات الحاسب الآلي في العملية التعليمية. إعداد الطلبة والطالبات وتأهيلهم لحياة عملية ناجحة ذات معنى تمكنهم من المنافسة وذلك بتبني أعلى معايير التميز من خلال نوعية ومستوى التعليم. وكذلك تشجيع وتوفير بيئة ملائمة للبحث العلمي والتطوير العلمي وملتزمة في الوقت نفسه بخدمة المجتمع السعودي. تهدف الجامعة أيضاً إلى إنشاء علاقات مثمرة ومطلوبة المدى ومتميزة مع المؤسسات الأكاديمية والجامعات ومؤسسات التعليم العالي المحلية والدولية والمساهمة في

تلبية الحاجات التنموية التي يتطلبها المجتمع السعودي في مجالات الطب والتدريب والعلاج. كذلك اتاحة التعليم الجامعي المتميز داخل حدود الوطن بدلاً من تكبد أبناءنا من الجنسين عناء السفر لعدد من السنوات خارج المملكة وتقديم المنهج الدراسية المطلوبة والمطلوبات المتميزين من أبناء الوطن الغير قادرين على مواصلة تعليمهم الجامعي.

رؤية الجامعة

تحقيق التميز العالمي في التعليم والبحث العلمي، والريادة في تنمية المجتمع.

رسالة الجامعة

صناعة قادة النهضة المستقبلية من خلال تزويد طلابنا بالمعروف والمعارف العملية والشخصية والقدرات المقترنة بالأخلاق الصالحة العالية في بيئة تعليمية خلقة بفطرتها البحث العلمي وتزرع في نفوس الطلاب روح المبادرة والإنجاز والتعلم مدى الحياة، وإنتاج البحوث العلمية العالية لاحتاجات المجتمع العالية والمستقبلية، والمساهمة في تنمية المجتمع.

المدينة الجامعية

يتكون مشروع جامعة سليمان الراجحي الأهلية من أربعة مشاريع مستقلة بذاتها، من ضمنها إنشاء

ثلاث كليات علمية هي مجال الطلب على النحو التالي:

أولاً، كلية الطب،

ثانياً، كلية العلوم الطبية المساعدة الأشعة
والمختبرات الطبية.

ثالثاً، كلية التمريض،

رابعاً، مستشفى جامعي تعليمي كنواة أساسية جفياً
إلى جنب وتزامناً مع إنشاء الكليات الثلاث الأخرى.

كما يعتبر مشروع جامعة سلیمان الراجحي
والمستشفى الجامعي في محافظة البكيرية مديفة
تعليمية متكاملة المرافق والخدمات المساندة.
هذه المستشفى الجامعي بسعة ٧٠٠ سرير بجانب
مرافق وخدمات مساندة للمشروع تتضمن مبنى
الإدارة العامة، صالة الاجتماعات العامة، وقاعات
محاضرات، وقاعة المؤتمرات والنسختات العلمية
ومختبرات التحاليل المركزية، ومكتبة مركزية،
ومسجد يتسع لـ ٥٠٠ مصلّي، وسكن خاص بالطلاب
وسكن منفصل ومستقل المداخل والمخارج للطلقات
يحترم خصوصية الطالبات، وأيضاً سكن خاص بأعضاء
هيئة التدريس مكتمل المرافق والخدمات المساندة
مثل المطاعم والأسواق التجارية وملاعب وساحات
ومنشآت رياضية متعددة، كالمسابح وصالات رياضية
مغلقة، كما سيكون هناك مساحات مخصصة للحدائق

والمساحات الخضراء ومنطقة مستودعات وخدمات ومواقف سيارات.

كما سيشتمل المشروع ثلاث محطات لخدمة المدينة التعليمية تتكون من محطة تحلية للمياه ومحطة توليد الطاقة الكهربائية، ومحطة للتصرف الصحي للاستفادة منها في مياه الري.

ستبدأ جامعة سليمان الراجحي بعشيرة الله بثلاثة تخصصات وهي: الطب، التمريض، والعلوم الصحية، على أن تتوسع مستقبلاً بكليات أخرى مثل المصرفية الإسلامية، إدارة الأعمال، الصيدلة، طب الأسنان، والعلوم الإنسانية الأخرى.

يقم المشروع في محافظة البكيرية وبالتحديد على الطريق السريع الذي يربط منطقة القصيم بالمدينة المنورة ومساحة موقع أرض المشروع حوالي مليون ومئتان ألف متر مربع.

تم توقيع عقد للتعاون الدولي على المدى الطويل مع جامعة ماسترخت الهولندية يتكون نطاق الاتفاقية على الإشراف على الجوانب الأكاديمية والطبية لجامعة سليمان الراجحي، برامج تأهيل الجودة للجامعة والمستشفى الجامعي، منح شهادات عالمية على مستوى البكالوريوس والدراسات العليا.

لقد كان لفكره الشيخ سليمان بن عبدالعزيز الراجحي واهتمامه بكل فئات وأطياف المجتمع أثر بالغ في رؤيته لعمله دور النظام الخاضع وتأثيره في حركة المجتمع. فهو لا يرى نظاماً لجمع المال، وتكديسه من أجل الرفاهية الشخصية، والتمتع لأنني، وإنما النظام في أن يكون هذا النظام حيويّاً في تعامله مع الواقع من خلال السعي الجاد إلى جمع هذا الواقع أفضل، بتخصيص مستوى أفراد، وأسر، وكيانات، بأعمال، قيم الإيثار، والبعد عن الأنانية.

ويخلص هذه الرؤية قول الشيخ في إحدى المناسبات: إن التجربة علمتني أن ما يتفقه الشخص من حال في سبيل الله سبحانه الله، وهذا يعبر عن إيمان قوي بالله، ويثبت بأن المال حلال.

وهذه الرؤية يعمد الشيخ سليمان الراجحي على تطبيقها على أرض الواقع بعمق دؤوب، ودعم متواصل لقاعات المجتمع المختلفة، التي يخلق عليها مؤسسات المجتمع المدني من أجل أن تستمر في أداء رسالتها، فتقيد الصناعات، وتساعد الملهوف، وتكفكف دمع المنكوب، وتمسك اليتم، وتوفر العلاج للمريض، وتحتسب ظروف التعليم، وتدرّب الشباب، وتطور قدراتهم، وتعين المرأة على الانضمام بدورها الرائد في المجتمع، وتدعم الزراعة

والصناعة والتجارة، وتعمل على تعليمها بما يحقق مصلحة البسطاء من الطائ وأصحاب المهن والحرف الواسعة، ويزيد من ترابط المجتمع وينمي الإحساس بالانتماء...

ومن ينظر إلى ما ناله الشيخ سليم من عبد العزيز التراجعي من فروج التقدير، وميداليات الامتياز، وشهادات العزات يجد أن أباديه البيضاء امتدت بالفعل لكل قطاع حيوي في المجتمع، وأن هذه الدروع والميداليات والشهادات ما هي إلا وسيلة للتعبير عن مكانة الرجل.

وقد كان نيله لوسام الملك عبدالعزيز تويجاً لرحلة من الكفاح الطويل في ميادين الحياة.

وهو حين يرعى الندوات والملتقيات العلمية لا يهدف إلى شهرة بذاتها، أو يقصد الترويج لشركة من شركاته، وإنما يهدف إلى دعم عمل علمي جاد سيكون له عماره، وتأثيره الإيجابي في الميدان الذي تختارونه.

وعندما يدعم مشروعاً خيرياً له أهدافه الإنسانية سواء في مجالات الرعاية الاجتماعية المختلفة، أو مجالات الصحة والتعليم والمرافق الحيوية، فهو لا يرمي إلى أضواء تسلط عليه أو على مؤسساته وشركاته، وإنما هدفه أن يحقق هذا المشروع غايته، وأن تكون الاستفادة على أوسع وجه، وأن يكون عمله مشجعاً للغير، مما يعمق في المجتمع

ويؤكد عزوف الشيخ سليمان الراجحي عن الأضواء، وحرصه على أن تكون أعماله خالصة لله، ما قاله صاحب السمو الملكي الأمير سعود بن عبدالعزيز بن عبدالعزيز أمير منطقة جازان في حفل جائزة خالك للأعمال الخيرية في مسقطها الثالثة لعام ١٤٢٨هـ. الشيخ سليمان بن عبدالعزيز الراجحي، الحمد لله أننا استطعنا إقناع الشيخ سليمان بن عبدالعزيز الراجحي بالظهور؛ لأنه لا يحب الظهور في المحافل ليكرم، وإن اعتقد أن تكريم إنسان مثل الشيخ سليمان سليمان الراجحي من واجب، كما هو واجب الدعاء والإخوان العاملين في الجمعيات الخيرية أن يحضروا المناسبات التكريمية لهم، فتكريمهم ليس لأشخاصهم، وإنما لأنهم يمدون يدوة في إنجاز الصمم الخيري.

تكريم

ومن هذه الكلمات نستشف أيضاً أن أعمال الشيخ لا تحدها حدود، فهي تمتد بامتداد مساحة المملكة العربية السعودية، بل تتجاوزها إلى الدول الإسلامية، لأن دافعها إنساني بحت، وتكون حيث تكون حاجة الإنسان، لتلبي حاجته بقدر الإمكان.

ومع أن هناك مؤسسة خيرية أسسها الشيخ سليمان الراجحي لتلبي الحاجات، وتلبيته، وهي تقدم كثيراً من

أنواع الدعم للقطاع واسم في المجتمع. إلا أن دعمه للجمعيات الخيرية، والمؤسسات الوطنية ذات الأنشطة التوعوية المتميزة لا يتوقف، وليس من المبالغة القول إن هذا الدعم يشمل كل القطاعات، ويغطي مختلف الأنشطة من ندوات ولقاءات ومؤتمرات علمية في مجالات الزراعة، والصناعة، والإعلام، والعقار، والخدمات، وغيرها إلى مناسبات تعليمية، وصحية، وإلى مجالات إنسانية تتصل بالأيتام، وذوي الحاجات الخاصة، وإلى معارض متخصصة، وأنشطة تروبية.

وهذا الدور يراه الشيخ جزءاً أصيلاً من أدوار القطاع الخاص في المجتمع، مستهدياً في ذلك بالثرات الحضاري الإسلامي الممتد الجذور الذي يوضح ما كان يقوم به المؤسسون من السلف الصالح من أعمال خيرية ومشاريع لها صفة الديمومة خدمة لدينهم، ودعماً لإخوانهم، وإسهاماً في توليد أركان الدولة. ونشر الرسالة التي تقوم عليها، وتتمسك بها منهجاً وشرعاً.

كما أنه يرى هذا القطاع الحيوي نوعاً من رد الجميل للمجتمع الذي هباً له أسباب العيش الكريم، ونوعاً من التحدث بنعمة الله، وإسهاماً في إعلاء قيم الخير، وتأكيد مبدأ التعاون على البر والتقوى.

لقد تقلد الشيخ سليمان بن عبدالعزيز الراجحي جوائز

وأوسمة وشهادات وجروحه الشكر والتقدير، تقديراً لمبادرته ومواقفه وإسهاماته التي تستجيب لاحتياجات المجتمع.

ففي عام ١٤١٦هـ/ ١٩٠٠م وفي حفل اختتام المهرجات الوطنية للتراث والثقافة الذي ينظمه الحرس الوطني بالجنادرية قلاد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز وحمه الله الشيخ سليمان بن عبدالعزيز الراجحي وسام الملك عبدالعزيز وحمه الله من الدرجة الأولى، وهو تقدير لدور القطاع الخاص في مساندة التنمية.

قصة المصرف الإسلامي مصرف الراحي

كان المصرف الإسلامي الفكرة المصغرة التي شغلت الفيلسوف سليمان الراحي، فقد كان على مدار سنوات طويلة يكافح من أجل هذه الفكرة ولم يكن صبوراً له أن يتغلب على المصاعب التي حوّلت به أولاً أنه كان صبوراً إلى حاجة العالم الإسلامي في مصرف إسلامي فطبعه ذهنه واستمع بهله وفي هذا الصدد يقول الشيخ سليمان بن عبد العزيز الراحي، لقد راودتني وأخي، سالم رحمه الله فكرة إنشاء مصرف إسلامي يقوم على أساس المعاملات الاستثمارية والمبنية بحيث لا تتعارض مع الشريعة، وبخاصة وبمقتضى من المعاملات التقليدية الخاصة على عبد الرب والمعاملات المبرمة، ولقد أتت وأخي فكرة مصرف الأمر، إلا أنها كانت متناقضة بنجاح الموضوع بحثت فيه ذلة طيلة وأمد كبير وأشرقت هذا أطروبا عبد الله ومحمد، وقد واجهنا في ذلك عقبات وصعوبات عدة، كان من أهمها قناعة الكثيرون أنه لا يمكن للملوك إلا أن تكون، وبوجهة هذه النظام التقليدي العاصي، ولذا كان من المصاعب الكبيرة التي نتجت عنها والفتنة محاولة إقناع الآخرين بأننا نرصد على تطبيق هذا المبدأ وأنها باتت الله تعالي متفكرين بالوصول إليه، وكان من الثابت بهما رأيهم وقناعتهما بذلك أصحاب الطبيعة العلماء، وقد كانت لهم في ذلك مواقف وأراء متباينة، فبعضهم من شجع على ذلك وأيده، وراى سعيًا عوفياً في

الاتجاه الصحيح، بل، وكان من قول بعض كبار العلماء لنا وقتها، لو حققتم 70% من المطلوب بعد عشر سنوات فهذا إنجاز طيب، وكان هذا أعظم مشجع لنا على هذا التغيير جزأهم الله خيرًا، ولما كان من أهم ما علينا أن نأخذه في مشروعنا عليه ضرورة وجود هيئة من أهل العلم تراجع المنتجات والعقود وتقدم الرأي الشرعي.

وقد اتفقت تحت مسمى شركة الراجحي المصرفية للاستثمار في عقد تأسيسها على أن تتحم جميع معاملات الشركة بما لا يتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية، وأثبت هذا العقد لدى كاتب العدل في الرياض بتاريخ ١٤٠١/٩/٦هـ وصدر قرار مجلس الوزراء برقم ٩٤٥ وتاريخ ١٤٠١/٢/١٦هـ والمرسوم الملكي رقم م/٩٧ وتاريخ ١٤٠١/٢/١٦هـ بالتوظيف للشركة، وقد وافقت الجمعية العامة للشركة على إنشاء اللجنة الشرعية وتسمية أعضائها وإجازة منهم ممثلها فأصبح لزامًا على الإدارة التنفيذية لشركة الراجحي المصرفية للاستثمار - بجميع مستوياتها - أن تسعى لتحقيق الأغراض التي من أجلها أنشئت الشركة، متفيدة في هذا الصعي بالالتزام بأحكام الشريعة الإسلامية في جميع معاملاتهم. وقد أيد أعضاء الجمعية العامة بعد ذلك هذا الأمر ورحبوا به، وتم في الجمعية العمومية الخادية عشرة بتاريخ ١٤١٩/١١/٢٧هـ اعتماد لائحة اللجنة الشرعية التي جاء فيها النص على أن اللجنة

الشرعية تهدف إلى التحقق من امتثال أحكام الشريعة الإسلامية المصطلحة في جميع معاملات الشركة، والنصح والتوجيه لها بما يحقق مقاصد الشرع الحنيف، كما تبين تلك الالاتح أن جميع معاملات الشركة تخضع لموافقة الهيئة الشرعية ومراقبتها وأن قرارات الهيئة ملزمة للشركة.

وعرضنا وقتها على الجمعية أسماء مجموعة من أصحاب الفضيلة ليكونوا هم أعضاء الهيئة الشرعية، وهم استلموا تكوين الهيئة الشرعية الأولى في الجمعية التأسيسية للشركة في ٩/٢/٧٠ - ١٤ هـ، من ستة من العلماء الأفاضل هم كل من،

- صاحب الفضيلة، الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عبيد -
رحمه الله - رئيساً،

- صاحب الفضيلة، الشيخ صالح بن عبد الرحمن الخصيت، نائباً للرئيس،

- صاحب الفضيلة، الشيخ مصطفى بن أحمد الزرقا - رحمه الله -،
عضواً.

- صاحب الفضيلة، الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن النمام -
رحمه الله - عضواً.

- صاحب الفضيلة، الشيخ عبد الله بن سليمان المنيم، عضواً.

- صاحب الفضيلة، الشيخ د. يوسف القرضاوي، عضواً.

فالتقرير أولئك الأعضاء للخطر في أعمال الشركة من الناحية الشرعية مساندين لما في عملنا الإداري والقضي، فكان أن تعينوا بنظر شرعي وإجم موافقاً، وكانت لهم بصمة ظاهرة في أعمال الشركة، هم أنهم كانوا يعملون اختساباً دون مقابل عادي، واستمر ذلك لعدة سنوات، إلا أن إدارة الشركة رأيت بعد ذلك أنه لابد من تقرير بذلك تخلف أو بدل عضوية الأعضاء الهيئة تعويضاً لهم عما ببذلوا من أوقات وجهود، وكان أن استوفى بعضهم على ذلك، ولم يرتضه، إلا أن بعض المتضررين قبل بعد ذلك خوفاً من اتساع هذا المشروع وكانت هيئة تجمع على ذلك وشكاً من عزيمتها فيه عن البداية صاحب الفضيلة الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عبد ربه الله تعالى، ومنذ الخطوات الأولى وضع يده بأيدينا رئيساً للهيئة الشرعية منذ إنشائها، وعمل مع إخوانه العلماء الأعضاء أعضاء الهيئة الشرعية بصدق عملاً شرعياً تأسيسياً، ومن ذلك حيث إلى حيث استداره في ١٤٣١/٢/٢ هـ قبل وفاته رحمه الله التي كانت في ١٤٣١/١٠/٨ هـ استمر فضيلته رئيساً للهيئة الشرعية، في مدة تزيد على الثلاث وعشرين سنة، أصدر فيها فضيلته - مع أصحاب الفضيلة أعضاء الهيئة الشرعية في دورات متعاقبة - مئات القرارات والتوجيهات الشرعية التي تعد اليوم مرجعاً مهماً للمعاملات والباحثين في التصرفية الإسلامية.

وقد تميز الشيخ - رحمه الله - بدقة الفقه، والظهور القضائية المطلوبة، والحكمة والنظر السديد، وحسن التعامل والتواضع والأخلاق العالية التي جعلته نموذجاً محبوباً ومؤثراً أينما حلّ وقد بلغ - بفضل الله - عدد قرارات الهيئة الشرعية منذ نشأتها إلى تاريخ اليوم قريباً من ألف قرار، أجازت فيها الهيئة عدداً من العبادات والاحتياجات والاعمال، وعالجت جملة من الملحوظات الشرعية وأجبت عن عدد من الاستفسارات الموجهة من إدارات الشركة، وهي قرارات ضرورية تحريراً كاملاً بتأصيل علمي وصحي، صادرة به عن المراجع العامة للباحثين والعاملين في هذا المجال.

وقد استمرت الهيئة الشرعية وكلما هي الشركة مصيلة لها في تحقيق رسالتها والهيئة الشرعية يتوالى عليها أهل علم أفاضل في عمل متميز كان لأولئك العلماء المؤسسين فضل في تأسيسه وبعد ذلك هذه السنين وكل تلك الجهود من مؤسسي المصرف ومن أعضاء هيئته الشرعية والتنفيذيين فيه أصبح مصرف الراجحي الآن يُعدّ أكبر مصرف إسلامي، وقدوة للمؤسسات المالية الحريصة على الالتزام الشرعي مع خرفعة مصرفية متميزة، وجوده تلبية عالية بفضل الله عز وجل.

به، وصادرات الدول المسلمة وغيرها تناسيك لفضله المصرفية الإسلامية وتري فيها مجالاً عاماً لاستثماراتها، وحلولاً لبعض مشكلاتها.

ينفطر اليوم إلى أوقاف الشيخ سليمان بن عبد العزيز الراجحي باعتباره واحد من المؤسسات الوطنية العالمية الرائدة في مجال العمل الإنساني وذلك بفضل الله ثم بفضل الدعم السخي الذي يقدمه الشيخ سليمان بن عبد العزيز الراجحي للعمل الخيري. ولذلك تسعى أوقاف الشيخ سليمان الراجحي إلى جعل العمل الإنساني ممارسة يومية ذلك أن إستراتيجية عمل الخير تقوم على حب إنساني إذ أنه منذ وقت مبكر وضع أنظاره على مختلف جميع الأصعدة، الاجتماعية والصحية والثقافية والتكافلية والتعليمية والإغاثية والعلمية والتربوية والبيئية والتأهيلية والتنموية.

إن تفاصيل العمل الإنساني حاضرة في شخصية الشيخ سليمان بن عبد العزيز الراجحي فحينما تعلم على أجنحة الأسماك الخيرية تجد بناء المساجد والجوامع وإدارتها وصيانتها تنحصر خبراته الإنسانية حيث ينطلق على بنائها وإدارتها مئات الملايين من الريالات وقد ياتر إلى إنشاء إدارة خاصة في أوقافه للرصد في كل مكان عن المواقف المناسبة لبناء المساجد كما أقام إدارات أخرى تبحث وتحرس المعارف المناسبة لعمل الخير هذا في الوقت الذي تتواجد فيه مؤسساته الخيرية بيت أوساط الفقراء.

وبإلقاء نظره سريعة على مسيرة الإنجازات الإنسانية فإن

أوقاف الشيخ سليمان الراجحي تسجل حضوراً مرموقاً في مختلف المجالات الإنسانية وفي الجانب الاجتماعي يتسم هذا الحضور بشمل مختلف المشروعات الاجتماعية والتكافلية من صعيد وتعليمية، وتربوية وإغاثية ويغطي هذا الحضور الإنساني المملكة العربية السعودية من أقصاها إلى أقصاها ويأتي على فصائل عريضة من المجتمع.

إذا أن أوقاف الشيخ سليمان الراجحي تستجيب لكل طوائف فئات وشرائح وأصناف المجتمع السعودي خصوصاً في المجالات التي تصاعد على بناء القدرات الذاتية.

تصندوق الاستخدام العالي أحد تلك الاستجابات التي تمكن أبناء المجتمع من بناء قدراتهم الذاتية على أسس خيرية.

وتصندوق الاستخدام العالي عبارة عن صندوق خيري يمول من قبل مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية وذلك عن طريق الشراكة الإستراتيجية مع وزارة الشؤون الاجتماعية يغطي الصندوق برامج ومشاريع المؤسسات الإنسانية والاجتماعية في المملكة العربية السعودية وبصورة عامة فإن الصندوق يقدم الرعاية الشاملة للجهات الخيرية سواء كانت في هيئة برامج أو مشاريع أو مؤتمرات أو ندوات أو محاضرات أو معارض فأوقاف ومؤسسات الشيخ سليمان الراجحي الخيرية تحاول الاقتراب العملي

من احتياجات الناس وقد تمثل ذلك في مركز بناء الأسر المنتجة (جني) وهو مشروع اقتصادي اجتماعي يستهدف النساء الفقيرات والذي يقوم على فكرة الأقران دون اللجوء إلى الكفالات التقليدية وتحويلها إلى أسر منتجة وتربط مكانة الإنجاز والاعتماد على الذات ولم تقف مبادرات أوقاف الشيخ سليمان الراجحي عند هذا الحد بل شملت صناعة المناهج الدراسية والبرمجيات والمواد التعليمية وفق أسس علمية ومنهجية وذلك من خلال مؤسسة مناهج العالمية وهي بالمناسبة مؤسسة غير ربحية تستهدف المدارس والمؤسسات التعليمية الإسلامية في مختلف أنحاء العالم.

تسعى أوقاف الشيخ سليمان الراجحي إلى تجسيد فكرة العولمة الإنسانية للأوقاف موجودة في كل مكان بمبادرات ومساعدات وإعانات كثيرة ومتنوعة على مستوى العالم الإسلامي. وإن نظرت واحدة إلى تلك المبادرات الإنسانية يتبين مدى التوسع الحالي في أوقاف الشيخ سليمان الراجحي إذ تسعى إلى بناء علاقة إنسانية مع مختلف الثقافات ففي السودان مثلاً سعت الأوقاف إلى مساعدة بعض شرائح المجتمع السوداني من خلال الأقران الخمس وهذا بلا شك يلدجر في إطار الإسهام الإيجابي في تشجيع المجتمعات المسلمة واستثمار الطاقات المحجزة ومثل

هذه الممارسة الإنسانية تعزز صورة التكافل الاجتماعي بصفاتها المشرقة.

وهي ضمت عدة مبادرات وبرامج تبنتها أوقاف الشيخ سليمان الراجحي من أجل إيجاد وسائل للتواصل الإنساني مع العالم الإسلامي فأوقاف الشيخ سليمان الراجحي من أكثر المؤسسات الإنسانية العالمية التي سجلت حضوراً بارزاً على المستويات العالمية وهي من المؤسسات الثلاث التي تداخلت مع المجتمعات الإسلامية تحافظاً إنسانياً وهي في تلك الوقت ذات خص حضاري وضعت أنظمتها على أهداف حضارية، مراكز أبحاث، مؤسسات علمية، معاهد عليا، مستشفيات، جامعات.

كثيرة هي المبادرات والمؤسسات الطاعنة التي تحمل أوقاف الشيخ سليمان الراجحي أن تكون حضرة شيعا وخصوصاً في أوساط الفقهاء إذ أن الروابط بين الفقهاء وأوقاف الشيخ سليمان الراجحي قوية ومتينة ويظهر ذلك بوضوح في الرواتب الخيرية التي تقدم للأسر الفقيرة في محاولة لتحسين أوضاعها إن المعام التي أمام أوقاف الشيخ سليمان الراجحي جسيمة إلا أن الأوقاف تتعامل بواقعية وشفافية مختلفة مع الحالات الإنسانية وتقوم ببناء جسور التواصل في ميادين العلم الاجتماعي والإنساني وهذا ما تمكسه بصمات أوقاف الشيخ سليمان الراجحي في مختلف

أنحاء المملكة العربية السعودية وفي دوائرها وبين مختلف شرائحها الاجتماعية سواء من خلال تلك الأوقاف بدعم آلاف الأسر المحتاجة شهرياً، أو المساعدات الخاصة، والعلاج الطبي وتعزيز البرامج والمؤسسات الخاصة بذوي الاحتياجات الخاصة أو ذوي المواهب والمخدرات أو لاحتضان المؤسسات الخاصة بالأطفال فالأوقاف تصك إلى مختلف الشرائح الاجتماعية عبر قنوات شتى من بينها المؤسسات والجمعيات الخيرية في المملكة العربية السعودية كما أنها تستجيب للحالات الوطنية.

فعلما حدثت كارثة سوق الأسهم في شهر فبراير - مارس عام ٢٠٠٦م وضعت أوقاف الشيخ سليمان الراجحي نفلاً من أجل استقرار السوق.

بفضل اليوم إلى أوقاف الراجحي على أنها المؤسسة التي تبادر بشكل ثابت في مساعدة دور الإعاقة في المملكة العربية السعودية وذلك من جملة دعم الجمعيات والمؤسسات الخيرية بشكل عام والجمعية العربية السعودية لرعاية الأطفال الصغار بشكل خاص ومن المؤكد أننا لن نخطئ بك المبادرات الإنسانية ومبادرات العمك الخيري حيث تسمى أوقاف الشيخ سليمان الراجحي إلى تحقيق جملة من الأهداف منها،

- دعم المؤسسات والجمعيات الخيرية المعترف بها رسمياً في

المملكة العربية السعودية.

- دعم المؤسسات التعليمية من مدارس ومراكز وكليات وحاسبات
وتصوير برامج ثقافية وتعليمية.

- دعم ومساندة الأيتام والمعاقين والمحتاجين وإعادة تأهيل
الأحداث والمدمتين.

- تولي الرعاية الاجتماعية الشاملة وتحليف التكافل الاجتماعي
والرعاية الصحية للمسنين والمعاقين والمرضى.

تسعى أوقاف سليمان الراجحي إلى تأكيد مبدأ التكافل والتراحم
الاجتماعي وذلك من خلال القنوات الرسمية والمسجلة لدى وزارة
الشؤون الاجتماعية حيث تلجأ أن تأتي على أمثلة الحاجة في كل
مكان وبموضوعات الجمعيات والمؤسسات الخيرية كالعناية بالمرضى
والتأهيل والمعاقين والمسنين والرعاية الاجتماعية والصحية
والأوقاف بحكم إنسانيتها تكون دائماً قريبة من الاحتياجات ولم
تتوانى أوقاف الشيخ سليمان الراجحي في تلبيبة الاحتياجات
الإنسانية وذلك من خلال إنشاء وحدات سكنية لرغم الصعاب من
الفقراء.

وإن كان نظام المساجد والجوامع يترك حيزاً هاماً في أوقاف
سليمان الراجحي.

فإن الجمعيات الخيرية وجمعيات البر وجمعيات تحفيظ القرآن

الكريم والجمعيات النسائية الخيرية والمؤسسات الاجتماعية
والمكاتب التعاونية ومكاتب الدعوة ومراكز التنمية الاجتماعية
ومكاتب توعية الجاليات ولجنة السجناء المصعزين في مكاتب
الزراعة القصوى.

والأرقام تقول إن حوالي نصف مليون أسرة سعودية تفيد
بصورة مباشرة أو غير مباشرة من أوقاف الشيخ سليمان الراجحي.
وتعتبر الأوقاف مسئولة عن خلف أكثر من مائة ألف وظيفة
تعتمد مباشرة على شركات الشيخ سليمان الراجحي.

كما تدبر أوقاف الشيخ سليمان الراجحي عددًا من المصانع
والشركات يعمل فيها حوالي خمسون ألف عاملاً.

ولا نود هنا استقصاء جميع الأرقام التي تمكن اتساع وعصف
وتنوع أثر أوقاف الشيخ سليمان بن عبدالعزيز الراجحي وبرامجه
أن تلك الأرقام محصاة لإثبات تنوع وسعة أثر الأوقاف، إلا أن حديث
الأرقام غير مرغوب فيه عن الشيخ سليمان الراجحي، وفي ذلك
يتحدث.

إنه لأمر صعب أن يتحدث الإنسان أو يكشف عن جانب من
جوانب العلاقة التي تربطه بخالقه سبحانه وتعالى. وأصعب ما
يكون الأمر حينها بدور الحديث عما يقوم به الإنسان من إنفاق في
سبيل الله.

فالخشية من الوقوع في الرياء يجعلني في كثير من الأحيان أتردد في الحديث عما سمعت به من أعمال طيبة والحظ أنني لم ألتصّد الحديث في هذا الجانب إلاّ عن أحد تلاميذ بعض الجوانب التي رأيت أنها متمرّدة ومطهّنة وداعمة لي ولغيري في التّأسي بهذه الأعمال الطيبة.

كما أن اهتمام أعمال الصّالحات يبدو في بعض الأحيان ولجئاً على الإنسان إذا رأى أن المصلحة العامة يمكن أن تتخلّف من وراءها.

والحظ أنني التفتة التي يصف بها القرآن الكريم والسنة مقام هذه الدنيا دعيت الشيخ سليمان الراجحي أن يزهد ولو قليلاً في هذه العلم الغائبة ولو نظرنا إلى كيفية تصرفه وسلوكه مع هذه العلم لأدركنا أنه لم يوافق روي من حفظ هذه العلم الأرضية وغيره من التجرد من هذا الحب الزائد الذي يفسد الروح للمصلحة والذي يجعل من مجرد الوسيلة غاية حقيقية.

ولذلك لا يمكننا أن نلتصّب إنساناً موسراً بأن يفتقر باختباره لكي يصير مستقيماً حقاً، فليس في هذا زهد حقيقي.

ومن الواضح أن ما فعله الشيخ سليمان الراجحي لا يعد من الواجب ولكن من صفوف التضحية التي تعد أشجع الجهد^{١١}، وعلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وسلم.

١١ «صلى الله عليه وآله في القرآن»، محمد عبد الله مزور.



طاقم المرحوم الشويخ عبد الله بن عبد العزيز
يستخدم مشروم الروميك في البيت ويظهر في الصورة
الشيخ سليمان الراجحي



طاقم المرحوم الشويخ بنظر في مجلس المشروم
ويستخدم إلى شرم من الشيخ سليمان الراجحي



صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز «يمينه»
ولي العهد يستلمهم إلى شرم هذا الشيخ سليمان الراجحي
بن مشروم الروميان



صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز ولي العهد
يستمع الشيخ سليمان الراجحي طارق مؤسسه الملك فهد
الملكيه لخدمة الاسلام



صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود
وجانابه الشاؤون بوزارة الملكة فيضت التاليفات



صاحب السمو الملكي الأمير عبدالعزيز بن عبدالعزيز آل سعود
معجلاته ملكة العارضة من قصة الله والشيوخ سائحات الزائفة
أحمد بن عبد العزيز بن سعود بن سعود بن سعود



مكتبة محمد السادس، مكتبة الملك عبدالعزيز، وزارة الثقافة، الرياض
الطبعة الأولى



الشيخ محمد التويجري الوائلي رحمه الله - والده الشيخ سليمان التويجري



الملك السعودي عبد الله بن عبدالعزيز آل سعود رحمه الله
مشروع القاعة الرواقي بالمسجد عام ١٤١٦ هـ



هدية ملكية بعمامة رباحة وزير الخارجية الأفغاني كوستنيانين
لرئيس مجلس الوزراء الشيخ سلمان بن عبدالعزيز



الشيخ سليمان الراجحي مع والده الشيخ عبد العزيز الراجحي، رحمه الله



الشيخ فهد بن عبدالعزيز آل سعود
الشيخ خالد بن عبدالعزيز آل سعود



الشيخ فهد بن عبدالعزيز آل سعود، الشيخ خالد بن عبدالعزيز آل سعود، الشيخ فهد بن عبدالعزيز آل سعود
الشيخ فهد بن عبدالعزيز آل سعود، الشيخ خالد بن عبدالعزيز آل سعود، الشيخ فهد بن عبدالعزيز آل سعود



اجتماع الجمعية التأسيسية لشركة الراجحي المصرفية للاستثمار

١٤١٠هـ - ١٤١١هـ



اجتماع الجمعية العمومية الأولى لشركة الراجحي المصرفية

للاستثمار ١٤١٠هـ - ١٤١١هـ



الملك سعود العتيبي، الأمير فيصل بن بندر بن عبدالعزيز أمير منطقة القصيم، وسمي الحنا
شهد بالقيوم، وزير الزراعة، يستمعان إلى شرح هذا الشيفر سليمان الراعي



الملك سعود العتيبي، الأمير فيصل بن بندر بن عبدالعزيز أمير منطقة القصيم، والشيفر هيدان
الراعي، والشيفر سليمان الراعي، ووزير الزراعة الدكتور شهد بالقيوم، وأعضاء شركة
هوانج الوصلية في الحقل الذي أقيمته الشركة، وفي إحداهن كبرك شركات الشيفر سليمان الراعي



الشيخ صالح الفوزان يتلقى ضيفاً من أعضاء الجامعة السعودية



الشيخ صالح الفوزان يكتب في كتابه الأزرق في جامعة بومبي



الشيخ سليمان الراشدي مع أسرته في الكويت ويظهر في الصورة الشيخ سليمان
الراشدي وصالح بن سليمان الراشدي وسليمان بن صالح الراشدي وصالح بن محمد الراشدي
وأحمد السديس زوج أختها بفاقة



مجلس عائلي بالمنزل الراشدي في الكويت



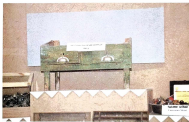
المجلس القرآني، إحدى مشاهد المتحف



التسجيلات القديمة لغرسة سليمان الراجحي للقرآن الكريم، وذلك قبل تأسيس معرض الراجحي



شهادات التكريم وعضوات الجمعية والمساهمات المستلمة من زوار المتحف



أول صندوق للمحافظة لتسهيل سبلات الزائرين في متحف المترو



أدوات الصيانة الكهربائية



مقصورة التوجيه



بنو الرواحم ثاني الكمر بنو بني الجزيرة العربية بعد بنو قيس



مسجد الراشدي في البكرية



المنزل الأول لصلابة الراشدي في البكرية

صورة الضلاف ، الشيخ سليمان بن عبد العزيز الراجحي.
التقطت الصورة في منطقة القصيم عام ١٤٣٦هـ - ٢٠١٦م

الأشرف الخاضع يسيرة الشيخ سليمان بن عبد العزيز
الراجحي.

- صحيفة الرياض.
- مجلة البعثة.
- صحيفة الجزيرة.
- مجلة تجارة الرياض.
- صحيفة الوطن.
- صحيفة الاقتصادية.
- صحيفة عكاظ.
- صحيفة المدينة.
- صحيفة الندوة.
- صحيفة الشرف الأوسط.
- صحيفة البلاد.
- مجلة الفأ.
- صحيفة اليوم.
- مجلة تراهم.

مصادر الصور

هذا الكتاب ليس للتسلية ولا للمتعة النفسية . ولكنه رؤية عقلية تحليلية لجوهر الكفاح الذي خاضه الشيخ سليمان بن عبد العزيز الراجحي. الكفاح العواسب على الملوك العقلية والفكرية والصور الفكرية واليقين الأخلاقي المستعظم بالأيام.

ذلك أن الشيخ يؤسس تجاربه على القيم والمبادئ الأخلاقية. ولذلك فإن الفكرة العائدية ليست هي العنصر الحقيقي لكفاح الشيخ وإنما النية الكاملة وراء العمل. وهو ابتغاء مرضاة الله جل وملا. وذلك هو الباعث الرئيس لحركة الكفاح.

ولكن بقى صورة من صور التفكير تستعظم أن نقرأ الشيخ. كانت الصورة الذهنية المختزلة عن الشيخ - ويجب أن نعتز أن كنا قد فعلنا فيما وقع فيه الآخرون - تأخذ طرائك ووصفاً شتى. فالشيخ الإنسان الذي تستعظم أن تضع له يهراً من الصفات تراه في دواجن الوعائيد. وفي مفصلة الموتى. وفي مزرعة البسطة. وفي مصانع البلاستيك. وفي المصروفية. وفي الزويمات. وفي أشياء كثيرة. وهي تضع الخبرة التي انتابت الملك. ميداناً مملوفاً منه أثناء زيارته لمحافظة الكويت أهل أنت، معندب أو تاجر أو مزارع. إن كل الصور المختزلة عن الشيخ تجر تبعاً لتلك الصيغ العائدية التي هي في واقع الشيخ وسائل تؤدي إلى تحقيق أهداف.

ولو قدر لك معايشة سنوات الكفاح الأولى التي عرث بالشيخ فقد عرث عليه أيام أكثر تبعاً عندما كان حمالاً أو زهاداً أو طليخاً. حيث أخذ على عاتقه خطوط الحياة المعينة رافع ومروءة المسائل. وعندما وصلت لدماء أرف الربايف أرف مرة ثانية من بيعة مختلفة عن بيئته الجديدة. وضع نفسه منذ اللحظة الأولى على أرف الواقع.

كانت المرحلة الأولى إلا أنه عايش الواقع باقتدار حقيقي. وكانت نقطة ارتكازه في كل ما يفعله هي النية الطيبة والوجه الإنساني.

غير أن الفكرة الرئيسية تكمن في النقص المتميزة المنهجية التي
تستمد طاقتها من نور البصيرة.

وإذا ما نظرنا في منهج الشيخ يتبين لنا أن الشيخ يتبنى وجهة
النظر الأخلاقية، ويمتثلها تمتلأ وأيضاً في تفاصيل حياته، فإذا ما
تدبرنا تلك العبادات الأخلاقية فإنه نلاحظ لنا تلك النقص القوية
ذات العزيمة العملية القادرة على المقاومة والمقاومة بالقيم
الإيجابية والتوجهات الأخلاقية السامية إلى درجة الكمال الممكن في
مسألة الواجب والخير.

إن نظرة متأصلة في حياة الشيخ تجلي لنا ذلك المنهج الأخلاقي
الذي تبدو لنا فيه السمات السلوكية في أجلى صورها، طغيته *
عقيدة تسمو به على الأهواء والمصالح والرقبات والعائنة والوراثة
وأثر البيئة والنوازع الثقافية، تشعره أنه يتزعم في تاليا قلبه
رسالة ربه، وأنه مرتبط به ارتباطاً عضوياً يستمد منه على
الدوام القوة والنور، هذه الشحنة العاطفية التي تحرك إيمانه
العقلي تغذي في الوقت نفسه طاقته الخلاقية. وهو حين يتوقف
أو يسقط لا يئأس أو تضطرب نفسه ؛ لأنه سوف يعاود الوقوف
على قدميه مرة أخرى ومناصرة الرحلة مستمداً على تلك القوة
الهائلة التي يستمد منها الموت (١).

وإذا ما أردنا أن نرى ذلك في تحركات الشيخ أو ما يمكن أن نطلق
عليه (متعلم العمل) نرى أن الفكرة الصادية ليست هي المحرك
الحقيقي لذلك الجهد وإنما النية الكاملة وراء العمل .. وهو ما يعبر
عنه بالهدف اليمهد وهو ابتغاء مرضاة الله.

إن القول بأن الشيخ مجرد علاقات حسابية وأرقام وعقول الكترونية.

(١) د.آ. محمد عبد الله .. دستور الأخلاق في القرن .. دراسة مقارنة
للأخلاق النظرية في القرن .. مؤسسة الرسالة .. دار البحوث
العلمية.

وأنت بقيت كل شيء بصيغته عادية، هو فوق لا يمتك وأنت الشيخ، ولا يستند إلى الحقيقة، وقد عالم الشيخ ذلك التباين الذي قد يبدو فيه الإنسان الذي لهبة في يد وعيانه.

عندما قال هي أحد المواقف (1) إن إنفاق مليون ريال في ابتغاء مرضاة الله أهون عليّ من شرب خلجان من المشاة، وإن إنفاق مائة الفضة في أمر دنيوي أشد عليّ عمراً (2)

إن حركة الكلام لا يقصد بها الغايات المادية النفسية، ولو كانت مفروضة، فهي لا تقصد لذاتها، وإنما تقصد لهدف بعيد، وهو فعل الخير.

إن هناك دائماً معاً اهتمامهم الله لفعل الخير، وسوف يكون منهم يوماً بعد علي مر الزمان، هؤلاء هم الصفوة الذين قد جعلوا على ما أودعهم الله فيهم من نزعات فطرية على معرفة الحقيقة، وعلى ممارسة الفضيلة وهم يسمعون دائماً إلى عمل الخير بإخلاص، ومن ابتغى ثلثاني، ولا يصح القول، إنهم لا يبدلون أي جهد يستحقون عليه الصلوة، بل إن الجهد الذي يبذلونه بدلاً من أن يتجه نحو صفات الشر، فإنه يتجه نحو البقاء، أي نحو إضافة لبيات جديدة إلى صرح الفضيلة.

ومن يتأمل سيرة الشيخ يجد أن حياته ترجمة أمينة صادقة لك معاني القيم الأخلاقية السامية والعبادة الزهيدة الصلوة، فقد أمثال إصفاه إلى كتاب الله وإلى السنة الشريفة ثم إلى نفسه المتوثقة. وعندما تحدث بعد إصفاه الطويل جاء دورنا لننصق.

ولكن ما أود تسجيله يك إمتنان أن هذا التتبع العلمي جاء نتيجة مبادرات ومشاركات مزدوجة من باحثين ودارسين ومراجعين وقد حقني بهنية ومتابعة موفقة من أبناء الشيخ - حفظه الله - سواء في المراحل الأولى لتخصير المواد التاريخية أو ما تعرف بالمواد العلمية أو ما تلاها من مراجعات وملاحظات وإضافات. كما نشكر في الوقت نفسه أحمد الشمراني وياسر منجد ومعلومة كنه

وجدد الله مضوي وإن كنا لا ندعي أننا قد أحصلنا بكك شافعيك حياة
الشيخ وما هذا الكتاب إلا مقدمة ومحاولة تمهيدية لدراسات
تقدمة بإذن الله.

وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

عبدالله الزمان

الرياض: ١٤٢١هـ / ٢٠٠٣م

الخطوات المنهجية

سيرتي منظومة حياتية شاملة تتناول بشيء من العمق تجربة حياة تتشكل في الفكر والممارسة، وتقدم لهذا الجيل والأجيال القادمة تاريخاً ومنهجاً ورؤية الشخصية ذات تلك الاجتماعي وإنساني واقتصادي وحضاري وبنائي وتنموي .. كانت العصامية بعد توفيق الله هي المالك الرئيس في نجاح التجربة.

الوصف :

سيرة ذاتية عملية شاملة ومتكاملة تتناول تفاصيل حياة الشيخ / سليمان ابن عبد العزيز الراجحي.

التوثيق،

جاء اختيار هذا الوقت لتدوين وتوثيق ونشر هذه السيرة الكريمة..
للاعتبارات الآتية،

- شكر الله سبحانه وتعالى على تحليف تلك الإنجازات.
- رسم معالم الملموح للأجيال القادمة.
- الإفادة من التجارب.
- غرس المبادئ الإيمانية في نفوس العاملين الملامحين إلى المعالي.
- التوجه في الحياة نحو غاية واضحة ونهيلة.
- الاعتماد على الثوابت.
- الدلالة المباشرة على أن التوفيق من الله هو أصل النجاح.
- تطوير الرغبات والسلوك تطويراً عملياً نافعاً.

- الخلّازم ما بين القيم والمصالح المشروعة كصيغة عملية لتحقيق الذات.
- توظيف حركة الكلام وفق منهج سليم يقوم على المصلحة والمبادئ والأخلاق.

الفكرة الزمنية

منذ الميلاد ١٢١٨ هـ/ ١٩٩٩ م حتى عام ١٤٣٦ هـ/ ٢٠١٢ م.

الفكرة:

تقديم رؤية حضارية واعية لشخصية واعية مستنيرة ومتميزة. في طريقة هي الكلام والعصامية والإرادة والبناء. الإدارة والانتاج وهذه الخير. حيث استطاع بتوظيف من الله أن يملأه رغبته وأهدافه وطموحاته تعلميماً عملياً واضحاً.

المصادر:

- الإصدار الصوتي ... قصص من حياتي.
- التسجيلات المطرقة على طريقة السؤال والجواب.
- المقابلات الشخصية.
- الروايات.
- المداخلات.
- المقالات.
- الزيارات.
- الوقوف على الأمكنة والمواقع.
- الكتابات والوثائق.

- القصاصات الصحفية.
- الأفلام الوثائقية.
- الدوريات.
- المذكرات.
- المصادر الإلكترونية.
- اليوميات.
- الاستطلاعات.
- التقارير.
- النشرات.
- شبكات المعلومات.
- الدراسات الاستعلامية.

وحدة السياق:

السبر الذاتية تقليد قديم تنسم بالذاتية. وتكشف لنا رؤية صاهبها للحياة. وهي الوسيلة الحضارية لنقل التجربة. ولذلك رأينا أن تسلك التجربة مسلكاً روائياً وصفيّاً يتيح للقارئ الانسجام مع الكتاب.

المسلك العلمي:

استند الكتاب في مسلكه العلمي تأليفاً وتصنيفاً وتبويباً وصياغة على مناهج البحث العلمي الحديث. وذلك من أجل تقديم رؤية واعية تستلهم المعاني الحضارية والقيم الإنسانية.

الدراسات،

تأليف هريش الدراسات والأبحاث والتصنيف من ذوي الكفاءة العلمية والخبرة المنهجية في آليات البحث العلمي والتخطيط والتصنيف.

وحدة الزمن،

أخذ الكتاب في مزج الحوار بالسرود بالشك الروائي الكلاسيكي الذي يضم الحدث في خط مستقيم فيما يصرف بتطور الحدث يبدأ بالتدرج والترتيب الزمني الصاف ويبتسك في خط متصل وفي مواقف متيرة ولعل سبب اختيار الكتاب للشك الروائي الكلاسيكي أن السيرة لا تنطوي على حالات معقدة وغامضة.